



التكرار في القرآن

الدكتور علي الغضنفری

التكرار فى القرآن

لمؤلفه المحقق
الدكتور على الغضنفرى

عضو هيئة التد
بجامعة علوم و معارف

سرشناسه: فقه‌فهری، علی، ۱۳۴۲-

عنوان و نام پدیدآور: التکرار فی القرآن / علی قاضی

مشخصات نشر: تهران: دانشکده علوم و فنون قرآن تهران، ۱۳۹۳

مشخصات ظاهری: ۲۲۴ ص.

ISBN: 978-600-94438-0-7

قیمت: ۲۰۰۰۰۰ ریال

وضعیت فهرست‌نویسی: فبا

یادداشت: کتابخانه به صورت زیر نویس

موضوع: ۱. قرآن - مسائل لغوی؛ ۲. قرآن - واژه‌شناسی

رده بندی کنگره: ۱۳۹۲

ت.م.ع. BP۸۷/۳

رده بندی دهوی: ۲۹۷/۱۵۳

شماره کتابشناسی ملی: ۳۶۸۲۲۹



هویتة الكتاب



• اسم: التکرار فی القرآن

• انتشار: دانشکده علوم و فنون قرآن تهران

• المؤلف: الدكتور علی القاضی

• تقویم النص: الطبعة الأولى

• الطبعة: الأولى ۱۴۳۵ق

• المجلدات: ۱

• التکثیر: ۱۰۰۰ نسخة

• التبع: ۲۰۰۰ تومان

• الشایعة: ۷-۰۰-۹۴۴۸۸-۶۰۰-۹۷۸

حقوق الطبع محفوظة للنشر

دانشکده علوم و فنون قرآن تهران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاهداء

إليك يا رسول الله
هذا الجهد المتواضع،
صلى الله عليك و على أهل بيتك الطّيبين الطاهرين
الهي لا تعذب لسانا يُخبر عنك و لا عينا تنظر إلى وحيك و لا فؤاداً
تفكر في آلائك و لا يدا تكتب تبين كلامك و لا قدما تمشي في خدمتك.
برحمتك و عفوك
يا اله العالمين و يا ارحم الراحمين

المقدمة

الحمد لله الذي انزل القرآن هدى للناس والبينات من الهدى والفرقان الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، الذي تجلّى بذاته على ذاته فتزّره من مجانسة مخلوقاته وتجلّى باسمائه وصفاته على سائر مصنوعاته.

والصلوة والسلام على ملائكته وانبيائه سيّما من ارسله رحمةً للعالمين وروؤفاً بالمؤمنين، سيد المرسلين ابي القاسم محمّد وعلى أهل بيته الطيّبين من ابن عمه ووارث علمه وخازن اسراره واولاده المعصومين المنتجبين لاسيما ناموس الدهر وامام العصر الحجة الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه وعلى محبّيه وصحبه الذين اهتدوا بهدايته، ورضوان الله على ساداتنا ومشايخنا واخواننا الذين سبقونا بالايمان، والعن دائم على الاشقى الذي كذب وتولّى.

اما بعد، فإنّ كلام الله هو اشرف كلام، وعلمه اشرف العلوم ودراسته اشرف وافضل دراسة، والنظر اليه طاعة وقرائته عبادة وتلاوته سعادة وللذنوب كفارة وفي النار ستر وفي القيامة امان وفي الجنة درجة.

قال رسول الله ﷺ: «عليك بقراءة القرآن فإنّ قراءته كفارة للذنوب وستر في النار وامن من العذاب» (١).

وقال الإمام الكاظم عليه السلام: «إنّ درجات الجنّة على قدر آيات القرآن، يقال له اقراء

وارقاء فيقو ثم يرقى» (١).

فطوبى لمن جلس على مأدبة القرآن واقبل اليها بجوانحه وجوارحه وبلغ سعيه لأن يستفيد منه.

قال رسول الله ﷺ: «القرآن مأدبة الله فتعلموا مادبته ما استطعتم» (٢).

واستمسك بحبل الله المتين.

قال ابوالحسن الرضا ﷺ: «هو (القرآن) حبل الله المتين وعروته الوثقى» (٣).

ويهتدي بالقرآن:

قال علي ﷺ: «القرآن افضل الهدايتين» (٤).

فانه يهdy للتي هي اقوم:

«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَيِّنُ لِّلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا» (٥).

فهو الطريق الاقوم والاسلوب الاحسن في كل جانب من جوانب الوجود. فهو يتحدث عن آخر شريعة تكاملت في جميع الجوانب الحياة الذي نزل على خاتم النبيين ﷺ. والآن نتعرض الى عدة مواضع رئيسية نذكرها على الشكل الآتي.

الموضوع

قد عرفت ان في القرآن الفاظا معانيا و مفاهيمها كلية فالألفاظ مركبة من الحروف و لا بد

١- وسایل الشيعة، ج ٤، ص ٤٠.

٢- بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ١٩.

٣- بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ١٤.

٤- غررالحكم.

٥- سورة الاسراء، الآية ٩.

من تكرارها و ذلك لان الحروف عددها محدد كما ان المعاني المستعملة في اللغة العربية محددة في الحوار الحسى ايضاً.

واما المفاهيم كالمبدأ والمعاد وغيرهما وهذه ايضاً لابد من تكرارها لانها مفاهيم كلية فالقرآن كله توحيد وتحدث عن التوحيد ومراتبه.

فدار البحث حول مدى تكرار المفاهيم الجزئية لنرى هل انها تكررت ام لا؟
الجدور التاريخية و معاناة التحقيق

بعد ان تأملت كتب الخاصة والعامة، لم أجد فيها بحثاً كاملاً وشفافاً في هذا المجال ويؤيدنا في هذا ما قال «احمد عطاء» في بيان هدفه من تحقيق كتاب «اسرار التكرار في القرآن»: «وقبل ان اعتزم اخراج الكتاب الى التور، راجعت كثيراً من كتب التفسير التي عنيت بالمقارنة والبحث، كارشاد العقل السليم لأبي السعود و... خشية ان يكون الكرمانى قد نقل مسألة من هنا ومسئلة من هناك، ولفق من نقوله كتاباً كما يفعل الكثيرون، فلم اجد ما يشير الى هذا الظن من قريب أو بعيد» (١).

وقال الكرمانى نفسه:

«فالأنمة رحمهم الله تعالى قد شرعوا في تصنيفه، واقتصروا على ذكر الآية ونظيرتها ولم يشغلوا بذكر وجوهها وعللها والفرق بين الآية ومثلها، وهو المشكل الذي لا يقوم باعبائه الا من وفقه الله لادائه» (٢).

وهذا الادعاء من الكرمانى ومحقق كتابه لا يخلو من اشكال، لأن أبو عبد الله محمد بن عبد الله الاسكافي المعروف بالخطيب الاسكافي الاصبهاني، قد صنف كتاباً قيمياً في بيان

١- اسرار التكرار في القرآن، ص ٢٠.

٢- المصدر، ص ٦٤.

المتشابهات على الوجه الذي سلكه الكرمانى وهو متوفى ٤٢٠ هـ^(١)، والكرمانى كان على قيد الحياة فى حدود سنة ٥٠٠ ق و توفى بعدها.

نعم يمكن ان الكرمانى ومحقق كتابه ما رأوا كتاب الاسكافى، ولكن من قرء الكتابين وقايس بينهما علم بعدم صحة ما ادعاه الكرمانى.

هذا، ولكن هاتين العبارتين من الكرمانى ومحقق كتابه احمد عطا، يؤيدنا بانه لم يبحث عن التكرار فى الآيات وعن اسرارهِ ووجوههِ فى كلمات ائمة الفن قبل الاسكافى على الأقل. نعم الخطيب والكرمانى وغيرهما وان كانوا قد بحثوا عن الآيات المتماثلة ولكنهم لا يبحثوا عن علة نزول الآيتين المتماثلتين، بل كان اساس بحثهم هو علة الاختلاف فى الحروف والكلمات فى هاتين الآيتين او الآيات^(٢).

فبعد ان تأملت كتب المتأخرين عنهم أيضاً وفتشتُ مئات الكتب، ما وجدت كتاباً أو رسالة فى هذا الموضوع حتى يكشف القناع عنه وإن كان قد بحث عن الموضوع عدة من العلماء شكر الله مساعيهم المذكورة فى خلال كتبهم بشكل موجز ولم يبحث بما هو موضوع له ابعاد متعددة وجهات مختلفة.

وهذا الاستقراء منى وإن لم يكن استقراءً تاماً ولكنى تتبعته كثيراً بحيث لو كان لعرفته أو على الأقل لرأيت الإشارة إليه.

الكلام حول كتاب تاج القراء الكرمانى

قد بحث الخطيب والكرمانى وغيرهما عن الآيات المتشابهة فى القرآن الكريم ولكن لا من جهة بيان سر تكرار الآية أو تكرار جزء منها، بل كان اساس بحثهم عن علة اختلاف

١- درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافى.

٢- يأتي البحث عنه مفصلاً.

الآيات المتماثلة من حيث التقديم والتأخير وغيرهما مما لاصلة له بسرّ التكرار.

فالخطيب وغيره من ابن زبير الثقفي وابن حيّون التميمي والسيد الشريف الرضي والقاضي عبد الجبار وابن شهر آشوب، ليس لهم هذا الادعاء، مع أنّهم قد سمّوا كتابهم ببيان تأويل القرآن وملاكه ^(١) واساس التأويل ^(٢) وحقائق التأويل ^(٣) ومتشابه القرآن ^(٤) ومختلفه ^(٥).

أمّا الكرمانى في كتابه «اسرار التكرار في القرآن» ترى بعد الدقّة والتأمّل في هذا الكتاب، ان اساس بحثه عن الآيات المتماثلة من جهات شتى حسب الترتيب التالى:

الف) البحث عن صيغ المختلفة من الماضي والمستقبل او المجرد والمزيد او المفرد والمثنى والجمع، وعلة اختلافها.

ب) عن علة التقدّم أو التأخّر في كلمة أو جملة في آية بالنسبة الى آية أخرى.

ج) عن الشرط الذي له أكثر من جزاء واحد، أو مبتدء له أكثر من خبر واحد.

د) عن الخواتيم المختلفة للآيات المتماثلة او الآيات الترتيبية.

هـ) عن علة اثبات حرف عطف في آية وحذفها في أخرى.

و) عن علة عطف آية أو جملة منها بحرف واخرى بحرف آخر.

ز) عن التعريف في آية واستعمال النكرة في الاخرى.

وعليه فتسمية كتابه بـ«اسرار التكرار» ليس بصحيح جدّا ودليلنا على هذا مجموعة من

١- ملاك التأويل لاحمد بن ابراهيم بن زبير ثقفي، المتوفى سنة ٧٠٨.

٢- اساس التأويل لنعمان بن حيّون التميمي، المتوفى سنة ٣٦٣.

٣- حقايق التأويل للسيد الشريف الرضي، المتوفى سنة ٤٠٦.

٤- متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار، المتوفى سنة ٤١٥.

٥- متشابه القرآن ومختلفه لمحمد بن علي بن شهر آشوب، المتوفى سنة ٥٨٨.

الأدلة التي يأتي ذكرها بعد هذه المقدمة.

الأول: قال المؤلف «الكرماني» في وجه تسمية كتابه:

سميت هذا الكتاب «البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان»^(١)

انه قد ذكر في كتابه بعض الآيات المتماثلة وبحث عنها من الجهات التي مرّ ذكرها فسُمّي كتابه بهذا وقد كان جيداً، وبما أنّه لم يكن اساس بحثه عن سرّ التكرار ولم يبحث عن علة نزول آية او قصة متكررة في القرآن الكريم، ولهذا لم يسم كتابه بـ«اسرار التكرار».

ولكن مع الأسف ان «احمد عطا» الذي حقق هذا الكتاب في سنة ١٣٩٧، سمّاه بدون دقّة وتأمل بـ«اسرار التكرار» وقال في ما علق على كلام المصنف.

«قد سمّيناه اسرار التكرار في القرآن الكريم»^(٢).

وقال في علة هذه التسمية بعد ان ذكر قيمة الكتاب عند العلماء القدامى:

«لكنه لم يتداول في عصرنا ولم تنهض اليه يد لاخرجه لسبب واحد فيما نرى، هو العنوان الذي أختره للكتاب، اذ سمّاه بـ«البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان» فاغمض المشتغلون بالنشر عنه عيونهم اذ ظنوه في المتشابه بمعنى الموهوم او الغامض، ولم يفتنوا إلى أنّه اراد من المتشابه بمعنى المتماثل اي مكررات القرآن كما اوضح مؤلفه في مقدمته»^(٣).

فهو لدفع هذه الشبهة قد أجرى تغييراً على اسم الكتاب وقد وقع في شبهة اخرى اعماق من الاولى.

فما سمّاه الكرماني لا بأس به، لأنّ المتشابه له معان مختلفة، من المتشابه بمعنى المتماثل ولا

١- اسرار التكرار، ص ٦٤.

٢- المصدر.

٣- المصدر، ص ١٩.

يتبادر من «المتشابه» ما يقابل «المحكم» بآدنى تدبر ودقة في الكتاب.

فهذه الشبهة لا تحصل الا لمن كان غريباً عن هذه المباحث من رأس ولا يعرف المعاني المختلفة للمتشابه ولا يتدبر في الكتاب نفسه، فما زعمه أحمد عطا في بيان سبب عدم تداول الكتاب في عصرنا في جهة عنوانه باطل جداً.

مضافاً الى ذلك أن تغيير المحقق للكتاب قد اوجد شبهة مهمة لأهل هذا الفن.

فتسمية الكتاب بـ«اسرار التكرار في القرآن» يوهم ان المؤلف قد بحث عن سرّ التكرار وعلّة نزول الآيات التكرارية في القرآن، فالكتاب يدور حول بيان سبب نزول الآيات المتماثلة ولكن الحقّ غير هذا لأنّ:

اولاً: أكثر الآيات المكررة في هذا الكتاب، قد تكررت حروفها وألفاظها، لأفاهيمها، وبما أن التكرار في الحروف والكلمات شئ لا محيص عنه فهو خارج عن محل بحثنا هذا.
ثانياً: قد ورد في هذا الكتاب آيات كثيرة غير متشابهة ومتماثلة، فثلاً ذكر آية ٦٨ من سورة هود وآية ١ الى ٦ من سورة العاديات وقد ذكر سورة العصر والكوثر.

حتى أنّه كثيراً ما يذكر المؤلف آيات ويقول «ليس لها نظير». مع أنّه لو كان يحسنه لاجل التكرار، فلا بد ان يذكر آيات لها نظير ومثل وقد ذكر هذه العبارة في ذيل بعض الآيات منها: آية ٢١ من سورة البقرة وآية ٣٠ من سورة النور وآية ١٥ من سورة الفتح وآية ١١ من سورة الانشقاق.

في هذا المجال ايضاً قد يبحث عن خواتيم الآيات المختلفة فخواتيم آيات ١٣ و ١٤ من سورة الحشر، وآيات ٧ و ٨ من سورة المنافقين من هذا القبيل.

وقد ذكر الآيات غير المتماثلة وجاء شأن نزولها ولا شئ آخر فأية ١٢ من سورة الشمس من هذا القبيل.

وقد جاء المؤلف بخصوصيات الاشقياء والسعداء في الآيات مع أنّه ليس منها شئ من

التماثل، بل فيها خصوصيات متضادة واعمال مختلفة. فذكر آيات ٧ الى ٩ و ١٨ الى ٢٠ من سورة المطففين وآيات ١٥ و ١٦، ٢٦ و ٣٦ من سورة النبأ وآيات ٣٣ و ٣٤ من سورة النازعات.

وقد قاس المؤلف الآيات المختلفة وغير المتماثلة من سورتين نحو ما جاء في قياس سورة التكوير والانفطار.

نعم ربما بحث المؤلف عن علة التكرار احياناً ولكن نقول أولاً: ان مواردها قليلة جداً تبلغ ٤٤ مورداً وهو أقل من ٨٪ بالنسبة إلى كتابه. ثانياً: كيفية البحث عنه في هذه الآيات تشعر بان الكتاب لم يكتب لهذا الموضوع. ثالثاً: تسمية الكتاب باسم غير مطابق بنسبة ٩٢٪ من موضوعاته، حيث دَوّن فيه مواضيع غير مألوفة ولا معروفة من قبل، فمثله كمثّل من يكتب كتاباً في الادب العربي ويكون ٩٢٪ منه في الادب الفارسي.

هذا مع ان محقق آخر وهو السيد جميل قد حقق كتاب تاج القراء الكرمانى في سنة ١٤١٤ اخرجه وسماه بعين ما سماه مؤلفه وهو جيد.

منهجنا فى البحث و التحقيق (التأليف)

لقد بذلت جهداً جهيداً فى سبيل العثور على مصادر تناولت بحث التكرار فلم اجدما ينفعنى، لذا لجأت الى ان يكون المنهج المتبع فى ضمن خطوات ثلاثة.

الاولى: طالعت كتب علوم القرآن القديمة منها والحديثة ومن بين طيّات مواضعهم المحددة ظفرت على معلومات فى هذا المجال.

الثانية: طريق الآخر هو التحقيق فى الآيات المتكررة المتشابهة الالفاظ و هذه الخطوة تتطلب وقتاً طويلاً و اهتماماً كبيراً و تحمل المشاق و العنت و التعب فضلاً عن ذهنية موقدة و رأياً حقيقياً.

فقممت بجمع الآيات مع مراجعة كتب التفاسير المعتمدة و بالذات التفاسير التى تبنتى

منهج تفسير القرآن بالقرآن لعلّ اعثر على معلومات تنفعنى فى المقام و لما كان رأى غالبية المفسرين فى منشاء التكرار هو انه «للتأكيد» لذا لم يبحثوا علل و اسباب الآيات المكررة فى بقية السور القرآنية و يقارنوا بينها.

الثالثة: التعويل على رأى الخاص لكى اجد مبررا لوجه التكرار فاستعنت بمعلوماتى الخاصة و لولا العناية الالهية التى شملتنى لما اهتديت الى هذه النتيجة المثمرة فكنت ادقق فى كل ما يخطر بذهنى و ينقدح فيه و اعرض ما ترددت فيه على خيرة المهتمين و المعنيين بالقرآن لتلاقع فى هاوية التفسير بالرأى.

مهنجنا فى البحث و التحقيق (التبويب)

بعد ان تخطيت هذه الخطوات و وقفت للحصول على معلومات فقت بتبويبها و تنظيمها حسب مواضع ثلاثة.

الاول: عدم وجود التكرار فى القرآن و استندت الى ١٨ مؤيدا لذلك و بشكل مفصل بحث المؤيد الثامن عشر منها.

الثانى: فى مبررات التكرار فى القرآن و ذكرت ثلاثين مبرراً.

الثالث: فى ذكر الآيات المكررة و عرض الوجوه المحتملة فيها.

و فى آخر البحث ذكرنا الخاتمة المشتملة على ثمره البحث و ما ينقدح فى ذهنى من الاقتراحات النافعة فى هذا المجال.

و سميت رسالتى هذه بـ «التكرار فى القرآن» وأسأل الله تعالى أن يوفقنا لهذا وأن يدرأ بالحسنة السيئة وأن ينظر إلينا بعين الود والرحمة والرضا وأن يتقبل منا هذا القليل وأن يجعله خالصاً لوجه الكريم وأسأله تعالى أن يجعله نافعا لمن اراد الانتفاع به من عباده ان شاء الله تعالى.

هنا لابد ان اشكر استاذنا الجليل العالم العامل الناطق، الذى تعلم القرآن وعلمه

آناء الليل واطراف النهار من غير كلل ولا ملل، الشيخ الكبير، ابوالشهيد، صاحب الفضل والفضيله سماحة آية الله معرفت رحمته الله.

الذي اتحنى طوال مدة اعدادى لهذه الرسالة، فإليه خالص شكرى؛ فجزاه الله عني خير جزاء المحسنين ونرجو من الله تعالى الرحمة والغفران للماضين من اساتذتى والتوفيق والسداد للباقيين منهم.

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه انيب

قم المقدسة - علي الفضنفرى

الفصل الأول

هل يوجد تكرار في القرآن ام لا؟

قبل الدخول في البحث نعرض التقسيمات التي يمكن طرحها حتى يتمكن من معرفة ما نبحث عنه.

فإن الألفاظ والمعاني في أى جملة حسب الحصر العقلي على أربعة أقسام.

١- الألفاظ واحدة والمعاني واحدة.

فهذا هو التكرار اللفظي نحو الويل ثم الويل، أو نحو فبأى آلاء ربكما تكذبان، لو قلنا بوحدة المعاني فيها.

٢- الألفاظ واحدة والمعاني متعددة.

فهذا هو الاشتراك اللفظي ويعرف المعنى بالقرائن الحالية أو المقالية نحو لفظ العين بما فيها من المعاني الكثيرة.

٣- الألفاظ متعددة والمعاني واحدة.

فهذا هو التكرار المعنوي وهو من المترادفات نحو الأمر بالصلوة والزكاة بألفاظ مختلفة ونحو العين والبصر، ان فرض معنى واحد لهما.

نعم ان كان لكل لفظ خصوصية يختص بها وكل لفظ يبين حالة خاصة من شئ مع قدر جامع بينها نحو الفضنفر والاسد والليث والحارث ودلهات وهزبر وقسورة وحيدر وضيغم فهو خارج عن هذا القسم ويدخل في القسم الثاني من الرابع.

٤- الألفاظ متعددة والمعاني متعددة.

وهذا القسم ليس بتكرار قطّ، فاما ان تكون المعاني متباينة أم لا بل للمعاني قدر مشترك جامع بينهما فهو من الاشتراك المعنوي.

فبعد ملاحظة هذه الأقسام الأربعة مع شقوقها، تبين لنا أن موضع البحث هو القسم الأول والثالث فحسب.

فهل في القرآن العظيم شئ من هذين القسمين أم لا؟
في لمحة سريعة وعابرة في القرآن الكريم نجد التكرار اللفظي في كثير من الآيات والقصص القرآنية ومنها:

١- ﴿اولئك على هدى...﴾

قد تكررت في سورة البقرة آية ٥ وسورة لقمان آية ٥.

٢- ﴿يا بني اسرائيل اذكروا...﴾

قد تكررت في سورة البقرة آيتي ٤٧ و ١٢٢.

٣- ﴿تلك امة قد خلت...﴾

قد تكررت في سورة البقرة آيتي ١٣٤ و ١٤١.

٤- ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب...﴾

قد تكررت في سورة هود، آية ١١٠ وسورة فصلت آية ٤٥.

٥- ﴿قال الم اقل لك﴾

قد تكرر في سورة الكهف آيتي ٧٢ و ٧٥

٦- ﴿ان في ذلك لآية﴾

قد تكررت هذه الآية في سورة الشعراء سبع مرّات وهي آيات ٨، ١٠٣، ١٢١، ١٣٩،

١٥١، ١٧٤، ١٩٠.

٧- ﴿إني لكم رسول...﴾

قد تكررت هذه الآيات الثلاثة في نفس السورة خمس مرات وهي آيات ١٠٧ الى ١٠٩، ١٢٥ الى ١٢٧، ١٤٣ الى ١٤٥، ١٦٢ الى ١٦٤، ١٧٨ الى ١٨٠.

٨- ﴿الذين يقيمون الصلوة...﴾

قد تكررت في سورة النحل، آية ٣ وسورة لقمان، آية ٤.

٩- ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾

قد تكررت ثلاث مرّات في سورة الصافات، آيات ٨، ١٢١، ١٣١

١٠- ﴿إم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾

قد تكررت في سورتي الطور، آية ٤١ والقلم، آية ٤٧.

١١- ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض﴾

قد تكررت في سورتي الحشر والصف، آية ١.

١٢- ﴿واذنت لربها وحقت﴾

قد تكررت في سورة الانشقاق آيتي ٢ و ٥.

١٣- ﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾

قد تكررت في سورة الرّحمن احدى وثلاثين مرّة.

١٤- ﴿ويل يؤمّنذٍ للمكذّبين﴾

قد تكررت في سورة المرسلات عشر مرات.

وأما التكرار في المفاهيم الكلية في آيات القرآن الكريم كالتكرار في موضوعات التوحيد ونفي الشرك ونفي الأوصاف السلبية عن الله تعالى كالولد وغيرها من الأوصاف واثبات الأوصاف الثبوتية له نحو الاحياء والأماتة وغيرها ومنها المعاد والأبحاث المرتبطة به، لا يمكن انكارها بأدنى نظرة في القرآن.

وأيضاً قد تكررت القصص القرآنية حتّى بلغ تكرار قصة موسى في سبعين موضعاً من القرآن الكريم وقد تكرر اسم هذا النبي أكثر من هذا الرقم. ولكن بعد الدّقة والتّأمل في نفس الآيات التي سوف نذكر بعضها، وبعد ملاحظة الآيات التي كانت قبلها وبعدها، والدّقة في سنة نزولها وسبب نزولها... ندرك ان التكرار المعنوي لم يحصل في القرآن الكريم ابداً. هذا ومن اجل إثبات صدق هذا المدعى، لابد أن نطرح البحث في ضمن مقدمات.

الاولى: التكرار في اللغة

قال الخليل في العين: الكرّ: الرجوع عليه ومنه التكرار. وعن ابن فارس في المقاييس: الكاف والراء أصلٌ صحيح يدل عليه جمع وترديد. من ذلك كررت، وذلك رجوعك إليه بعد المرّة الأولى، فهو الترديد الَّذي ذكرناه. وقال ابن منظور في لسان العرب: كرر الشئ وكرره: اعاد مرّة بعد اخرى، والكرّ: الرجوع على الشئ ومنه التكرار، والمكرر من الحروف: الراء وذلك لأنّه اذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتغيّر بما في من التكرير، ولذلك احتسب في الامالة بحرفين. وقال الزبيدي في تاج العروس: كرّر الشئ أي كرّر، فعلاً أو قولاً وتفسيره في تلك المعاني بذكر الشئ مرّة بعد أخرى. وقال السيوطي: ان التكرار هو تجديد اللفظ الأول ويفيد ضرباً من التأكيد، وعن الشرتوني في أقرب الموارد: كرّر عطف وحمل، كرّره أي أعاده مرّة بعد أخرى وقيل مراراً، وعن ابن عمير، التكرار اسمٌ كما انّ التكرار مصدرٌ. اقول: فما عرفت من أهل اللغة، أن التكرار هو إعادة فعل أو قول بتجديد لفظ الأول شكلاً ومفهوماً، أو باتيان العمل بعد الاول فإتيان لفظ أو فعل بخصوصية غير خصوصية الحالة الاولى ومع زيادة أو نقصان، ليس بتكرار من حيث اللغة.

القرآن هو كتاب الإعجاز وهو معجزة النبي الخاتم ﷺ والإعجاز هو أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي دفاعاً عن النبوة وإثباتاً للشريعة على مستوى فهم الأمة كما عرفوه. فمعجزات الأنبياء السابقين كنانة صالح وعصى موسى وإحياء الأموات لروح الله و... كانت حسيّة لقلة بصيرة أمّتهم أو محدودية شريعتهم زماناً فانفتت بنسخ شريعتهم. ولكن معجزة النبي الخاتم ﷺ التي هي القرآن الكريم لنفاذ بصيرة أمته وبقاء دينه إلى يوم القيامة، فهو المعجزة الخالدة لوجوه شتى نأتى ببعضها على سبيل الاختصار: أولاً: تناسب الكلمات في الآيات وارتباطها بحيث تكون شيئاً واحداً. حتّى لو لم تكن كلمة واحدة لنقص المعنى.

ثانياً: تنوع أساليب القرآن في الخطاب المخالف لأساليب الخطاب في كلام العرب. ثالثاً: الأسلوب الواحد مع اختلاف نوع الكلام. رابعاً: إبداع هيبه عند المستمعين لاسيّما عند المكذّبين حتّى كانوا يستثقلون لسماعه و ينتابهم الخوف والفرع.

خامساً: عدم الاختلاف في ذات القرآن فهو خارج عن منهاج واحد لأنّ منشاء الاختلاف، تحوّل الأغراض والأميال، كمثّل الإنسان مرّة يميل إلى شيء ويقول شيئاً وأخرى إلى ذلك ويقول شيئاً آخر.

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾ (١).

ولكن القرآن نزل من عند واحد على نهج واحد.

﴿... وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (١)

سادساً: التحدى لكل الامم من العرب والعجم لفظاً ومعنى من حين نزوله الى يوم القيمة بإتيان مثله أو عشر سورة أو سورة واحدة منه على الأقل.

سابعاً: لذة الاستماع فتزيد تلاوته حلاوة من خلال كيفيته جعل الحروف المستفلة والمستعلية بايحاء صوت يطابق الآذان، فقد ورد ان اباسفيان واباجهل والابخس بن شريق كل واحد منهم كانوا يخرجون ليلاً الى بيت رسول الله ﷺ ويجلسون وراء الجدار ويستمعون الى قرائته وحين رجعوا صباحاً رأوا كل واحد منهم الآخر، فتلاوموا وتعاهدوا ان لا يعودوا ولكن القضية قد تكررت في ليال ثلاثة فتعاهدوا على ان لا يعودوا اليه أبداً. ثامناً: لا يزال غض لآذان المخاطبين واللسان القارئین ولقلب المتفكرين والمتدبرين، حتى رأوا أنه ينزل مرة بعد أخرى.

تاسعاً: اخباره بالمغيبات ومغيبات خاصة وقد حدثت بعد الأخبار عنها. عاشراً: الأخبار عن الامم السالفة التي لم تذكر في الكتب السماوية الأخرى او بالجزئيات لا يكون لها اثر فيها.

الحادى عشر: تناسب النغمة والموسيقية الطبيعية اللطيفة مع نفسية الانسان. الثاني عشر: محفوظا عن الزيادة والنقصان.

الثالث عشر: مشتمل للعام والخاص، المجمل والبيّن، المطلق والمقيد، الناسخ والمنسوخ.

الرابع عشر: وجود المتشابهات فى مقابل المحكمات للترغيب على الأكتثار من التدبر وفوائد أخرى.

الخامس عشر: اشتماله على الحصر نحو «انما اليهكم اله واحد» لبيان عدم صحة فروض اخرى.

السادس عشر: الاستفادة من جميع اللغات المختلفة العربية كلفة اليمن وحمير وهذيل وهوازن وغيرها^(١).

السابع عشر: مشتمل على انواع عديده في الخطابات المختلفة بادواة متغايرة كالخطاب بالنداء وبدونه وخطاب الخاص والعام والمراد منها الخاص او العام او العكس، وخطاب الذم والاهانة والكرامة، وخطاب الواحد او الاثنين او الجمع بلفظ هم او على الاختلاف، وخطاب الترغيب والتعجيب ونحوها.

الثامن عشر: تيسر حفظه للكبار والصغار وحتى للصبيان، واستطاعة الانسان على ختمه في ليلة واحدة.

التاسع عشر: مشتمل على قواعد المعاني والبيان كالحقيقة والمجاز والحذف والتشبيه والاستعارة والكناية والتعريض والايجاز والاطناب والاستخدام والالتفات والجناس والتضمين.

العشرون: اشتماله على الألفاظ المشتركة التي يمكن ان يستفاد منها مفاهيم مختلفة كما ورد في النص الشريف:

قال علي بن ابي طالب عليه افضل صلوات المصلين لابن عباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج:

«اذهب اليهم وخاصمهم ولا تخاصمهم بالقرآن فان القرآن حمّال ذو وجوه، تقولُ

١- على الترتيب في سورة النجم، آية ٦١؛ الأسراء، آية ٥٨؛ المدثر، آية ٥؛ الرعد، آية

ويقولون، ولكن خاصمهم بالسنة فأنهم لن يجدوا عنها محيصاً» (١).

يكفيها هذه الوجوه ونذكرها اجمالاً لأننا لا نريد أن نبحت في كل هذه الوجوه بشكل تفصيلي ومن أراد التوسع فليراجع المصادر المختصة بها، ولكننا نبحت عن بعض الوجوه منها التي لها صلة ببحثنا.

من وجوه الإعجاز: التحدي

ان الله تعالى تحدى الناس بان يأتيوا بحديث مثله او بعشر سور او سورة واحدة.

﴿... فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (٢).

﴿... قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ...﴾ (٣).

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَسَهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ...﴾ (٤).

وفي ختام تحديه بعد ثبوت عجز الناس كلهم اجمعين من العرب والعجم وبعد أن ظهرت امارات العجز سواء للمخاطبين او غيرهم الحاضرين او غيرهم الى يوم القيامة، وهذا التحدي عام لكل من الجن والانس قال الله الحكيم:

﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٥).

قال الاستاذ معرفت في كتابه التمهيد:

١- نهج البلاغه، الكتاب ٧٧.

٢- سورة الطور، آية ٣٤.

٣- سورة هود، آية ١٣.

٤- سورة يونس، آية ٣٨.

٥- سورة الاسراء، آية ٨٨.

«هذا التحدى في عمومته يشمل كل الامم وكل ادوار التاريخ، سواء العرب وغيرهم وسواء من كان فى عهد الرسالة ام فى العهود المتأخرة حتى الأبد، اللفظ عام والخطاب شامل» (١).

والدليل على ذلك:

اولاً: عمومية الخطاب فى الآيات نحو يا ايها الناس، يا ايها الذين آمنوا، يا ايها الكافرون، فليس الخطاب متوجه الى العرب فقط حتى يقال ان غيرهم يتمكن من التحدي.

ثانياً: الاسلام هو الدين العالمى الذى يعلو ولا يعلى عليه لنص القرآن الكريم (٢) ورسوله هو رحمة للعالمين (٣) وخاتم النبيين (٤) وكتابه ذكر للعالمين (٥) وقبلته هدى للعالمين (٦) فلا يختص بفتنة خاصة.

ثالثاً: التحدى لا يختص بالفصاحة والبلاغة بل قد يقع بمجموعات من وجوه الاعجاز، التي منها المحتوى والمفهوم للآيات وكيفية تنسيق الكلمات ووحدة الاسلوب... (٧)

١- التمهيد، جلد ٤، ص ٢٣.

٢- سورة التوبة، آية ٣٣.

٣- سورة الأنبياء، آية ١٠٧.

٤- سورة الأحزاب، آية ٤٠.

٥- سورة القلم، آية ٥٢.

٦- سورة آل عمران، آية ٩٦.

٧- أول من انكر الاعجاز هو «ابراهيم بن اسحاق النظام» توفى سنة ٢٣١ وكانت له آراء يختص بها، منها رأيه فى امامة على بن ابي طالب بنص خاص من رسول الله ﷺ وهو على

من وجوه الاعجاز: عدم الاختلاف

ان القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ولا يكذبه شئ مما انزل الله وان الباطل لا يتطرق اليه بائٍ نحو كان.

فالقرآن كان على منهج واحد في النظم، فليس بعضه على وزن والآخر على غيره او كان بعضه على درجة في الفصاحة والآخر على درجة اقل. فلا يشتمل على الغث والسمين، فهو يدعو الناس الى التقرب الى الله تعالى بالتعبد والاقبال على الآخرة دون الدنيا في كل سورة بل كل آية بلاختلاف وترديد. وهذا بخلاف كلام الآدميين، الذي تتطرق اليه هذه الاختلافات لا محالة، لاختلاف الاغراض والاهداف

ما نقله ابو منصور في كتابه قد امضى شبابه مع المشركين وهرمه مع الملحدين، ثم انكر الاعجاز والنسبة من رأس، ثم بعد تكفيره وارتداده عاد وقال: ان القرآن معجز بالصرقة، يعني ان الله تعالى صرف العرب وفصحائهم عن معارضة القرآن واخذ قدرتهم على ذلك.

والجواب عنه واضح، لأن الصرف لا يساوق بالتحدي، كيف يتحدى الله العرب باتيان مثل القرآن او سورة منه مع انه لا يمكن لهم لأنهم مصرفون عن هذا، ليس هذا الا خدعة او عبث، وعلى هذا فبطلان اللازم يقتضى بطلان الملزوم، هذا اولاً وثانياً: هذا القول من النظام ليس الا انكار الاعجاز لأن الاعجاز بالصرف هو الاعجاز بمنع الغير من اتيانه مثلاً او جزء، فلا يكون القرآن معجزاً لأنه مثل ساير الكلام، وثالثاً: لو كان للعرب فصاحة على حد فصاحة القرآن لوجدنا من اشعارهم ونثورهم قبل نزول القرآن وقبل صرفهم عن المعارضة، ولكن المعلوم عدمه.

قد اورد استاذنا معرفت في كتاب التمهيد، ج ٤، ص ١٣٧ الى ١٩٠، بحثاً جامعاً في هذا الموضوع.

بحسب الشرائط المناسبة بحاله أو غير المناسبة له، فهو في كل حال يميل الى شئ فتمت
توفرت الظروف المناسبة لتحقيق اغراضه والوصول الى اهدافه، طفح على لسانه وارتسم
على وجهه، بحيث يمكن ان يقال: ان هذا هو علامة لفقر الانسان الى الله تعالى الغنى
الحميد. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾. (١)

من وجوه الاعجاز: تنسيق الكلمات

ان القرآن على اسلوب متناسقة الفاظه وعباراته ومعانيه، بحيث يحسه القارى حينما
يقرأه على قدر معلوماته ودقته وتوجهه وهو من جمال القرآن.
فالقرآن مشتمل على التناسق اللفظي، وهذا التناسق في تأليف العبارات ونظمها على
اسلوب خاص ذو تأثير نفسى كبير فى قلوب المخاطبين والقارئین.
وايضاً يشتمل على التناسق المعنوى فى بيان الاغراض وتناسب غرض مع الآخر،
حتى يكون الاول تمهيداً للغرض الآخر وهذا حاصل للقرآن بادنى تأمل فى آياته الباهرة
للمحققين.

قال الاستاد معرفت:

«تناسق نظم القرآن وتناسب نغمه جانب خطير من اعجاز القرآن البيانى، لمستته العرب
منذ اول يومها فبهرتهم روعته ودهشتم رثته، فاضعهم للاعتراف فى النهاية بانه كلام
يفوق طوع البشر وانه كلام الله.

انه جانب «اتساق نظمه وتناسب نغمه» وايقاعاته الموسيقية الساطية على
الاحاسيس والأخذ بمجامع القلوب، وهذا الجمال التوقيعى للقرآن يبدو جلياً لكل من

يستمع الى آياته تتلى عليه، ولو كان من غير العرب، فكيف العرب بانفسهم» (١).

وقال سيد قطب:

«من الوان التناسق هو ذلك التنسيق في تأليف العبارات بتخيير الألفاظ ثم نظمها في نسق خاص يبلغ في الفصاحة ارقى درجاتها» (٢).

واليك نموذج من هذا التنسيق الجميل.

١ - تقدم السمع على البصر في اكثر من ثلاثين آية على نحو «اسمع وارى» «سميع بصير» «السمع والبصر» «سميعاً وبصيراً» وذلك لأن جهاز السمع له اهمية خاصة بالنسبة الى جهاز البصر، فهو اؤل عضو يستيقظ وآخر عضو ينام، وهو يدرك غير المحسوسات كالمجردات باستماع اصواتهم، وقلماً يوجد انسان ذافكر وثقافة فاقد للسمع من رأس فالعلوم الحاصلة للانسان من طريق السمع كثيرة جداً بالنسبة الى العلوم الحاصلة عن طريق البصر.

نعم تقدم البصر على السمع في آيات نحو:

﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٣).

﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٤).
﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا

١- التمهيد، ج ٥، ص ١٥٨.

٢- التصوير الفني في القرآن، ص ٧٢.

٣- سورة هود، آية ٢٤.

٤- سورة مريم، آية ٣٨.

نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١﴾

وانما وردت هذه الآيات فى اهل جهنم وذلك لأن الانسان فى يوم القيامة يواجه المشاهد والمواقف والاضطرابات وينظر اليها ثم يذهب للمحاسبة ويسمع كلام الله او الملائكة، او لأنّ السمع والبصر فى القيامة لا يكونان طريقان للفهم والعلم، بل هما كانتا لرؤية الثواب او العذاب واللذة او الالم اللتان تحسان بالبصر وكانتا قويتان من جهات شتى.

وتقديم البصر فى الآية الشريفة:

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿٢﴾﴾

وهي وان كانت لأهل الدنيا ولكن نزلت فى وصف اهل جهنم، فهم فى الدنيا ما بصروا وما سمعوا. وتقديم البصر لانهم فى الدنيا لا يبصرون المشاهدات لبلادتهم وقلة بصيرتهم فكيف بالمسموعات التى تحتاج الى بصيرة وفهم وتدبر.

وفى سورة الكهف:

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٣﴾﴾

فهو فى بيان ان الله تعالى يرى الاعمال كلها فكان الانسان وعمله فى عين الله تعالى فكلّ عمل صدر من الانسان يراه و يسمعه و على هذا فهو وصف لله تعالى وخارج عما

١- سورة السجدة، آية ١٢ .

٢- سورة الاعراف، آية ١٧٩ .

٣- سورة الكهف، آية ٢٦ .

٢- تقدم السارق على السارقة

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (١).

السارق يمكن ان يقتل او يضرب او ينهدم وهذا وامثاله يحتاج الى قوة البدن وبسطة في الجسم وهى فى الرجال اكثر من النساء، فالسرقة بين الرجال اكثر، خصوصاً فى المسروقات ذات القيمة أو الحجم بالنسبة الى النساء، وان كانت النساء يسرقن ايضاً. وفي آية النور، تقدم الزانية على الزانى:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةٍ...﴾ (٢).

لان المردة هي غالباً تدعوا الرجل بكشف زينتها الى الزنا والزنا بالعنف بالنسبة الى الاقسام الاخرى منه قليل، ولان حفظ العفة للمردة ذو اهمية شديدة، ولأن الشهوة في النساء اكثر من الرجال بعشر، لكنها بطيئة بالنسبة لهن واما شهوة الرجال قليلة و سريعة بالقياس اليها، فالمرثة التى اظهرت زينتها فترنى، ذنبها اعظم من الرجل الزانى السريع الشهوة، فلذلك قدم القرآن الزانية على الزاني.

٣- تقدم سلام على عليك، فى السور المختلفة كسورة الانعام، ٥٤؛ الاعراف، ٤٦؛ هود، ٤٨؛ الرعد، ٢٤؛ النحل، ٣٢؛ مريم، ٤٧؛ النور، ٦١؛ القصص، ١٥٥؛ او ذكرها وحده فى تسع وعشرين موضعاً، نقول: انّ فى الدعاء، بالخير، يقدم الدعا على المدعوله، لأنّ النفس تشتهى الى ما يتلذذ منها في ما يسمع اوّل كلامه وعلى هذا متى كان الدعاء بالشرّ

١- سورة المائدة، آية ٣٨.

٢- سورة النور، آية ٢.

مراده تعالى، تقدم الجبر، لإيجاد حزن أكثر واختصاص المدعوله بذلك الحزن لا غيره نحو:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّغْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (١).

﴿... وَلَكِنَّ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢).

وتأخر الجبر في ما يلي لتقدمها في نفس الآية التي قبلها.

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ

عَلَيْهِمْ دَآيِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (٣).

٤- تقدّم «به» في آية وتأخره في آيات أخرى، فقد ورد في سورة البقرة:

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَن اضْطُرَّ غَيْرَ

بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤).

وفي سور الاخرى:

﴿... أَهْلًا لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ...﴾ (٥).

فتقديم «به» في الاولى دون الطائفة الثانية من الآيات على الأصل لأنه كالهزمة

والتضعيف لافادة التعدية، وتأخيره لتقدم المكره الذي هو المناط للحرمة.

٥ - رعاية الاختصار في آية:

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَسْمَأْ أَفْلَحِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ...﴾ (٦).

١- سورة الحجر، آية ٣٥.

٢- سورة النحل، آية ١٠٦.

٣- سورة الفتح، آية ٦.

٤- سورة البقرة، آية ١٧٣.

٥- سورة المائدة، آية ٣؛ سورة الانعام، آية ١٤٥؛ سورة النمل، آية ١١٥.

٦- سورة هود، آية ٤٤.

فيها عدة من الكلمات الخاصة وردت لرعاية الاختصار، فمثلاً جاء بـ«الماء» بدل «الطوفان» و«السماء» بدل «السحاب» و«الأمر» بدل «امر نوح» و «اقلعى» بدل «اقلعى مطرك» و... وانما جاء بلفظة «يا» من حروف النداء، بدل الحروف الاخرى لكثرة استعمالها ويدل على بعد المنادى الذى يشير الى عظمة الله تعالى، وجاء «ابلى» و«اقلعى» للتجانس والاختصار وقدم الأرض على السماء، لابتداء الطوفان من الأرض.

٦- ضمير الغائب والحاضر في الآيتين التاليتين

﴿... وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...﴾ (١).

﴿... وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَقْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ...﴾ (٢).

ففي الأنعام، حَرَّمَ قتل الاولاد لفقر آبائهم فقدّم ذكر الآباء بضمير المخاطب، لانهم الفقراء، ولكن في الثانية نهى عن قتل الأولاد لفقر آبائهم في المستقبل، الذي نستفيده من كلمة «خشية» فالمناسب لهذا ان يقدّم الابناء، لازالة هذا الخوف.

٧- تقدم جهاد النفس على جهاد المال او تأخره نحو:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ أَلْحَنَةٌ...﴾ (٣).

تقدم النفس على المال، لأنّ الجهاد واجب على من له الاستطاعة للخروج، والذي لم يستطع، لا يسقط عنه الجهاد من رأس، بل لا بد له من ان يجاهد بامواله وفي آيات كثيرة تقدم المال على النفس، لأنّ المال كان مطلوباً للانسان فيلزم له ان يجاهد بامواله لأنّه مما يحبّه حبا جماً ولعله يكون في بعض الاحيان اشد حبا من الأولاد و من نفسه ولن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما يحبون.

١- سورة الانعام، آية ١٥١.

٢- سورة الاسراء، آية ٣١.

٣- سورة التوبة، آية ١١١.

من وجوه الاعجاز: الاعجاز العددي

التمائل العددي والتكرار الرقمي والتوازن في الموضوعات كان من صور الاعجاز التي لا يمكن لأحد ان ينكرها.

ورد لفظ «صلوة» ٦٨ مرة وبنفس القدر لفظ «النجاة» ومشتقاتها.

ورد لفظ «المصيبة» ومشتقاتها ٧٥ مرة وبنفس العدد لفظ «الشكر» ومشتقاتها.

ورد لفظ «الدنيا» ١١٥ مرّة وبنفس العدد لفظ «الآخرة».

ورد لفظ «البصر» و «البصيرة» و مشتقاتهما ١٤٨ مرة وبنفس العدد لفظ «الفواد»

و«القلب» ومشتقاتهما.

ورد لفظ «الملائكة» ونحوه ٨٨ مرة وبنفس العدد لفظ «الشياطين» ونحوه.

ورد لفظ «ابليس» ١١ مرة «وبنفس العدد الاستعاذة منه.

ورد لفظ «يوم» ٣٦٥ مرة.

ورد لفظ «الشهر» ١٢ مرة.

ورد لفظ «الجزاء» ١١٧ مرة والمغفره منها ضعف ذلك وهو ٢٣٤ مرة.

ورد لفظ «الرجز» ١٠ مرة ولفظ «الرجس» ايضا ١٠ مرة.

ورد لفظ «الحياة» ومشتقاتها ١٤٥ مرة وبنفس العدد لفظ «الموت» ومشتقاتها.

ورد لفظ «النفع» ٥٠ مرة، وبنفس العدد لفظ «الفساد».

ورد لفظ «الحرب» ٦ مرة ولفظ «الأسرى» ومشتقاتها ٦ مرة.

ورد لفظ «السيئات» ٦٧ مرة على قدر لفظ «الصالحات».

ورد لفظ «الجهر» ١٦ مرة على قدر لفظ «العلانية».

ورد لفظ «الضلالة» ١٩١ مرة ولفظ «الآيات» ضعف ذلك وهو ٣٨٢ مرّة.

الى هنا، وبعد ان ذكرنا بعض وجوه الاعجاز وبحثنا عنها قليلا اقول:

ان التحدى العام لكل من الناس من وقت النزول الى النفخة الاولى، لفظاً ومعناً، يدل على فصاحة كل من الآيات بحيث لا يمكن ان نقول بفصاحة بعض دون بعض وكذا بلاغته.

فانّ عدم الاختلاف في الآيات ونظمها ووحدة منهجها وتنسيق كلماتها وتناسب المعاني والاعراض فيها والاعجاز العددي كتساوى استعمال الكلمات المتضادة والمترادفة حتى انه لو أُبدل لفظ مكان لفظ لأختل المعنى ولظهر فيه عدم التناسق، فهذا كله يوصلنا ويهديننا الى النتيجة المطلوبة وهي قولنا انه لا يوجد في القرآن المعجز آية مكررة أصلاً.

الثالث: ترتيب السور

اختلف العلماء في ترتيب السور هل هو بتوقيف من النبي ﷺ او باجتهاد من الصحابة. وقد قال السيوطي بعد نقل آراء القائلين بالتوقف:

«والحاصل اني اقول: ترتيب كل من المصاحف بتوقيف واستقرّ التوقيف في العرصة الأخيرة على الترتيب العثماني»^(١).

ثم السيوطي قد كلّف نفسه لبيان مناسبة السور القرآنية لما قبلها وبعدها. الزركشى أيضاً رجّح القول بالتوقيف وبين وجه التناسب في بعض السور. وقد ألف «برهان الدين البقاعي» كتاباً وسماه «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» في ٢٢ مجلداً وتكلّف على نفسه كلفة لبيان بعض المناسبات حتى انه زعم ان سورة الناس لها

١- تناسق الدرر في تناسب السور، حقّقه محمّد درويش، ص ٣١ وترتيب السور، حقّقه سيد جميلي، ص ٣٦.

مناسبة شديدة بالفاتحة، فالسور القرآنية كأنها حلقة لا لها ابتداء ولا انتهاء.

قال في هذا المجال:

«وَقَدَّمَ التَّعَوُّذَ الَّذِي هُوَ مِنْ دَرَةِ الْمَفَاسِدِ تَعْظِيماً لِلْقُرْآنِ، بِالْإِشَارَةِ إِلَى أَنْ يَتَعَيَّنَ لِتَالِيهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي تَصْفِيَةِ سِرِّهِ وَجَمْعِ مَتَفَرِّقِ أَمْرِهِ لِيُنَالَ سُؤْلُهُ وَمِرَادُهُ مِمَّا أَوْدَعَهُ مِنْ خَزَائِنِ السَّعَادَةِ بِاعْرَاضِهِ عَنِ الْعُدُوِّ الْحُسُودِ وَأَقْبَالِهِ عَلَى الْوَلِيِّ الْوُدُودِ، وَمِنْ هُنَا تَعْرِفُ مَنَاسِبَةَ الْمُعَوِّذَتَيْنِ بِالْفَاتِحَةِ» (١).

من أدلة القائلين بتوقيفية السور:

١ - قد نزل القرآن كله في ليلة القدر إلى السماء الدنيا أو إلى بيت المعمور، أو إلى قلب النبي ﷺ مرة واحدة.

٢ - قال النبي ﷺ: أعطيت السبع الطوال مكان التوراة وهو نفسه قد بين هذه السور، سمّاه بالسبع الطوال.

٣ - الترتيب الفعلي في القرآن يحكى عن توقيفيته لأنه على خلاف الأسلوب العادي، فمثلاً أتت الحواميم ولواء ومتابعة ولكن لا يوجد ترتيب بين المسبّحات.

ومثلاً تقدم سورة الانفال وآياتها ٧٥ على سورة البراءة وآياتها ١٢٩ وهي على سورة يونس وآياتها ١٠٩ وهي على سورة هود وآياتها ١٢٣ وهكذا.

فإن كان الترتيب بيد الصحابة واجتهادهم تطويلاً وتقصيراً، وتفصيلاً وموجزاً، يلزم رعاية هذه النكات.

٤ - لا شك بأن الصحابة لخالفوا وعارضوا هذا المصحف الموجود بأيدينا لو كان

١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج ١، ص ٢٢، طبع القاهرة وص ١٢، طبع

بيروت.

ترتيبه على خلاف ما رتبته رسول الله ﷺ. نعم ما نقل من مصحف امير المؤمنين على عليه السلام
وانه على ترتيب النزول من سورة القلم الى... او مصحف ابن مسعود بتقديم الأعراف على
الانعام ومصحف ابو علي على عكسه، فهذه المصاحف لم تكن مجرد مصحف بل تشتمل
على التأويل والتفسير واسباب النزول وغيرها مما نحتاج اليه لتفسير وتبيين الآيات اكثر
من هذا.

فقد انكر التناسب بين السور «سلطان العلماء عز الدين عبدالعزيز عبدالسلام» وقال:
«ان القرآن نزل في تيف وعشرين سنة في الأحكام المختلفة شرعت لاسباب مختلفة،
وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، اذ لا يحسن ان يرتبط تصرف الاله في خلقه
وأحكامه بعضها ببعض مع اختلاف العلل والأسباب» (١).

وقال الاستاذ معرفت في تمهيد:

«لا مناسبة ذاتية بين كل سورة وسابقتها وتالياتها، سوى ما زعم بعض المفسرين
المتكلفين وهو تحمل باطل بعد اجماع الامة على ان ترتيب السور كان على خلاف
ترتيب النزول بلاشك» (٢).

اقول: وان كانت دلائل القائلين بتوقيفية السور لاتخلو من اشكال سيما الدليل الرابع
التي نقلناه وهو واضح ولكن لابد من التناسب الذاتي مع كل سورة مع ما تقدمها وما تأخر
عنها. لأن الكتاب وان احتوى على وقايح مختلفة، لكن بما انه كتاب معجز من عند حكيم
فلا بد ان يحتوى على تناسب بين السور.

مضافاً الى ان الترتيب في الآيات توقيفى و سنبحث عنها، ونعلم ان السورة بما فيها

١- نظم الدرر، ج ١، ص ٧، طبع القاهرة.

٢- التمهيد، جلد ١، صفحه ٢٢٤.

من الآيات، ما ينزل مرة واحدة كثيراً، فالذي يقول بتناسب الآيات مع اختلاف زمان نزولها، يسجل له ان يقول بتناسب السور ايضاً.

وما قاله استاذنا بأن ترتيب النزول على خلاف الترتيب الموجود باجماع الامة، وان كان صحيحاً ولكن لا يضرنا، لأن الذي يقول بتناسب السور، يقول ان رسول الله ﷺ رأى فيها المناسبة فرتبها.

والعجيب ما قاله سلطان العلماء، فهو انكر ربط الآيات لانها نزلت في سنوات عديدة، فهذا على فرض صحته، يبطل الربط بين السور القرآنية على حسب النزول فحسب، لا على حسب الترتيب الموجود.

نعم عند ما ننظر الى وجوه التناسب للسور القرآنية في ترتيب السور للسيوطي او نظم الدرر للبقاعي وغيرهما، نرى تكلفاً باهت بما لا يسمن ولا يغنى من جوع، بل ليس بعضها إلا تفسير بآراء شخصية لا يمكن تحصيلها من القرآن بسهولة بل بمؤنة، وليس بعضها إلا الاستحسانات الظنية المردودة او العناوين العامة المنطبقة على السورتين وغيرهما، بل العمومية التي ذكرت لبعض المناسبات يمكن ان نقولها لأكثر السور القرآنية. هذا ولكن الخوض في هذا الموضوع يتطلب بحثاً مستقلاً.

الرابع: ترتيب الآيات

الترتيب بين الآيات توقيفي وهو يستلزم وجود التناسب بين الآيات، لأن رسول الله ﷺ رتب الآيات بحكمته وتديره. خلافاً لبعض عندما لم يجد تناسباً بين الآيات فيقدم على رفض التناسب و لكن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود.

قال الزركشي في البرهان:

«أما الآيات في كل سورة، ووضع البسملة اوائلها فترتيبها توقيفي بلاشك ولا خلاف

وقال القيسى في المقدمة:

«وترتيب الآيات في السور ووضع البسملة في الاوائل هو من النبي ﷺ ولما لم يأمر بذلك في أول برائة، تركت بلا بسملة» (٢).

قد يعبر عن المناسبة بين الآيات بالسياق، وهو سبب لكشف القناع عن اللفظ والآية التي نريد ان نفهمها وله اثر واضح في تفسير الآيات ولا يمكن انكاره.

مع ان للسياق دور مهم لفهم المترادفين والمتباينين بل لجميع الألفاظ القرآنية، وسبيل وجيه للتفصيل بين السور المكية والمدنية وترجيح بعض القرائات على بعض.

وقال ابن القيم الجوزية:

«السياق من اعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن اهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته» (٣).

نعم، قد تفهم المناسبة بين الآيات بسهولة في كثير من الآيات ولكن قد يوجد في بعضها غموض بدوى فيها يحتاج الى تدبر ودقة لكشف المناسبة، فمثلاً:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْإِهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٤).

فما هي المناسبة بين الاهلة والعلم بمواقيت الناس و بين البر و اتيانها من بابها لا من

١- البرهان، ج ١، ص ٣١٦.

٢- المقدمة، ص ٢٧٥.

٣- الوجوه والنظائر لسلى محمد، ص ٦٢.

٤- سورة البقرة، آية ١٨٩.

قال الفخر الرازي في تفسيره:

«ذكروا في تفسير الآية ثلاثة اوجه، الاول: وهو قول اكثر المفسرين، حمل الآية على هذه الاحوال التي روينها في سبب النزول، الا ان على هذا التقدير صعب الكلام في نظم الآية. فان القوم سألوا رسول الله ﷺ عن الحكمة في تغيير نور القمر، فذكر الله تعالى الحكمة في ذلك وهي قوله «قل هي مواقيت للناس والحج» فإي تعلق بين بيان الحكمة في اختلاف نور القمر وبين هذه القصة، ثم القائلون بهذا القول اجابوا عن هذا السؤال من وجوه احدها: ان الله تعالى لما ذكر ان الحكمة في اختلاف احوال الاهلة جعلها مواقيت للناس والحج، وكان هذا الأمر من الأشياء التي اعتبروها في الحج لاجرم تكلم الله تعالى فيه، ثانيها: أنه تعالى وصل قوله (وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها)، بقوله «يسألونك عن الاهلة» لأنه أنما اتفق وقوع القصتين في وقت واحد فنزلت الآية فيهما معا في وقت واحد ووصل احد الأمرين بالآخر. وثالثها: كانهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال الاهلة، فقبل لهم: اتركوا السؤال عن هذا الأمر الذي لا يعنيكم وارجعوا الى ما البحث عنه اهم لكم، فانكم تظنون ان اتيان البيوت من ظهورها برّ وليس الأمر كذلك.

القول الثاني: ... مثل ضرب الله لهم، وليس المراد ظاهره وتفسيره... أنه قد ثبت بالدلائل ان للعالم صناعا مختارا حكيما، وثبت ان الحكيم لا يفعل الا الصواب البرئ عن العبث والسفه، ومتى عرفنا ذلك، وعرفنا ان اختلاف احوال القمر في الثور من فعله، علمنا ان فيه حكمة ومصلحة ... فجعل اتيان البيوت من ظهورها، كناية عن العدول عن الطريق الصحيح، واتيانها من ابوابها كناية عن التمسك بالطريق المستقيم....

الثالث: ما ذكره ابو مسلم، ان المراد من هذه الآية ما كانوا يعملونه من النسئ، فأنهم كانوا يخرجون الحج عن وقته الذي عينه الله له فيحرمون الحلال ويحلون الحرام، فذكر

اتيان البيوت من ظهورها مثل لمخالفة الواجب في الحج وشهوره» (١).

قال الشيخ الطبرسي رحمه الله :

«فيه وجوه، احدها: أنه كان المحرمون لا يدخلون بيوتهم من ابوابها، ولكنهم ينقبون في ظهر بيوتهم، اى في مؤخرها نقبا يدخلون ويخرجون منه فنهوا عن التدين بذلك...
وثانيها: ان معناه ليس البرّ ان تاتوا البيوت من غير جهاتها و ينبغى أن تاتوا الأمور من جهاتها اى الامور كان وهو المروى عن جابر عن ابي جعفر عليه السلام... ووجه اتصال قوله «ليس البر» بقوله «يسألونك» أنه لما بين ان الأهله مواقيت للناس والحجّ وكانوا اذا احرموا يدخلون البيوت من ورائها عطف عليها قوله «وليس البرّ» وقيل: أنه لما بين ان امورنا مقدرة باوقات، قرن به قوله «وليس» اى فكما اموركم مقدرة باوقات، فلتكن افعالكم جارية على الاستقامة باتباع ما امر الله به والانتها عما نهى عنه» (٢).

ومثال آخر

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي آلَيْسَمَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ...﴾ (٣).

لسائل ان يقول ما هي المناسبة بين القسط في اليتامى والنكاح؟ ولكن بعد التأمل نراى مواقع للنظر في الآية ونكتشف مناسبات عديدة.

فقال الشيخ الطوسى رحمه الله عليه في تفسيره:

«اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية على ستة اقوال: اولها، ما روى عن

١- التفسير الكبير، ج ٥، ص ١٣٦.

٢- تفسير مجمع البيان، ج ٢، ص ٢٧.

٣- سورة النساء، آية ٣.

عائشة انها قالت: نزلت في اليتيمة التي تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بدون صداق مهر مثلها، وامروا ان ينكحوا ما طاب مما سواهن من النساء... والثاني، قال ابن عباس وعكرمة: ان الرجل منهم كان يتزوج الاربع والخمس والست والعشر، ويقول ما يمنعني ان اتزوج كما تزوج فلان، فاذا فنى ماله مال على مال اليتيم فانفقته، فنهاهم الله تعالى ان يتجاوز بالأربع ان خافوا على مال اليتيم وان خافوا من الأربع أيضاً ان يقصروا على واحدة....

والثالث.... ايضا ما روى عن ابن عباس: كانوا يتشددون في امر اليتامى ولا يتشددون في النساء ينكح احدهم النسوة فلا يعدل بينهن، فقال تعالى كما تخافون ان لا تعدلوا في اليتامى، فخافوا على النساء....

والرابع، قال مجاهد: ان خفتهم، معناه: ان تخرجتم من ولاية اليتامى واكل اموالهم وايماناً وتصديقاً، فكذلك تخرجوا من الزنا وانكحوا النكاح المباح....

والخامس، قال الحسن: ان خفتهم ان لا تقسطوا في اليتيمية المرباة في حجركم فانكحوا ما طاب لكم من النساء ما احل لكم من يتامى قراياتكم

والسادس، قال الفراء: المعنى ان كنتم تخرجون من مأكلة اليتامى فاحرجوا من جمعكم بين اليتامى ثم لا تعدلون بينهن والتقدير: فان خفتهم الا تقسطوا في اموال اليتامى فتعدلوا فيها فكذلك فخافوا الا تقسطوا في حقوق النساء فلا تتزوجوا منهن الا من تأمنون معه الجور...» (١).

وهذه الوجوه الستة التي نقلها ايضاً صاحب مجمع البيان (٢) وذكر بعضها الرازي (٣)،

١- تفسير التبيان، ج ٣، ص ١٠٣.

٢- تفسير مجمع البيان، ج ٣، ص ١٤.

٣- التفسير الكبير، ج ٩، ص ١٧٨.

وعليه فإنّ للسياق دوراً عظيماً في تبين الجمل وتعين المحتمل والقطع باحتمال غيرالمراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة فهو من اعظم القرائن الدالة على المراد ومن اهم ادوات البلاغة في فهم اللغة، حتّى ذهب بعض ان اللفظ لا يدل بنفسه على المعنى بل يدل بإرادة اللفظ منه بحيث لو خلا عنها لم يكن دالاً، هذا في كلّ كلام وعند كلّ لغة فضلا عن كلام الله تعالى المعجز للبشر ببلاغته وفصاحته الى ختم العالم حتّى قيل ان احسن طرق التفسير ان يفسّر القرآن بالقرآن، الذي ذهب اليه ابن القيم والزركشى ونهج العلامة الطباطبائي رحمه الله هذا المنهج في تفسيره العظيم (الميزان) كما قيل.

الخامس: الروح العامة للسور القرآنية

عند ما ننظر الى سورة من سور القرآن نرى فيها حركة خاصة من مبدأها الى منتهاها وكأنّها تخطو خطوة خطوة.

فكل سورة تبدأ بشيء وتنتهى الى شيء آخر، لها مبدء حسن وختام جيد، فكل من المبدأ والخاتمة وما بينهما، يختص بموضوع واحد وان كان عاما، بالعبارات والآيات المتلائمة.

قال الاستاذ معرفت:

«ومما يسترعى الانتباه ما تشتمل عليه كل سورة من اهداف خاصة تستهدفها لغرض الايفاء بها واداء ما فيها من رسالة بالذات، الأمر الذي يوجّه مصير انتخابها في كيفية لحن الاداء وفي كمّية عدد الآيات، ينبئك بذلك اختلاف السور في عدد الآى، قليلها وكثيرها، فما لم تستوف الهدف لم تكتمل السورة قصرت ام طالت... هذا مضافا الى ما لكل سورة من حسن مطلع ولطف ختام، فلا بدّ ان تحتضن مقاصد هي متلائمة مع هذا البدء والختام،

وبذلك يتمّ حسن الائتلاف والانسجام» (١).

وقال سيد قطب:

«والتناسق الألوان و درجات، منها ذلك التسلسل المعنوى بين الاغراض في سياق الآيات والتناسب في الانتقال من غرض الى غرض» (٢).

وقال محمّد محمّد المدني:

«ان في كل سورة من سور القرآن الكريم روحاً تسرى في آياتها وتسيطر على مبادئها واحكامها وتوجيهاتها واسلوبها» (٣).

فانظر الى سورة الحمد:

قال البقاعى نقلاً عن غيره:

«وكانت سورة الفاتحة أمّا للقرآن، لأن القرآن جميعه مفصل من مجملها، فالآيات الثلاث الاول، شاملة لكل معنى تضمنه الأسماء الحُسنى والصفات العلى، فكلّ ما في القرآن من ذلك، فهو مفصل من جوامعها، والآيات الثلاث الآخر من قوله «اهدنا» شاملة لكل ما يحيط بامر الخلق في الأصول الى الله والتحيز الى رحمة الله والانتقطاع دون ذلك، فكل ما في القرآن منه فمن تفصيل جوامع هذه، وكل ما يكون وصلة بين ذلك مما ظاهره من هذه من الخلق ومبدؤه وقيامه من الحق فمفصل من آية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٤).

فالحمد وهي أمّ القرآن مشتملة على كل القرآن باجمال، فهي روح القرآن فالسورة

١- التمهيد، ج ٥، ص ٢٤٦.

٢- التصوير الفنى، ص ٧٣.

٣- التمهيد، ج ٥، ص ٢٤٧.

٤- نظم الدرر، ج ١، ص ٢٢.

مشملة على موضوعات ثلاث وهي:

الاولى: التمجيد والتحميد لله تعالى وبيان علة تكميده وهو ربوبية ورحمته ومالكته
للدنيا والآخرة.

والثاني: بعد الاقرار بهذه الاوصاف التي لا توجد في احد غيره وهو غنى وغيره فقر
محض، لابد من الانقطاع اليه.

والثالث: فبعد الانقطاع اليه كمال الانقطاع، والايصال والقرب اليه تعالى، يمكن للعبد
ان يسئل حاجته، للدنيا والآخرة فقال: ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ...﴾.

ثم انظر الى سورتي الفلق والناس:

الروح العامة في هذين السورتين، هو اعتصام الانسان الذي سلك المسالك خطوة
خطوة ولبس لباس الهداية في اول سيره، وعمل باحكام الدين وتخلق باخلاق الله وبشر
وأُذِر وعرف ربّه واصافه باوصافه الثبوتية وطرح الصفات السلبية عنه تعالى، ختم
السيرة بالانقطاع عن الخلق الظاهر والباطن ظاهراً من مخلوقاته من الاجسام وباطنا من
الانسان المطبوع على الشر والشرّ كامن في نفسه.

ثم تمسك بعالم الأمر وهو خير محض برئ من الشرّ.

فعند هذه الدقة في كلّ من السور القرآنية تجد أنّه يختلف عن غيره من الكتب اختلافاً
جذرياً بل تجد فيه روحاً واحدة نفخت في كلّ آية من آياته وقد تعرض لذلك من العلماء
«الفيروز آبادي» المتوفى ٨١٧ فصنف كتاباً^(١) لبيان الأهداف والمقاصد للسور القرآنية
وتبعه في ذلك «محمّد عبده» فكان اساس تفسيره على فهم فكرة السورة وموضوع الآية

١- بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز .

لفهم الآيات (١).

فعندما نقول بالتناسب بين السور والتناسب بين الآيات بسياق واحد وروح واحدة من المطلع الى الختام بالقاء هدف واحد في كل من السور، لابدان نقول، ان الآيات التكرارية لفظاً في كل موضع من القرآن تلقى معنى خاصاً يتناسب مع ما قبلها وما بعدها من الآيات، وكانت لها روحاً خاصة مطابقة للروح العام في نفس السورة التي هي فيها، المتغايرة مع غيرها في مواضع اخرى.

السادس: تكرار النزول

صرّح جماعة من المتقدمين والمتأخرين بأنّ من القرآن ما تكرر نزوله للتذكير والموعظة ونحوهما، فقد قبل تكرار نزول بعض من السور القرآنية في مكة والمدينة. مع ان التحديد في السور القرآنية بمكة ومدّية، ليست باجماعية، بل الاجماع قائم على ان بعض السور كانت مختلفة حتّى قال الاستاذ معرفت في كتابه:

«لكن هذا التحديد (تحديد السور القرآنية من سورة العلق الى المطففين مكة ومن البقرة الى البرائة مدّية) لم يكن متفقاً عليه عندالجميع، فهناك في اكثر من ثلاثين سورة خالف بعضهم» (٢).

وقد نقل السيوطي في الانتقان السور المختلفة فيها وهي اثنتا عشرة سورة. هذا، مع أنّه قد قيل بنزول بعض السور القرآنية مرّتين، مرّة بمكة ومرّة بالمدينة. قال الاستاذ معرفت في هذا الصدد:

١- منهج الامام محمّد عبده في تفسير القرآن، لعبدالله محمود شحاته.

٢- التمهيد، ج ١، ص ١٤٦.

«لا يبعد نزول سورة التوحيد مرتين ولكن معناه أنّ الثانية كانت تذكيراً للنبيّ بمناسبةها الحاضرة» (١).

وهذا أي نزول السور المختلفة فيها مرتين، هو وجه الجمع بين الآراء المختلفة والروايات المشتملة عليها.

هذا كلّ مع أنّه قد ذكر لآية واحدة اسباب مختلفة ومتعددة او اختلف في سبب نزول آية واحدة.
فمثلاً:

قال الطبري في تفسير هذه لآية الشريفه:
«وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوِقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» (٢).
«قد اختلف اهل التأويل في السبب الذي من اجله نزلت هذه الآية» (٣).
قال السيوطي في تفسيره:

«فاخرج ابن سعد والبخاري وابن المنذر وابن مردويه وغيرهم عن ابي هريرة ان النبي ﷺ وقف على «حمزة» ابن عبدالمطلب حين استشهد، فنظر الى منظر لم ير شيئاً قطّ كان اوجع لقلبه منه، ونظر اليه وقد مثل به، فقال: رحمة الله عليك فإنك كنت ما علمت وصولاً للرحم فعولاً للخيرات، ولو لا حزن من بعدك عليك لسرّني ان اتركك حتّى يحشرك الله من ارواح شتى، اما والله لا مثلن بسبعين منهم مكانك، فنزل جبرئيل والنبي ﷺ واقف بخواتيم النحل «وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم»، فكفر النبي ﷺ عن يمينه وامسك عن الذي اراد وصبر.

١- المصدر، ص ١٦٣.

٢- سورة النحل، آية ١٢٦.

٣- تفسير جامع البيان، ج ١٤، ص ٢٥٣.

وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف وابن جرير عن الشعبي، قال: لما كان يوم أحد وانصرف المشركون فرأى المسلمون باخوانهم مثلة، جعلوا يقطعون آذانهم وآنافهم ويشقون بطونهم، فقال اصحاب رسول الله ﷺ: لئن انا لآنا الله منهم لنفعلن ولنفعلن... فانزل الله «وان عاقبتهم» الآية، فقال رسول الله ﷺ: بل نصبر.

واخرج ابن جرير وابن مردويه، عن ابن عباس في قوله: (وان عاقبتهم...) قال: هذا حين امر الله نبيه ان يقاتل من قاتله، ثم نزلت البرائة وانسلاخ الاشهر الحرم، قال: فهذا من المنسوخ.

واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن زيد قال: كانوا قد امروا بالصفح عن المشركين فاسلم رجال ذو منعة، فقالوا: يا رسول الله، لو اذن الله لنا لانتصرنا من هؤلاء الكلاب، فنزلت هذه الآية ثم نسخ ذلك بالجهاد^(١).

والفخر الرازي قد نقل عن الواحدى السبب الأول والثالث و اضاف:

«والقول الثالث: انّ المقصود من هذه الآية نهى المظلوم عن استيفاء الزيادة من الظالم، وهذا قول مجاهد والنخعي وابن سيرين»^(٢).

ونقل الطبرسى في تفسيره مجمع البيان عن الحسن:

«نزلت الآية قبل ان يؤمر النبي ﷺ بقتال المشركين على العموم وامر بقتال من قاتله»^(٣).

وايضاً قد ذكر في سبب نزول الآية التالية سببين مختلفين.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا

١- تفسير الدر المنثور، ج ٥، ص ١٧٩.

٢- تفسير الكبير، ج ٢٠، ص ١٤٣.

٣- تفسير مجمع البيان، ج ٦، ص ٢١١.

قال السيوطى في تفسيره الدر المنثور:

أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، عن مجاهد رضى الله عنه في قوله: «يسئلونك عن الروح» قال: يهود يسألونه.

وأخرج أحمد والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن حبان وابن مردويه، وأبونعيم والبيهقى معا في الدلائل عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: كنت امشى مع النبي ﷺ في خراب المدينة، وهو متكى على عسيب، فمرّ بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض، سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه فسألوه فقالوا: يا محمد، ما الروح؟ فما زال يتوكأ على العسيب وظننت أنه يوحى إليه، فانزل الله «يسألونك عن الروح قل الروح...».

وأخرج أحمد والترمذى وصححه [و] النسائى وابن المنذر وابن حبان وابوالشيخ في العظمة والحاكم وصححه وابن مردويه وابونعيم والبيهقى كلاهما في الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قالت قريش لليهود اعطونا شيئا نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه، فنزلت «ويسألونك عن الروح...» (٢).

وانت تعرف كم من الفرق بين هذين السببين، فالسبب الأول يقول بأن الآية نزلت في المدينة والسبب الثاني يقتضى بأنها نزلت في مكة.

نعم ان كان أحد من السببين أو الأسباب المختلفة لآية واحدة راجح سنداً أو متناً، فهو ولكن ان لم يكن كذلك فاعمال الروایتين أو الروایات اولی من اھمال بعضهم اذ لا يمكن

١- سورة الاسراء، آية ٨٥.

٢- تفسير الدر المنثور، ج ٥، ص ٣٣١.

ان نأخذ بواحدة ونرد الاخرى بغير سبب وذلك ليس الا ترجيحاً بلا مرجح، فلا يمكن إلا الأخذ بكل من الأسباب الصحيحة سنداً أو متناً، او الأسباب التي في درجة واحدة من كلتا الجهتين، فمع هذا يمكن للقاتل بأن يقول ان الآية نزلت متكررة.

نعم لا يمكن قبول هذا القول بسهولة ولكن عند ملاحظة اخبار الباب و على فرض حصول القطع بصحة كلها أو كانت على درجة واحدة لا محيص لنا إلا الاعتراف بما ذكرنا.

هذا، فبعد ان عرفت عدم نقص شي من القرآن ولا زيادة فيه وان القرآن قد جمع آياته ونظمها رسول الله ﷺ، حسب رأينا في تاريخ القرآن ولا مجال هنا للبحث عنه، ونعرف أيضاً ان المؤمنين يدققون كمال الدقة لحفظ القرآن وكتابته حتى حروفه وحتى «واوه» فضلاً عن آياته، فهنا نقول:

ان الحكمة الالهية تقتضى بعدم كتابة السور التكرارية ولذلك لم يأمر رسول الله ﷺ بكتابتها مرتين او مرات، فعند ما نعترف بأن من السور القرآنية قد تكرر نزولها وما ثبت في القرآن إلا مرة واحدة، لأبد ان نعترف بأنه لو كان في القرآن تكرار فلا بد ان يثبت منها آية واحدة على الاقل فإثبات الآيات المتماثلة يدلنا الى ما ذكرنا وهو ان هذه الآيات ليست بتكرار قط.

السابع: للقرآن نزولان

ان القرآن الموجود بايدينا او روحه العامة، نزل الى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة او الى البيت المعمور او الى قلب النبي الأكرم ﷺ ثم نزل بعد ذلك منجماً على حسب الوقائع والشئون مما يقرب الى عشرين سنة وهذا مقتضى الجمع بين الآيات الدالة على نزول القرآن في ليلة واحدة، في شهر رمضان ونزوله بسبب من الأسباب وللحوادث

الواقعة و عليه روايات كثيرة منها:

«حفص بن غياث، عن ابي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزوجل «شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن» وأما انزل في عشرين سنة، بين اوله وآخره، فقال: ابو عبدالله عليه السلام نزل القرآن جملة واحدة في شهر رمضان الى البيت المعمور، ثم نزل في طول عشرين سنة، ثم قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم في أول ليلة من شهر رمضان، وأنزلت التورية لست مضين من شهر رمضان، وأنزل الانجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وأنزل الزبور لثمان عشرة خلون من شهر رمضان وأنزل القرآن في ثلاث وعشرين من شهر رمضان» (١).

والطبرى في تفسيره قد نقل أخبارًا كثيرة بهذا المضمون (٢).

وهنا اقوال آخر لا يعابها وهو:

١- ان القرآن نزل تدريجاً وليلة القدر كانت ابتداء نزوله.

٢- ما يحتاج اليه الناس في سنة واحدة نزل في ليلة القدر.

٣- آيات الصيام من القرآن نزلت في ليلة القدر.

٤- اكثر آيات القرآن نزلت في ليلة القدر.

فظاهر القرآن والآية التي نبحت فيها والصيغة المستعملة «انزل» ورجوع الضمير الى الكل يرد هذه الاقول عدا الوجه الاول وهو من الشيخ المفيد رحمة الله عليه في تصحيح الاعتقاد والسيد المرتضى في جواب المسائل الطرابلسيات ومال اليه الاستاذ معرفت في تمهيده ولكن لما كانت هذه المسئلة من المسائل الثقيلة المحضة ولا دخل للعقل فيها،

١- تفسير البرهان، ج ١، ص ١٨٢.

٢- تفسير جامع البيان، ج ٢، ص ١٩٦ الى ١٩٨.

تبعاً للروايات الصريحة في الباب، نقول بنزول القرآن دفعةً واحدة في ليلة القدر وتدرجاً في فترات طول نيف وعشرين سنة لأنّ الصراحة في رواية «حفص» وغيرها وعبارات نحو «القرآن» و «جملة واحدة» لا يمكن رفع اليد عنها.

وبعد القول بان للقرآن نزولين وله نزول دفعي في ليلة واحدة فلا فائدة للتكرار فيها ولا داعي لسرد الاغراض والاهداف التي تنطوي عليها ظاهرة التكرار في القرآن.

الثامن: ضيق اللغة وسعة المعنى

اللغة كانت من صنع الانسان ولرفع حوائجه وارتفاع حوائج غيره فهي من لوازم الحياة الاجتماعية ومحدودة في حصار الحاجات العادية فالاستفادة من اللغة وبيان معناها والقائه الى المخاطب وافهامه، يحتاج الى علم المخاطب بمعانيها التي يستعملها القائل، فعند ما لا يعرف السامع معنى اللفظ الصادر من المتكلم، لا يمكن القاء هذه المعاني اليه. فالقرآن هو في مستوى عال من عند الله تعالى، قد نزل بالمفاهيم العالية، فيه مسائل كلامية دقيقة كحقيقة الله تعالى وصفاته عز وجلّ، وفيه كلام عن المعاد والجنة والنار، التي لا يمكن توصيفها للإنسان البعيد عن الحقائق المجردة وما فوقها اللاعب بالمادة وما فيها. هذا في جانب ومن جانب آخر وعد الله تعالى ان يأتي كتابه بلفظ عربي مبين.

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (١).

واللفظ العربي بما في اشتقاقاته الكثيرة مع المعاني الوسيعة جداً، محدودة في الحوار الحسي واعطاء المعاني الحسية غالباً، فما يفعل القرآن؟

١- سورة الشعراء، آيات ١٩٣ الى ١٩٥.

فلا بد ان يأتي الله تعالى بالمعاني الدقيقة والالفاظ العرفية المستعملة عند العرب وعلى مستوى العامة، فجاء بالمجازات والاستعارات والكنائيات والتعاريض، والأمثال، حتى يعرف العرب الفاظه عند استماعه ويفهمه عند الدقة والتدبر.

فلاجل هذا كانت الوجوه والنظائر في ألفاظ القرآن كثيرة جداً حتى أن لفظ واحد له وجوه كثيرة ونظائر أكثر وفي كل آية وفي كل موضع من القرآن استعمل وجه منها.

فمثلاً: كلمة الذكر اتت على ثمانية عشر وجهاً وهي: «العمل الصالح، الذكر اللساني، الذكر القلبي، الأمر، الحفظ، العظة، الشرف، الخبر، الوحي، القرآن، التورية، اللوح المحفوظ، البيان، التفكير، الصلوة الخمس، الصلوة الواحدة، التوحيد والرسول.

كلمة هدى اتت على سبعة عشر وجهاً وهي: البيان، الإسلام، الإيمان، الدعا، المعرفة، الرسل، الرشد، امر التوبة، القرآن، التورية، الاسترجاع، الحجة، التوحيد، السنة، الاصلاح، الالهام والتوبة.

وكلمة فتنه على أحد عشر وجهاً وهي: الشرك، الكفر، العذاب، البلوى، الحرق، القتل، الصد، الضلالة، المعذرة، الجنون والفتنة، وهكذا^(١).

وعلى هذا الأساس، سعة المعنى وضيق اللفظ يستدعي ان يأتي القرآن بالمعاني المختلفة والمتعددة، بألفاظ متماثلة ومتشابهة.

قال صاحب الميزان في تفسير الآيتين الشريفتين التاليتين كلاماً مفصلاً في المعاني الكثيره التي يمكن استخراجها من الآية. نذكرها مفصلاً لما فيها من الفائدة.

﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ

١- انظر الكتب المولفة في الوجوه والنظائر في القرآن .

«وهذه الجملة اعنى قوله: ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، كلمة عجيبة كلما اعنت في تدبرها زاد في اتساع معناها على لطف ورقة وسهولة بيان، وأول ما يلوح في معناها انّ الخوف والحزن مرفوعان عنهم والخوف أنّما يكون في أمر ممكن محتمل يوجب انتفاء شيء من سعادة الإنسان التي يقدر نفسه واجدة لها، وكذا الحزن انما يكون من جهة امر واقع يوجب ذلك، فالبلية او كلّ محذور أنّما يخاف منه اذا لم يقع بعد، فإذا وقعت زال الخوف وعرض الحزن فلا خوف بعد الوقوع ولا حزن قبله، فارتفاع مطلق الخوف عن الإنسان انما يكون اذا لم يكن ما عنده من وجوه النعم في معرض الزوال، وارتفاع مطلق الحزن أنّما تيسر له اذا لم يفقد شيئاً من انواع سعادته لا ابتداءً ولا بعد الوجدان، فرفعه تعالى مطلق الخوف والحزن عن الإنسان معناه ان يفيض عليه كل ما يمكنه ان ينتعم به ويستلذه وان لا يكون ذلك في معرض الزوال وهذا هو خلود السعادة للإنسان وخلوده فيها.

ومن هنا يتضح ان نفي الخوف والحزن هو بعينه ارتزاق الإنسان عند الله سبحانه، يقول: وما عند الله خير، آل عمران، ١٩٨؛ ويقول: وما عند الله باق، النحل، ٩٦. فالآيتان تدلان على ان ما عند الله نعمة باقية لا يشوبها نقمة ولا يعرضها فناء.

ويتضح أيضاً ان نفيها هو بعينه إثبات النعمة والفضل وهو العطية، لكن تقدّم في اوائل الكتاب وسيجئ في قوله تعالى: «مع الذين انعم الله عليهم» (٢) انّ النعمة إذا اطلقت في عرف القرآن فهي الولاية الالهية، وعلى ذلك فالمعنى ان الله يتولى امرهم

١- سورة آل عمران، آيتي ١٧٠ و ١٧١.

٢- سورة النساء، آية ٦٩.

ويخصهم بعطيته منه.

وأما احتمال ان يكون المراد بالفضل الموهبة الزائدة على استحقاقهم بالعمل، والنعمة ما بحذائه، فلا يلائمه قوله: «وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنَّ الْأَجْرَ يُؤْذَنُ بِالِاسْتِحْقَاقِ وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ هَذِهِ الْفَقَرَاتُ اعْنَى قَوْلَهُ: عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ، وَقَوْلَهُ: فَرَحِينَ بِمَا...، وَقَوْلَهُ: يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ...، وَقَوْلَهُ: وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَالَهَا إِلَى حَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ. ثُمَّ أَضَافَ فِي آخِرِ بَحْثِهِ: «وَفِي الْآيَاتِ إِبْحَاثٌ آخَرٌ... وَلَعَلَّ اللَّهَ يُوفِقُنَا لِاسْتِيفَاءِ مَا يَسَعُنَا مِنَ الْبَحْثِ فِيهَا فِي مَا سَيَجِيءُ مِنَ الْمَوَارِدِ الْمُنَاسِبَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى» (١).

وفي تفسير الآية الشريفة:

«وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» (٢).

وفي تكرار كلمة «الكتاب» ثلاث مرأت في هذه الآية، قال صاحب الميزان:

«وتكرار لفظ الكتاب ثلاث مرات في الكلام لدفع اللبس، فإن المراد بالكتاب الأول هو الذي كتبوه بأيديهم ونسبوه الى الله سبحانه، وبالثاني الكتاب الذي انزله الله تعالى بالوحي، وبالثالث هو الثاني، كرر لفظه لدفع اللبس وللإشارة الى أن الكتاب بما أنه كتاب الله ارفع منزلة من ان يشتمل على مثل تلك المفتريات، وذلك لما في لفظ الكتاب من معنى الوصف المشعر بالعلية.

ونظيره تكرار لفظ الجلاله في قوله: «ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله».

١- تفسير الميزان، ج ٤، ص ٦٤.

٢- سورة آل عمران، آية ٧٨.

فالمعنى وما هو من عند الله الذي هو إليه حقاً لا يقول إلا الحق، قال تعالى «والحق أقول» (١).

التاسع: حجية ظواهر الكتاب للعموم

ظواهر الكتاب فبغد تفسيرها الصحيح من المتشابه وعند الفحص عن ما يصلح ان يكون قرينة صارفة لظواهرها، من المخصص والمقيد والناسخ و... وبعد العلم بكل ما له دخل في معنى الآية نحو الصرف والنحو واسباب البلاغة والفصاحة واسباب النزول و... تصير حجة بالنسبة الى المخاطبين وغير المشافهين، لأن:

١ - القرآن هو كتاب المعجز للنبي الخاتم فهو حجة الله على الناس وشرعية لهم الى يوم القيمة.

٢ - كثيراً ما رأينا ان رسول الله ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام يستدلون في احاديثهم بالقرآن الكريم ويستندون الى آياته ويرجعون الناس إليه مع اعطاء منهج الاستدلال لهم و لذا ابى جعفر الباقر عليه السلام قد بين ان المسح ببعض الرأس واستند فيه بكتاب الله وقال: «ان المسح ببعض الرأس لمكان الباء» (٢).

مضافاً الى ما ورد منهم عليهم السلام في عرض الأخبار المعارضة على كتاب الله وأخذ ما وافقه ورده ما خالفه منها، كما قال الصادق عليه السلام: «مالم يوافق من الحديث القرآن، فهو زخرف» (٣).

وعنه عليه السلام حيث ابطال كل شرط في معاملة يخالف كتاب الله تعالى فقال: «المسلمون

١- تفسير الميزان، ج ٣، ص ٣٠٦.

٢- وسایل الشیعة، ج ١، ص ٢٩١.

٣- وسایل الشیعة، ج ١٨، ص ٧٨.

عند شروطهم، الاكل شرط خالف كتاب الله عزوجل فلا يجوز» (١).

٣- امرهم بالتدبر في القرآن ومعناه الأخذ بكتاب الله تعالى وحجّة طواهرة، فلولا
كان التدبر لافائدة فيه.

﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ، وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ (٢).

قال رسول الله ﷺ: «ويل لمن لاكها بين فكّيه ولم يتأمل ما فيها» (٣).

وقال امير المؤمنين عليه السلام: «الا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر» (٤).

يكفينا هذا وقد بُحث هذا البحث في علم الاصول بشكل مفصل لاحاجة الى اعادته
فنقول: عندما نتأمل في الاغراض التي تقام لبيان سر التكرار وسيأتى البحث عنه، من
قبيل التاكيد والتقرير وغيرهما، نعرف ان هذه الاغراض كانت مفيدة للمخاطبين على
الأكثر، ولا يفيدنا، لاننا نستطيع ان نقرأ آية واحدة مرّة أو غير مرة وقد تحصل هذه
الاغراض بذلك ولا يحتاج الى ثبت آية واحدة بصورة مكررة.

فبما ان القرآن نزل من عند حكيم وكتابته وترتيبه كانت بإذنه تعالى، فليست في
القرآن تكرار ابدأ وما نتخيل أنّه على ظاهر لفظه منه فليس منه في الواقع بعد التأمل فيه.

العاشر: القرآن هو تبيان كلّ شئ

القرآن كتاب تربية وهداية ويتضمن برنامجا كاملا للوصول بالإنسان الى كماله وقربه
الالهي نعم ليس في القرآن شئ من الاختراعات والكشفيّات مع ان في القرآن اشارة الى

١- وسايل الشيعة، ج ١٢، ص ٣٥٣.

٢- سورة ص، آية ٢٩.

٣- بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٣٥٠.

٤- وسايل الشيعة، ج ٤، ص ٨٢٩.

بعض الحقائق العلمية التي تمّ التوصل إليها مؤخرًا بعد التقدم العلمي والتكنولوجيا ككروية الأرض وقانون الزوجية وتكوين الجنين من النطفة وغيرها ولكن هذا شيء يصل الإنسان إليه لا محالة بالاستفادة من القوة البدنية والفكرية التي وهبها الله تعالى. فمن المنطق التربوي للقرآن الكريم هو ان يتناول كلّ ماله صلة ومدخلة لتكامل الإنسان، فيلزم ان يأتي بالعبادات وكيفياتها وتمام جوانبها والاخلاق ووجوهها ومستثنياتها وآثارها، فعند ما ننظر في القرآن لم نر فيه الاّ الأصول الكلية حتّى يمكن ان يقال أنّه لم يتحدث عن جزئيات العبادات والاخلاقيات الاّ قليلاً جدّاً.

فمثلاً امر باقامة الصلوة ولا نرى فيه كيفيّتها وكميّتها، كم ركعة هي وفي ايّ وقت وبأيّ شكل تقام؟ ما هي الواجبات والأركان فيها؟...

وامر بالزكاة وما نرى فيه على من تجب الزكاة وعلى ما تجب، كيف تجب وكيف تعطى؟

ولكن عند ما تندبر في آياتها ونفسر كلماتها بالاستعانة بآيات آخر وبالأخبار الواردة عن المعصومين عليهم السلام لأتّهم ادرى بما في بيوتهم، نتمكن ان نستخرج جزئيات المسائل منها.

فقال الصادق عليه السلام بهذا الصدد: «انّ الله تبارك وتعالى انزل في القرآن كلّ شيء حتّى والله ما ترك شيئاً نحتاج إليه، حتّى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا انزل في القرآن، الاّ وقد انزل الله فيه» (١)

ولكن كشف هذه الأمور لا يمكن لكلّ احدٍ لأنّ للقرآن ظاهر كبحرٍ واسع عميق، لا يمكن كشفه الاّ لمن اودعت فيه هدايته، وباطن اعمق من هذا ولا يتمكن من الخوض فيه

١- تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٧٤.

الآ الراسخون في العلم.

فمع هذا يعنى عدم التصريح بجزئيات الأحكام في القرآن التي يحتاج إليها الناس جداً، وإنَّ الفقيه عند استنباطه هذه الجزئيات في آيات الأحكام يحتاج الى مشقة شديدة واجتهاد دؤوب، فكيف يمكن ان نقول بالتكرار في بعض آخر من الآيات؟

الحادى عشر: الاطناب والايجاز

الاطناب هو اداء المعنى المراد بعبارة زائدة وأكثر من العبارة المتعارفة، نحو رأيته بعينى وسمعت به باذنى ووطئة برجلى، لأنَّ الروية لا تكون إلا بالعين والسمع لا يكون إلا بالاذن، والوطئ لا يكون إلا برجل وهكذا. فالاطناب يخل بالفصاحة إلا عند ما يكون المعنى الملحوظ مهماً أو عظيماً أو ايضاحاً بعد إيهام أو موجباً للذة الجديدة للمستمع، ففي مثل هذه الموارد يصح الاطناب بل يؤكد.

في الآية الشريفة التأليه:

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَنِينَ﴾ (١).

فالصلوة الوسطى هي صلوة وقد امر بمحافظتها في ضمن مطلق الصلوة ولكن ذكرها مرة أخرى لإيضاحها أو لاهميتها.

ونحو:

﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ...﴾ (٢).

فالقلب لا يكون إلا في الجوف ولكن لما كان المقام، مقام التخطئة والزرد بما قال

١- سورة البقرة، آية ٢٣٨.

٢- سورة الأحزاب، آية ٤.

الكفار بأن فلان «ابومعمر» له قلبان، أو كانت الآية في مقام بيان أنه لا ينبغي للإنسان أن يجعل الهاً غير الله في قلب واحد الذي في جوفه.

ومثلاً في الآية التالية:

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١).

فالسقف لا يكون إلا من فوق ولكن زاد الله تعالى «فوقهم» لأنه في مقام التخويف. والايجاز هو اداء المقصود بأقل من العبارات المتعارفة وبالفاظ قليلة وبحذف الفضول، لاجمال او ايجاز بالمعاني وتكثيفها وهو على قسمين، منه ايجاز القصر وهو اذا لم يحذف شئ من العبارة لكن كان للعبارة القصيرة معنى عام ومفهوم وسيع. والمثال الواضح لهذا النوع، الآية التالية وهي آية القصاص.

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ...﴾ (٢).

فكان معناها ان القتل نافع للقتل، لأن الإنسان إذا علم ان القاتل سيقتل، فهو يترك القتل، فقتل القاتل يمنع عن تكرار عملية القتل مرة اخرى وعقوبته تمثل رادعا كثيراً في تكرار هذه الجريمة فالقتل موجب للحياة في الواقع. وهذه الجملة هي اقصر الجمل لإفادة مراد الآية الشريفة.

القسم الثاني منه: ايجاز الحذف، بحذف المضاف أو المضاف إليه أو الموصوف أو صفته أو الشرط أو جزائه أو المسند أو المسند إليه أو المفعول أو اسم الموصول اوصلته أو المعطوف أو المعطوف عليه أو البدل أو البدل منه أو حرف النفي او اداة الإستثناء أو حرف

١- سورة النحل، آية ٢٦.

٢- سورة البقرة، آية ١٧٩.

التوطينة للقسم، فموارده كثيرة جداً بحيث لا توجد آية إلا وفيها موارد للإيجاز وإليك نموذجان منها:

﴿...وَلَيْسَ الذَّكْرُ كَالْأُنْثَى...﴾ (١).

أي ليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت.

﴿مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (٢).

أي من شر الجنة ومن شر الناس.

قال العلامة الطباطبائي في تفسير الآية الشريفة التالية:

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٣).

«وفي تكرار لفظ الحج ثلاث مرّات في هذه الآية على أنه من قبيل وضع الظاهر موضع

المضمر لطف الإيجاز، فإنّ المراد بالحجّ الأوّل زمان الحجّ، وبالحجّ الثاني نفس العمل، وثالث زمانه ومكانه، ولولا الاظهار لم يكن بد من اطناب غير لازم كما قيل» (٤).

فالإيجاز بشكل عام وباقسامه المختلفة في القرآن يرشدنا الى هذا المعنى وهو ان من

١- سورة آل عمران، آية ٣٦.

٢- سورة الناس، آية ٦.

٣- سورة البقرة، آية ١٩٦.

٤- تفسير الميزان، ج ٢، ص ٨٠.

دأب القرآن بيان الاشياء والموضوعات بشكل موجز وهذا ينافي التطويل ^(١) والتكرار.

الثاني عشر: التعدد في اسباب النزول

سبب النزول هو الحادثة التي نزلت الآية أو الآيات فيها أو مبينة لحكمها ايام وقوعها ولها فوائد متعددة منها: الاستعانة على فهم الآيات ودفع الاشكال عن ظاهرها، حتى قيل لا يمكن تفسير آية دون الوقوف على قصتها وسبب نزولها، ومنها معرفة من نزلت فيه الآية وسائر مصاديقها بعد حجية القياس المستنبط العلة، ومنها وربما كان من اهمها وهي بيان اعجاز القرآن بانه منزل في اكثر من عشرين سنة وكل آية أو آيات نزلت بعد حوادث معينة وهذا دافع لمن قال انه اساطير الاولين.

هذا، ولا شك ان من الآيات القرآنية المتماثلة ما نزلت في واقعتين، أو نزلت آية في واقعة وليس في نزول الأخرى من واقعة، بل لعلك تجد آية نزلت من دون ارتباطها بسبب من الأسباب أو بواقعة تاريخية.

فمثلاً نزلت الآية التالية:

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ^(٢).

نزلت خمس مرّات، في نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ^(عليه السلام).

ونزلت الآية الاولى من الآيتين التاليتين في رجل اعمى وله عذر في تخلفه عن الجهاد ولم يذكر للآية الثانية سبب نزول اصلاً.

﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا

١- التطويل هو زيادة اللفظ على المعنى، نحو لا نصيب لى ولا حظ.

٢- سورة الشعراء، آيات ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠.

نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (١)

«لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ...» (٢).

وهذا اي تعدد اسباب النزول للآيات المتماثلة دليل على ان هذه الآيات وان كانت ألفاظها وكلماتها متماثلة لكن لهن معانى مختلفة ومتعددة بحسب تعدد شأنها وسببها والواقعة التي نزلت فيها وعلى أي قوم نزلت فيهم.

الثالث عشر: الاشتراك اللفظي

الاشتراك على قسمين: الأول: الاشتراك اللفظي وهو وضع اللفظ وارادة معنيين منه أو معان كثيرة بلا جامع بينهم. نحو العين الموضوعة للعين المضئنة والجارية والباهرة والبالصرة...

الثاني: الاشتراك المعنوي وهو وضع اللفظ وارادة المعنى الواحد الجامع بين المعاني المختلفة نحو حيوان وهو لفظ يراد به جنس الحيوانات الجامعة بين الأنواع المختلفة من هذا الجنس من الحيوان والإنسان.

لا ينبغي الإشكال في إمكان الاشتراك بالنسبة الى المعنيين أو ازيد في اللغة العربية بل وفي غيرها من اللغات ويعين احد المعاني دون غيره من طريق الاستعانة بالقرينة المعينة له.

فالكلمة الواحدة قد تكون لها مجموعة من المعاني المختلفة فالباء هي حرف جر لها سبعة عشر معنى وهكذا الاسماء والأفعال وذلك لتناهي الألفاظ دون المعاني بحسب

١- سورة البرائة، آية ٩١.

٢- سورة الفتح، آية ١٧.

العرف.

فاستعمال لفظ وإرادة معنيين أو معاني متعددة ممّا لا اشكال فيه ولا خلاف، أنّما الخلاف في استعمال لفظ في أكثر من معنى واحد في آن واحد وهذا مطلب آخر قد تقح بحثه في علم الأصول.

فاستعمال اللفظ في موارد متعددة وإرادة معاني كثيرة في القرآن هو أحد وجوه الإعجاز فيه، حيث كانت الكلمة الواحدة تستعمل في عشرين وجهاً، وهذا لا يوجد في المحاورات العرفية.

بعد ارتحال النبي الأكرم ﷺ نرى حركة فكرية من عند الصحابة لتفسير القرآن، فأول من دوّن التفسير هو علي بن ابيطالب عليه افضل صلوات المصلين وذلك في زمن «ابي بكر»، ثمّ عدة أخرى من الصحابة ومنهم ابن عباس وابن مسعود وغيرهما.

وبعد ان منع الخليفة الثاني «عمر بن الخطاب» كتابة الحديث النبوي الشريف بذريعة خوفه من اختلاطه بالقرآن وكان له أثراً سلبياً على الحركة الشفافية الإسلامية، أجاز الخليفة «عمر بن عبدالعزيز» تدوين الحديث ونشره فبدء التأليف في العلوم المختلفة في القرآن وتفسيره ومنها التفاسير اللغوية بكشف العلاقات بين الكلمة ومعناها ودلالاتها وبملاحظة السياق العام لها.

فقد أُلّف في هذا المجال تأليف كثيرة سُمّي بعضها بـ«الوجوه والنظائر» أو «الأشباه والنظائر» ولعلك لا تجد فرقاً بينهما غير أن علم الوجوه والنظائر من فروع علم التفسير وهو يتكلّم عن تفاسير مختلفة ومعاني متعددة في الكلمة التي جاءت في مواضع متعددة من القرآن.

فالوجوه هي المعاني المتعددة والنظائر هي الألفاظ والكلمات المتماثلة. والاشباه والنظائر وان كانت هنا بهذا المعنى ولكن قد تستعمل في العلوم الأخرى نحو

الاشباه والنظائر في الفقه أو النحو أو الشعر وغير ذلك.

فأول من استعمل لفظ الوجوه بهذا المعنى هو على بن ابي طالب عليه آلاف التحية والثناء حيث قال لابن عباس حين ارسله الى الخوارج: «اذهب إليهم وخاصمهم ولا تخاصمهم بالقرآن فانه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسنة».

فقال ابن عباس له: يا امير المؤمنين فانا اعلم بكتاب الله وفي بيوتنا نزل، قال: صدقت ولكن القرآن حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاجّهم بالسنة فإنهم لن يجدوا عنها محيصا، فأخرج إليهم فحاجّهم بالسنة فلم يبق بأيديهم حجة» (١).

وأول من دون الوجوه والنظائر لألفاظ القرآن هو «مقاتل بن سليمان البلخي» (٨٠-١٥٠) وهو رجل شيعي زيدي، وله أول تفسير فنى للقرآن يشرح فيه كل آية ويوضحها.

فالشافعي يقول: من أراد أن يتبحر في تفسير القرآن فهو عيال على مقاتل بن سليمان» (٢).

الرابع عشر: الاضداد والترادفات

البحث عن الاضداد والترادفات هو أحد المباحث الجارية في اللغة العربية، ونعتقد ان اللغة وخاصة اللغة العربية ليس فيها ترادف، بل كل كلمة لها معنى غير ما في الاخرى، فالأسد والليث والحارث والغضنفر كلها بمعنى الأسد ولكن كلّ كلمة تحكى عن حالة من حالات الأسد. ونرى في القرآن كثير من الكلمات المتضادة، نحو الدّنيا والآخرة، الحيوة

١- معترك الأقوال للسيوطي، ج ١، ص ١٤.

٢- الاشباه والنظائر لمحمود شحاته، ص ٧٦.

والموت، الشياطين والملائكة، الصَّيف والشتاء، السَّيِّئَات والصَّالِحَات، الرَّغْبَة والرَّهْبَة،
 الميمنة والمشمئة... فيلزم استعمال هذه الكلمات تكرار الآية أو أكثر كلماتها.
 نحو: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ﴾ (١).
 ونحو: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ﴾ (٢).
 ونحو: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ
 الْمَشْأَمَةِ﴾ (٣).
 ونحو: ﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ خَنِيعَةٌ * وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ (٤).
 ونحو: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (٥).
 ونحو: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ
 فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ (٦).

وأيضاً القرآن يشتمل على كثير من الكلمات المترادفة نحو الحية والثعبان والجبان،
 الجزاء والمغفرة، الرَّجْس والرَّجَز، القلب والفؤاد، العجب والغرور... لكن نجد الفرق
 الشاسع بين هذه الكلمات وهذا أى الترادف الكلى فيها يستلزم تكرار الآية أو أكثر
 كلماتها.

١ و ٤ - سورة البقرة، آيتى ٣٩ و ٨٢.

٣ - سورة الواقعة، آيتى ٨ و ٩.

٤ - سورة الغاشية، آيتى ٢ و ٨.

٥ - سورة الليل، آيتى ٧ و ١٠.

٦ - سورة الفارعة، آيتى ٦ الى ٩.

نحو: ﴿... فَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١).
 ونحو: ﴿... فَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

الخامس عشر: الاختلاف في الموضوع أو الحكم

يختلف الموضوع أو الحكم في كثير من الآيات المتماثلات من جهتهما، فنرى في الآيات المتماثلات من جهة الموضوع، احكاماً مختلفةً يتغير معناها والآيات المتماثلات من جهة الحكم، لها موضوعات مختلفة، فهذا ليس من التكرار بشي أبداً.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٣).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (٤).

ونحو: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (٥).
 ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٌ﴾ (٦).
 وجاء عقيب إحدى عشر آية: ﴿... فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٧).

١- سورة البقرة، آية ١٧٣.

٢- سورة المائدة، آية ٣.

٣- سورة الغافر، آية ٢٢.

٤- سورة التغابن، آية ٦.

٥- سورة الملك، آية ١٦.

٦- سورة الملك، آية ١٧.

٧- سورة البقرة، آيات ٣٨، ٦٢، ٢٦٢، ٢٧٤، ٢٧٧؛ سورة آل عمران، آية ١٧؛ سورة

والمراد من كل آية غير المراد من الاخرى فعند الدقة في كل آية يتضح لنا ان رفع الخوف والحزن عن طائفة خاصة تكلمت بها الآية.

وأيضاً جاء عقيب أربع آيات «... لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ» وكان كل منها في بيان شئ، انظر الى الآية الاولى، ان تحريم ما حلل الله خطوة شيطانية، والى الثانية، ان التفرقة كانت خطوة شيطانية، والى الثالثة، تحليل ما حرم الله خطوة شيطانية، والى الرابعة، ان رمى المحصنات بالزنا واشاعة الفاحشة والبهتان، خطوة شيطانية.

﴿يَسْأَلُهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِى الْاَرْضِ حَلٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوْا خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ اِنَّهٗ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ﴾ (١).

فهذه الآية تدل ان الأصل في كل الاطعمة الموجودة، حليتها وما حرم وما استثنى منها يحتاج الى دليل بليغ، فالتحريم فيما احل الله للعباد بلا دليل يعتبر خطوة الشيطانية.

﴿يَسْأَلُهَا الَّذِيْنَ ءٰمَنُوْا اَدْخُلُوْا فِى السَّلٰمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوْا خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ اِنَّهٗ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ﴾ (٢).

تدعو هذه الآية كل مسلم ومؤمن الى السلم، وان المؤمن لا بد أن ينصرف عن كل تفرقة واختلاف، وكل تفرق وتشتت خطوة من خطوات الشيطان.

﴿وَمِنَ الْاَنْعَمِ حَمُوْلَةً وَفَزَحٰا كُلُّوْا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ وَلَا تَتَّبِعُوْا خُطُوٰتِ الشَّيْطٰنِ اِنَّهٗ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ﴾ (٣).

: المائدة، آية ٦٩؛ سورة الانعام، آية ٤٨؛ سورة الاعراف، آية ٣٥، سورة يونس، آية ٦٢؛ سورة الاحقاف، آية ١٣.

١- سورة البقرة، آية ١٦٨.

٢- سورة البقرة، آية ٢٠٨.

٣- سورة الانعام، آية ١٤٢.

هذه الآيات وما قبلها، كانت بصدد إبطال بعض الأحكام الخرافية الموجودة في عصر الجاهلية من جعلهم نصيباً من الزرع والأنعام لله تعالى وتحريم ركوب بعض الأنعام وقتل اولادهم قرابين الى الأصنام. فالله تعالى هو الخالق لجميع هذه النعم وامر سبحانه بالانتفاع بها وعدم الاسراف فيها، فكل هذه الخرافات اسراف وخطوة من خطوات الشيطان

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ تَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾ (١).

فهى مكمله للآيات السابقة التي تبحث عن قضية «الافك» ويحذر المؤمنين من تأثير الأفكار الشيطانية.

السادس عشر: الاختلاف في المشار إليه

التمائل في بعض الآيات لاختلاف المشار اليه فيها، وهذا ليس من التكرار، لان معانيها مختلفة ايضاً كما في الآيات التالية.

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢).

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٣).

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ (٤).

فالأية الأولى تشير الى القصص الكثيرة التي وردت بشأن بني إسرائيل وكل منها دليل

١- سورة النور، آية ٢١.

٢- سورة البقرة، آية ٢٥٢.

٣- سورة آل عمران، آية ١٠٨.

٤- سورة المجانية، آية ٦.

على قدرة الله تعالى، والثانية تشير الى ما تعرضت الآيات السابقة عليها من الاعتصام بحبل الله والحذر من التفرقة والاختلاف واثرها من تبييض الوجه واسوداده يوم القيمة، والثالثة تشير الى الآيات الآفاقية والانفسية.

- ﴿... ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(١).
﴿... ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٢).
﴿... ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٣).

فالآية الاولى تشير الى الامتيازات المهمة للانسان من حبه الله والله يحبهم، والى تواضعهم وجهادهم في سبيل الله، والآية الثانية تشير الى الجنة الواسعة التي عرضها كعرض السماء، والآية الثالثة تشير الى النعمة الكبرى وهي بعث النبي الاكرم ﷺ وما جاء به من نظام يعتبر ارقى نظام على وجه البسيطة.

- ﴿... فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...﴾^(٤).
﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ﴾^(٥).
﴿... أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾^(٦).
﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٧).

١- سورة المائدة، آية ٥٤.

٢- سورة الحديد، آية ٢١.

٣- سورة الجمعة، آية ٤.

٤- سورة البقرة، آية ٢١٧.

٥- سورة آل عمران، آية ٢٢.

٦- سورة التوبة، آية ١٧.

٧- سورة التوبة، آية ٦٩.

فالآية الأولى تشير الى من يرتد عن دينه فيمت تحبط اعماله، والثانية تشير الى الكفار والذين يقتلون الأنبياء بغير حقّ والذين يقتلون الآمرين بالمعروف، والثالثة تشير الى المشركين الذين يعملون الاعمال الصالحة فإن جميع اعمالهم بلاعتقاد صحيح تعتبر باطلة، والرابعة تشير الى المنافقين واعمالهم، فإنهم لم يحصلوا على نتيجة ما عملوا.

السابع عشر: التنويع

من اهم وجوه التكرار في القرآن وهو الذي يقول به كل المفسرين في الآيات المتكررة، هو التأكيد ومقتضاه نزول آية مكررة لأن تفيد معنى الآية الاولى، فالثانية تكرر ما في الاولى وتؤكد عليها، والتأكيد على هذا النحو، تكرر محض بإرادة المعنى الأول مكرراً.

ولكن عند ما نبحث في الآيات المتشابهة لفظاً نراها كتشابه اصابع اليد فكلّ اصبع تكرر خمس مرّة في اليد الواحدة ولكن لكل منها شغل يختص بها ولا يغنى احدهما عن الآخر.

فالتأمل المدقّق الذي يرى الألفاظ والمعاني من زاوية معيّنة يظهر له معنى غير ما ظهر من الاول، فهو كالتنويع في نعم الجنة حيث إنّ كلّ شئ منها سمى نعمة ولكن عندما يذاق كلّ منها على حدة، فإنّ لذّته تختلف عن الآخر.

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا...﴾ (١).

فقد تكلم القرآن عن عصى موسى عليه السلام لما القاها في مواضع ثلاثة امام فرعون وعبر

القرآن عنها بثلاث تعابير مختلفة معنى.

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (١).

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (٢).

﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ...﴾ (٣).

فأما الثعبان اعظم من الحيات، والحية اسم جنس يقع على الذكر والأنثى والصغير والكبير، والجأن قسم من الحية الدقيقة.

ويمكن ان يقال: ان الحية كانت جاناً ثم تكبر وتضخم فتصير حية، والثعبان أكثر حجماً من الحية.

أو كانت العصى في عظمة جسمها ثعباناً وعند حركتها جاناً، أو اشياء آخر غير هذا والله تعالى أعلم.

الثامن عشر: الدقة في نفس الآيات

بعد البحث والفحص عن بعض المقدمات التي نستفيد منها ونستدل بها للوصول الى مقصودنا، لابد أن نصرف البحث في نفس الآيات ويقع البحث فيها في مقامين.

المقام الأول: التكرار في الألفاظ، وفيه بحثان: البحث الأول؛ التكرار في الحروف والكلمات. والبحث الثاني؛ التكرار في العبارات، نحو البسملة وغيرها.

المقام الثاني: التكرار في المفاهيم: كالأصول والفروع والاخلاق والقصص و....

١- سورة الاعراف، آية ١٠٧.

٢- سورة طه، آيتي ١٩ و ٢٠.

٣- سورة النحل، آية ١٠.

المقام الأول: التكرار في الألفاظ

البحث الأول: التكرار في الحروف والكلمات

الاساس في كل لغة، الحروف؛ وبها تتحقق اللغة وللمحدوديتها لا محيص من تكرارها ولا اشكال فيها، فالقرآن حروفه حسب ما استخرج من الكمبيوتر ٣٣٠٧٣٣ حرفاً وكلماته ٧٧٨٤٥ كلمة.

فقد تكرر حرف «م» في الآية التالية غير مرّة:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

وتكرر حرف «ق» في الآية التالية احدى عشرة مرّات.

﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِم نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢).

و تكرر حرف «الواو» ٩٥٩٤ مرّة في ١١٣ سورة و«من» ٤٠٦١ مرّة في ١٠٠ سورة وهم ٣٨٩٦ مرّة في ٩٧ سورة.

١- سورة آل عمران، آية ٢٦.

٢- سورة المائدة، آية ٢٧.

وأما الكلمات فهي المركبة من حرفين فصاعداً وهي آلة لبيان المعاني فلا استقلال لها وليس لها معني يقصد في نفسها فالكلمات هي مثل الخشب والآجر والحديد وامثالها، وهذه لا تسمّى بناءً بل البناء هو جمعها وترتيبها بشكل خاصّ.

اذن التكرار في الكلمات على هذا الأساس لا إشكال فيه، فلكلّ كلمة بملاحظة ماتقدّم وما تأخّر عنها تفيد معنى غير الآخر، فمثلاً تكررت لفظة الجلالة «الله» سبحانه وتعالى ثمان مئة وست عشر بعدالافين وتكررت لفظة «ربّ» ومشتقاتها تسع مئة وثمانين مرّة.

فلفظ الجلالة هو الأكثر تكراراً في القرآن بينما تأتي لفظة «احمد» اقل تكراراً على حسب الحروف الهجائية فقد وردت مرّة واحدة فقط فتكرار الكلمات كتكرار الألفاظ لا يعد تكراراً لان المقصود من التكرار الذي نبحت عنه هو التكرار في المفاهيم والمعاني لا التكرار في الألفاظ التي لا محيص ولا معدل عنها.

البحث الثاني: التكرار في العبارات

١- البسملة

فقد تكررت مئة وأربع عشر مرّة في القرآن الكريم في مطلع كلّ سورة إلا البرائة ومرّة في نقل كتاب سليمان النبي ﷺ، الى ملكة سبأ.

بعد ان اجمع علماء الاسلام على ان (البسملة) من القرآن اختلفوا في أنّها جزء من السور القرآنية ام لا.

المشهور من علماء الشيعة على أنّها جزء من كلّ سورة لأنّها جاءت في مطلع كلّ سورة وهذا دليل وافي، لأنّ التحريف بزيادة شئ في القرآن ممّا خالفه المسلمون جميعهم وانّ كان هناك كلام ونقاش حول التحريف الذي وقع بالنقيصة، ألا أنّه لا يعبأ به بعد

الاجماع المذكور. واما العامة فاختلفوا، فذهب بعض كما ذهبنا لإبباتها في المصحف مع الأمر بتجريد القرآن عن كلّ ما ليس منه، وقد حكى هذا عن امير المؤمنين عليه السلام وجمع من الصحابة كابن عباس وابن عمر وابى هريرة، وحكى عن جمع من التابعين كسعيد بن جبير وعطاء والزهرى وابن المبارك.

فقد روى عن ابن عباس: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعرف انقضاء السورة حتّى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم.

وذهب بعض أنّها من سورة الفاتحة دون غيرها وذهب قوم الى ان البسمة آية مستقلة وليست جزء للصور القرآنية، وردّ عليه بأنّ البسمة ليس لها معنى الاّ الاشعار بشروع العمل باسم مستجمع لجميع الصفات الكمالية والاشارة الى رحمته تعالى للعالمين أو للمؤمنين.

والحق أنّها جزء من القرآن وجزء من كلّ سورة وان بسبب نزولها يعرف اتمام السورة وبداية الأخرى، وهذا من لوازم نزولها ولا ينافي نزولها جزء للقرآن.

ان قلت: لماذا لا تحتسب البسمة في عدّ الآيات من كلّ سورة الافاتحة الكتاب؟ قلت: كثير من الآيات المشتملة على المفاهيم المختلفة عدت آية واحدة.

فمثلاً الآية التالية:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِزْيِرِ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا

فَنِ اضْطَرُّ فِي مَحْصَةِ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (١).

فقوله تعالى: «اليوم يشس الذين كفروا...» جملة معترضة وضعت في خلال الآية لفظاً ومعناً، فهذه الجملة معناها لا يتوقف على الآية كلها بلاشك وريب. فهو كلام تام كامل، مع ان الآيات المتماثلة المبيّنة لمحرّمات الطعام لا توجد فيها هذه الجملة ونحوها (٢).

فيمكن انّ هذا القسم من الآية نزلت في وسط الآية، أو نزلت على حدة ولكن النبي ﷺ وضعه في خلال الآية.

قال السيوطى في الاتقان:

قوله تعالى: «اليوم اكملت لكم دينكم...» فإنها نزلت بعرفه عام حجة الوداع وظاهرها اكمال جميع الفرائض والأحكام التي قبلها وقد صرح بذلك جماعة منهم السدى فقال: لم ينزل بعدها حلال ولا حرام مع أنّه ورد في آية الربا والدين والكلالة، انها نزلت بعد ذلك» (٣).

وعلى ما ذكرنا فإنّ هذا القسم من الآية له معنى مستقل مع أنّه لم يعدّ آيةً. ومثلاً انّ من فواتح السور عدّ آية خلافاً للفواتح الأخرى ف«الم» في سورة البقرة وآل عمران والعنكبوت والزّوم ولقمان والسجدة عدّت آية خلافاً ل«الراء» في سورة يونس وهود ويوسف وابراهيم والحجر.

فانّ عداد الآيات امر توقيفى ولا علاقة له بكثرة المفاهيم أو قلّتها. فبعد هذا يمكن ان نقول ان البسملة في كلّ سورة جزء من الآيات الاولى فيها.

١- سورة المائدة، آية ٣.

٢- سورة البقرة، آية ١٧٣؛ سورة النحل، آية ١١٥.

٣- الاتقان، ج ١، ص ٦٠.

افتتحت تسع وعشرين سورة من القرآن بأربعة عشر من الحروف الهجائية بعضها على حرف او حرفين الى خمسة احرف وقد تكررت بعض هذه الحروف.

ست سور تبدأ بـ«الم» ومنها أربع مكّية وهي العنكبوت والزّوم ولقمان والسّجدة واثنان مدينتان وهي البقرة وآل عمران.

وخمس سور، تبدأ بـ«الرا» وكلها مكّية وهي يونس، هود، يوسف، ابراهيم، الحجر. وسبع سور، تبدأ بـ«حم» وكلها مكّية وهي غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف.

وسورتين تبدان بـ«طسم» وكلاهما مكّيتان وهي الشعراء والقصص.

وقد تكررت الحروف الهجائية في مفاتيح السور، فتكررت «ل» ثلاثة عشر مرّة، وتكررت «م» احد عشرة مرة. فبعد ان قلنا ان تكرار نفس الحروف لم يعدّ من التكرار المصطلح وبأنّه لا محيص عنه، نقول: بعد ملاحظة الآراء ووجهات النظر حول هذه الحروف التي تبلغ الى نيف وعشرين رأى، ان هذا أيضاً لم يُعدّ تكراراً، لأنّه: ابلغ تفسير لها هو ان هذه الحروف سرّ الله المحجوب وأنها رموز بين الله تعالى ورسوله لا يمسّها إلا المطهرون ولا يعلمها الا الله والراسخون في العلم.

ففي تفسير مجمع البيان:

«اختلف العلماء في الحروف المعجمة المفتحة بها السور، فذهب بعضهم الى أنّها من المتشابهات التي استأثر الله تعالى بعلمها، ولا يعلم تأويلها الا هو، هذا هو المروى عن ائمتنا عليهم السلام وروت العامة عن امير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: انّ لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي، وعن الشعبي قال: لله في كل كتاب سرّ، وسرّه في القرآن، سائر

حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور» (١).

فبعد الدقة في هذه الأنظار خصوصاً على فرض ما قيل في أنها سرّ من اسرار الله تعالى نعرف ان هذه الحروف من المتشابهات القرآنية، ولا يمكن لنا ان نفهم منها معنى من المعاني فمع هذا كيف يمكن ان نقول بالتكرار فيها.

٣- خواتيم الآيات

وهي متضمنة للمعاني البديعة البليغة بحيث لا يبقى للنفوس انتظار الى ما بعدها، فهي كلام منفصل عما قبله وبعده ولهذا سميت الفاصلة وهي على اقسام أربعة.
فالأول: التمكين وهو ان يمهّد قبلها لفظاً ومفهوماً بحيث لولم يقله المتكلم، لتكلم به السامع.

والثاني: التقدير وهو ذكر الفاصلة في صدر الآية بما دلتها.

والثالث: التوشيح وهو دلالة معنوية على الفاصلة في صدر الآية.

والرابع: الايغال وهو ذكر شيء مرتبط بالصدر وبالمبالغة فيها والتأكيد عليها.
وعلى هذا ترى في آيات القرآن خواتيم متماثلة وفواصل متشابهة كثيراً، فبعد التأمل فيها تجد المناسبة الخاصة بين صدر الآية وذيلها. فمثلاً:

١- «انّ ذلك من عزم الأمور» جاء عقيب آيتين وهما سورة آل عمران، آية ١٨٦ وسورة لقمان، آية ١٧، وجاءت مع اختلاف في سورة الشورى، آية ٤٣ بهذا النص «ان ذلك لمن عزم الأمور».

ففي سورة آل عمران جاء الاخبار عن ابتلاء الناس باموالهم وانفسهم و... ثم جاء ان

١- تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٧٥.

الصبر عليها من عزم الأمور. وفي سورة لقمان، جاء الأمر بإقامة الصلوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على المصيبة ثم يأتي بانها من عزم الأمور. وفي سورة الشورى جاء اثنا عشر مطلوباً نحو الايمان والتوكل والاجتناب من الكبائر والفواحش والغفران والاستجابة للدعاء، والصلوة والشورى والانفاق والانتصار، ثم قال: ان ذلك لمن عزم الأمور.

فخاتمة هذه الآيات ليست على نسق واحد ولا تعطى معنى واحد.

٢- «نعم أجر العاملين» جاء عقيب ثلاث آيات في سورة آل عمران، آية ١٣٦، وسورة العنكبوت آية ٥٨، وسورة الزمر آية ٧٤.

فجاء في سورة آل عمران مع حرف عطف لمناسبتها مع ما قبلها لأنها وقعت خبر بعد خبر ويلزمه «الواو» رعاية لنسق الكلام بخلاف ما في السورتين الآخرتين فالمراد من الأولى العاملين بعمل صالح من الانفاق والاستغفار، وعدم الاجرار على الذنوب، والمراد من الثانية مطلق العمل الصالح ومن الثالثة هو قول اصحاب الجنة فيها.

٣- «ذلك هو الفوز العظيم» او «ذلك الفوز العظيم» او «لهو الفوز العظيم» جاء عقيب ثلاثة عشر آية في سورة النساء، آية ١٣ وسورة المائدة، آية ١١٩ وسورة التوبة، آية ٧٢، ٨٩، ١٠٠، ١١١ وفي سورة يونس، آية ٦٤ وفي سورة الصافات، آية ٦٠ وفي سورة غافر، آية ٩ وفي سورة الدخان، آية ٥٧ وفي سورة الحديد، آية ١٢ وفي سورة الصف، آية ١٢ وفي سورة التغابن، آية ٩.

وعلى هذا، فإنَّ المشار اليه في هذه الآيات هي الجنَّات التي تجرى تحتها الانهار والخلود فيها او ما يوصل الانسان الى هذه النعمة الابدية الخالدة من القتل في سبيل الله كما جاء في سورة التوبة، آية ١١١ والبشرى في الدنيا والآخرة كما جاء في سورة يونس، والبرائة من عذاب النار كما في سورة الصافات، ورحمته وفضله تعالى كما في سورة

مع أنّ هذه البشارة في كل آية بشارة لعدة من الناس. فما في سورة النساء فهو للذي لا يتعدّي عن حدود الله، وما في سورة المائدة للمصدقين وما في الآية الاولى من سورة التوبة للمؤمنين والمؤمنات الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وما في الآية الثانية للمجاهدين بأموالهم وأنفسهم وما في الآية الثالثة للسابقين من المهاجرين والأنصار وما في الآية الرابعة للشهداء من المجاهدين وهكذا....

٤ - «ولكن أكثر الناس هم لا يشكرون» او بحذف المضاف اليه «الناس» او بحذف الضمير «هم» فقد جاء هذه عقيب خمس آيات في سورة البقرة، آية ٢٤٣ وسورة يونس، آية ٦٠ وسورة يوسف، آية ٣٨ وسورة النمل، آية ٧٣، وسورة غافر، آية ٦١.

ففي آية البقرة أنّ الله غفورٌ رحيم لجميع الناس ونعمته تشمل الناس كلهم ولكن أكثرهم لا يشكرون، وفي سورة يونس معناه ان أكثر الناس غافلون وافترؤا على الله تعالى بأحكام خرافية مبتدعة في تحريم النعمة على انفسهم، وفي سورة يوسف دفعا لتوهم ان التوحيد كان فضلاً للنبيّ واسرتهم فحسب. فقال الله تعالى، او قال يوسف على اختلاف في تفسير الآية، ليس هذا مختصا بنبيّ بل فضل الله على الناس كلّه ولكن أكثرهم لا يشكرون وفي سورة النمل، هم لا يشكرون نعمة تأخير العقوبة وامهالهم الكافي لاصلاح انفسهم، وما في غافر معناه ان من اعظم النعم الالهية هو الحركة بتناوب الليل والنهار والضلام والنور فبدونها تعطلت الحياة، لأنّ الحياة من النور والنور من الحركة ولكن الناس أكثرهم كانوا غافلين عن هذه النعمة العظيمة.

٤ - اسماء الله الحُسنى

فقد جاء في القرآن اسماء الله تعالى ووصفه تبارك وتعالى بالحُسنى.

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ...﴾ (١).

والمراد بالاسماء الحُسنى الأوصاف الحميدة والصفات الثبوتية التي تتبين على قدر معرفتنا به.

نعم الدقة في ذات الله سبحانه لعظمته محال للبشر الضعيف الذليل الذي لا يعرف من هو؟ فالإنسان المحدود لا يقدر ان يحيط بذات البارئ المتعال.

قال رسول الله ﷺ: «تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا» (٢).

وقال أيضاً: «تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الخالق، فانكم لا تقدرون قدره» (٣).

وعلى هذا الأساس فإن الأسماء المترادفة لله تعالى في القرآن بما فيها من المعاني لا يكون تكراراً، فكل اسم من اسمائه باب يوصل العبد اليه ومعراج يرقى الطالب اليه.

فمثلاً الغافر والغفور والغفران والغفار، مع أنها مشتقات من مادة واحدة ولكن لكل منها معنى من المعاني غير ما في الآخر، فان الغافر يدل على المغفرة المحضة اي صرف المغفرة، والغفور يدل على كثرة المغفرة، والغفران يدل على كثرة المغفرة بكثرة ذنوب العبد، فلكل ذنب مغفرة، والغفار تدل على كثرة المغفرة بكثرة نوع واحد من الذنب.

ومثلاً الغنى و الملك وصفان لله تعالى والاوّل يدل على ان الله لا يحتاج الى شىء والثاني يدل على ان كل الأشياء تحتاج إليه تعالى.

ومثلاً العليم والخبير، ايضاً وصفان له سبحانه، فالخبير يعنى العليم الذي له علم بكنه المعلومات وحقائقها ففيه زيادة على ما في العليم.

ومثلاً الخالق والفاطر، كانتا من الاسماء الإلهية والخلق بمعنى إيجاد الشئ والفطر

١- سورة الاسراء، آية ١١٠.

٢- كنز العمال، ح ٥٧٠٤.

٣- كنز العمال، ح ٥٧٠٥.

بمعنى اظهار الحادث باخراجه من العدم الى الوجود ففطر الله الخلق يعنى أظهرهم بإيجاده.

هذا مع أنه كثيراً ما يفهم من اسم واحد او صفة واحدة معان كثيرة باعتبار ما تقدم عليه وما تأخر عنه. فالأسماء الحُسنى لله تعالى بما جاء بها في القرآن الكريم أو ماورد في السنة الشريفة والادعية المأثورة، حتّى ما كان من مادّة واحدة ولها معنى واحد على حسب الظاهر نحو الرحمن والرحيم، الغفور والغفار، ليس بتكرارٍ قطّ بل ليس اسماً واحداً بل كل منهما اسم مستقل بذاته يفيد معنى خاصاً لا يفيد الاسم الآخر والصفة الأخرى. قال ابن حجر العسقلاني:

«الاسماء المشتقة من صفة واحدة لا يمنع ذلك من عدّها، فان فيها التغاير في الجملة، فان بعضها يزيد بخصوصية على الآخر ليست فيه». وقال نقلاً عن ابي العباس بن معد قوله:

«ليس في اسماء الله شيء مترادف، إنّ لكلّ اسم خصوصية وإنّ اتفق بعضها مع بعض في اصل المعنى»^(١).

بل الأسماء المتماثلة مختلفة باعتبار اضافتها الى شيء وقطعها عن الاضافة باعتبار آخر ف«الرّب» في «رب العالمين»، ربّ السموات، ربّ الأرض، ربّ المشرقين، ربّ المغربين، ربّ البيت، ربّ العرش، ربّ ابراهيم، ربّ موسى وهارون ليس بمعنى واحد.

١- فتح البارى، ج ١١، ص ٢١٩ و ٢٢٣.

عند الدقة والتأمل في الآيات التي تعد من التماثلات، نرى ان لكل آية بحسب سياقها العام، معنى خاص يختص بها لا يوجد في الآية الأخرى، أو نرى فيها نوع من الاختلاف، من العطف أو المشار اليه، أو ما ختم به ... بالنسبة الى الآية الأخرى المماثلة لها الى حد يصلنا الى معنى غير ما في الأخرى.

وإليك نموذج من هذه الاختلافات سنبحث عنها في الفصل الثالث بشكل تام انشاء الله.

١ - جاء في سورتي البقرة والمائدة:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ ءِآبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ ءِآبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٢).

فما في البقرة لا يدل على اعتقاد الابناء بما اعتقد آباؤهم اعتقاداً راسخاً، بل هم يقولون ما كنا مقصّرين، بل كنا في ارض وعند أناس كلهم يعتقدون بهذا وهو الاعتقاد الحاكم في المجتمع، فاعتقادنا بربوبية الاصنام هذا لم ينشأ من فحص وتحقيق، فقال الحكيم: «أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون» اذن يمكن ان يقال ان آباؤهم لا يعقلون ولا يتفكرون وانهم يتأثرون من اجواء المحيط فاعتقدوا بربوبية هذه الأصنام والأوثان.

وأما قوله تعالى في المائدة، يدل على اعتقاد الابناء بما يعتقد الآباء اعتقاداً قاطعاً لأنهم لا يرجعون من عقيدتهم ابداء، وعلى هذا قال الحكيم في جوابهم «...أولو كان آباؤهم

١- سورة البقرة، آية ١٧٠.

٢- سورة المائدة، آية ١٠٤.

لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون» وهو آخر حدّ الضلالة واقتوى من ما في البقرة، «أو لو كان آبائهم لا يعقلون» لأنّ العلم اعلى درجة من العقل بل العلم من كمال العقل، ومن هذا يصح توصيف الله تعالى به «العليم» ولا يصح وصفه به «العاقل» (١).

٢- جاء في سور آل عمران والانعام والنحل والنمل والعنكبوت والروم:

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٢).

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٣)

﴿... فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤)

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٥)

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦)

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ (٧)

بعد التأمل في هذه الآيات، نعرف ان الله تعالى امر بالتدبر بما جرى على الفراعنة

١- راجع الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري .

٢- سورة آل عمران، آية ١٣٧ .

٣- سورة الانعام، آية ١١ .

٤- سورة النحل، آية ٣٦ .

٥- سورة النمل، آية ٦٩ .

٦- سورة العنكبوت، آية ٢٠ .

٧- سورة الروم، آية ٤٢ .

والكفار والامم السالفة التي لم يبق أحداً منهم بروية آثارهم وما بقى عنهم. ثم زيادة التدبر والدقة واخذ العبر والدروس، فلا بدّ للانسان ان ينظر الى آثارهم ويتفكر في اعمالهم الطالحة وعقائدهم الباطلة نظرة الاعتبار. مع ان هناك فرق في خواتيم هذه الآيات التي تؤثر في فهم مطلعها وايضاً فرق في المراد من المكذبين المجرمين.

٣ - التكرار في سورة الرحمن آية:

﴿قَبَائِرِ الْآلَاءِ رَبِّكَمَا تُكَذِّبَانِ﴾

فقد كررت هذه الآية احدى وثلاثين مرّة، ولو تأملنا فيها نعرف ان معنى كلّ آية يختلف بالنسبة الى غيرها، لوقوعها عقيب نعمة وان المقصود من الآلاء في كلّ آية هي النعمة التي ذكرت قبلها.

ان قلت: ان بعض هذه الآيات غير مسبوقة بنعمة نحو «كل من عليها فان» و «يرسل عليكم شواظ من نار» و «هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون» فكيف يصح ما ذكرتم؟ قلت: هذه الآيات وامثالها ايضاً تشير الى نعمة من نعم الله فالآية الأولى تذكر بالموت والفناء حتّى يتجّه الى الأعمال الصالحة وهذه نعمة عظيمة والأخيرتان توعدان بالعذاب في يوم القيمة وهذه اي الوعيد لايجاد الخوف ايضاً من النعم الإلهية وبإلها من نعمة.

٤ - التكرار في سورة الكافرون

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

«تكرر اربع مرأت «لا» و «ما»، وتكرر ضمير المخاطب والغايب «انتم - انا» مرتين، ومادة عبد بصيغها المختلفة تكررت ثمان مرأت، ف«اعبد» ثلاث مرّة، «عابدان» مرّتين، «تعبدون» و «عبدتم» و «عابد» كلّ منها مرّة واحدة، هذا مضافا الى تكرار «دين» في

الآية الأخيرة: «لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ».

لكن بعد الدقة والتأمل يمكن ان نقول ان «لا اعبد» كانت لنفي عبادة الرسول لما يعبد المشكرون اياهم في الحال والمستقبل كما هو اقتضاء صيغة المضارع و «عابد» لنفي عبادة الأصنام في زمن الماضي، لأن اسم الفاعل يستعمل في الأزمنة الثلاثة ومنها الماضي، فينتفى العبادة في الأزمنة الثلاثة بهاتين الآيتين، ويؤيد هذا التفسير، الفعل المضارع في الآية الثالثة والماضي في الرابعة. وتكرار هذه المادة «عابد» هو لنفي عبادة الله في الحال والمستقبل و «عابدون» لنفي عبادة الله في الماضي» لكفار قريش وما استفيد من بيان جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وهم: قوماً من الكفار والمشركين.

الوجه الثاني: ما استفيد ايضاً من بيان جعفر بن محمد الصادق عليه السلام هم قوماً من الكفار والمشركين منهم «وليد بن المغيرة، العاص بن وائل، الاسود بن المطلب، امية بن خلف» قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: «اعبد ما نعبد سنة ثم نعبد ما تعبد سنة، وهكذا حتى تستفيد من عبادة ما نعبد واستفدنا من عبادة ما تعبد، فانزل السورة جواباً لهذا الاقتراح».

وعن المرتضى بن الحسين الموسوى العلوى البغدادي (٣٥٥-٤٣٦) وجه ثالث وهو: «إن القرآن لم ينزل دفعة واحدة وإنما كان نزوله شيئاً بعد شيء والأمر في ذلك ظاهر، فكان المشركين اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: استلم بعض اصنامنا حتى نؤمن بك، ونصدق نبوتك، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم «لا أعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد» ثم غيروا مدة من الزمان وجائوا فقالوا له: اعبد بعض آلهتنا واستلم بعض اصنامنا يوماً أو شهراً أو حولاً، نفعل مثل ذلك بالهتك، فأمره الله بأن يقول لهم «ولاً انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد» اي ان كنتم لا تعبدون الهى الا بهذا الشرط، فإنكم لا تعبدونه ابداً» (١).

المقام الثاني: التكرار في المفاهيم

إن القرآن ينطوى على بطون مختلفة متنوعة في احوال التوحيد ومراتبه المتعددة، يحكى عنه ويدعو إليه ويعاقب على تركه ويشب عليه فالقرآن كله توحيد باقسامه المختلفة:

١ - التوحيد في الذات وأنه تعالى لا شريك له ولا نظير، وليس كمثل شئ وشبيه ومثل وان ذاته بسيطة لا مركبة.

٢ - التوحيد في الصفات فالصفات العديدة نحو الحياة والعلم والقدرة وغيرها كلها واحدة وهي عين الذات بحسب وجودها الواقعي.

٣ - التوحيد في الأفعال فهو تبارك وتعالى علة العلل لكل من المخلوقات والموجودات.

٤ - التوحيد في العبادة فهو في اعلى مراتب الكمال وأنه منشاء حياة كل شئ فهو معبود وأنه مستحق للعبادة.

٥ - التوحيد في الولاية فله تدبير العالم والحاكمية التشريعية بتقنين القوانين وجعل الأحكام وله السلطة التنفيذية.

٦ - التوحيد في الطاعة فكما أنه يستحق العبادة وله الولاية، فهو مستحق للطاعة فلا يجوز ان يطاع غيره.

٧- التوحيد في الجزاء فهو يُجزى أهل الطاعة بالثواب الجزيل والسعادة الابدية ويعاقب أهل المعاصي والكفار بالثَّار والشقاوة الابدية تبعاً لقبولهم التوحيد وانكارهم بها. إن كل آية في القرآن متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية اليه، فالقرآن أمّا خبر عن الله واسمائه وصفاته وافعاله، فهو التوحيد العلمي الخبرى، وأمّا دعوة الى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الارادى الطلبى، وأمّا الزام بطاعته في أمره ونهيه فهو حقوق التوحيد ومكملاته، وأمّا خبر عن كرامة الله لأهل توحيد وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيد وأمّا خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من التَّكَال وما يحلّ بهم في العقبى فهو خبر عَمَن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كلّ في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»^(١). فالقرآن على العموم كلّ تكرار للتوحيد وشؤنه ومراتبه تنبيهاً على أنّه أوّل كلّ عمل وقول وفكر وتدبر وآخر شئ هو الله تبارك وتعالى، حتّى ان المقصود من جميع التكاليف الالهية هو التوحيد ومعرفته بلاريب، ولكن عندما نتدبر في كلّ سورة أو آية أو آيات نرى فيه غير ما في الأخرى من المفاهيم، ومن هنا نذكر بعض المفاهيم ونبحث عنها على قدر ما يعيننا.

البحث الأوّل: التكرار في المبدأ

بعد ما قلت انّ القرآن كلّ توحيد، نقول: قد أكثر القرآن الحديث عن المبدأ بل هذا من المحاور التي دارت عليها كل السور القرآنية بحيث لا تكاد تخلو منها سورة، ولكن هذا ليس على نسق واحد، بل يختلف باعتبار كثرة المباحث في هذا المجال، فمن المواضيع

١- مدارج السالكين، ج ٣، ص ٤٦٨.

التي يبحث عنها القرآن حول التوحيد:

(الف) الفطرة التوحيدية التي كانت في نفوس الانسان والناس مهيون للتوحيد منذ ان خلقوا بل قبل ان يخلقوا في عالم الذرّ بشهادتهم على أنفسهم واعترافهم بوحدانية خالقهم، فمن هذه الآيات:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غْفِيلِينَ﴾ (١).
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...﴾ (٢).

(ب) دعوة القرآن الى التوحيد فالقرآن يدعو الناس ويوجههم الى الفطرة الالهية في أنفسهم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٣).
نرى هذه الدعوة في القصص القرآنية فكل نبي من انبياء الله دعى امته الى الله تعالى والايمان به، فقال نوح وهود وصالح وشعيب:

﴿... يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ...﴾ (٤).

حتى أنها كانت دعوة كل نبي.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴾ (٥).

١- سورة الأعراف، آية ١٧٢.

٢- سورة الروم، آية ٣٠.

٣- سورة البقرة، آية ٢١.

٤- سورة الأعراف، آيات، ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥؛ سورة هود، آيات ٥٠، ٦١، ٨٤.

٥- سورة النحل، آية ٣٦.

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَازَهُبُونَ﴾ (١).

﴿وَالنَّهْكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٢).

(د) نفي الولد لله سبحانه وأنه تعالى لم يلد ولم يولد.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ

قَنِينُونَ﴾ (٣).

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ

مِنَ الذَّلِيلِ وَكَثِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾ (٤).

(هـ) بيان لوازم الشرك من ذهاب كل اله بما خلق والافساد في الأرض وفي جميع

مخلوقاته.

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (٥).

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾ (٦).

(و) التوحيد هو الهدف الأساسي لإرسال الرسل فبعث كل رسول لأن يدعو الناس الى

التوحيد.

١- سورة النحل، آية ٥١.

٢- سورة البقرة، آية ١٦٣.

٣- سورة البقرة، آية ١١٦.

٤- سورة الاسراء، آية ١١١.

٥- سورة المؤمنون، آية ٩١.

٦- سورة الأنبياء، آية ٢٢.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ...﴾ (١).

وغير هذا من الآيات التي نزلت في هذا المجال. فكل آية تكشف عن مجهول خاص وتتكلم على شئ غير ما تكلمت به في آية أخرى ونزل على قوم وعلى لسان احد وهكذا من الظروف المختلفة والأسباب المتعددة لنزول الآيات.

البحث الثاني: التكرار في المعاد

تكرر في القرآن بعد التوحيد، البحث عن المعاد وليس هذا إلا بيان موارد مختلفة ونتائج مهمة من كل آية، فمثلاً عندما جاء:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢).

اراد الله تعالى ببيان أنه حق على الإطلاق، والحق لا يصدر عنه إلا الحق ولو لم يكن معاد ولا تجي القيامة ولا يثاب السعيد ولا يعاقب الشقي، فهو باطل والباطل مردود عنه تعالى. فانظر الى بعض هذه الموارد المتعددة:

الف) المعاد في الشرايع السابقة

جاءت آيات كثيرة تحكى عن محادثة الأنبياء مع أقوامهم في إثبات المعاد نحو ما قال شعيب لقومه:

﴿... يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَغْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٣).

ب) البحث عن وجوب المعاد وضرورته ببيان الدليل عليه.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ

١- سورة النحل، آية ٣٦.

٢- سورة الحج، آية ٦.

٣- سورة العنكبوت، آية ٣٦.

كَفَرُوا مِنَ النَّارِ» (١).

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (٢).

ج) بيان الامثلة المختلفة من الحياة الثانية للأمم السالفة. نحو ما جاء من قصة ابراهيم عليه السلام وسؤاله من الله تعالى لرؤيته احياء الاموات (٣). وما جاء في احياء نبي بعد مئة عام (٤). وما جاء في احياء قوم من بنى اسرائيل الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت (٥). وما جاء في احياء قتيل بنى اسرائيل في قصة البقرة (٦).

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَسْمُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾

وما جاء في احياء سبعين رجلا من بنى اسرائيل الذين يريدون ان يروا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة والرجفة (٧).

وما جاء في احياء الاموات بيد عيسى عليه السلام (٨).

وما جاء في احياء اصحاب الكهف بعد ان لبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنة وازدادوا

١- سورة ص، آية ٢٧.

٢- سورة المؤمنون، آية ١١٥.

٣- سورة البقرة، آية ٢٦٠.

٤- سورة البقرة، آية ٢٥٩.

٥- سورة البقرة، آية ٢٤٣.

٦- سورة البقرة، آيات ٦٦ الى...

٧- سورة البقرة، آية ٥٥؛ سورة الأعراف، آية ١٥٥.

٨- سورة آل عمران، آية ٤٩.

(د) بيان تفصيل ما يقع بعد الموت من السُّؤال والحياة البرزخية واشتراط الساعة ونفخ الصور وزلزلة الساعة وخروج النَّاس من قبورهم والحشر وتطير الكتب وميزان الأعمال والصراط والجنة والنار وما فيها من النعمة والنقمة تفصيلاً.

فكل آية في هذه الموارد تكشف عن المجهولات المتعددة التي لا يمكن النظر إليها إلا من طريق الوحي النازل من الله تعالى.

(هـ) رد بعض الأقوال حول اختصاص ما يقع في المعاد بقوم دون قوم، فجاء في القرآن رداً على زعم اليهود والنصارى حيث ادعوا أنَّ الجنة لا يدخلها إلا من كان يهودياً أو نصرانياً كما صرح بذلك القرآن حيث قال:

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢).

البحث الثالث: التكرار في الفروع

تكررت لفظة الصلوة بمشتقاتها ما يقارب مئة مرة وبمداليل متعددة وعلى وجوه مختلفة منها:

(الف) النهي عن ترك المسامحة في الصلوة.

﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (٣).

(ب) الذم لتارك الصلوة لانكاره يوم القيامة.

١- سورة الكهف، آيات ٩ الى...

٢- سورة البقرة، آية ١١١.

٣- سورة الماعون، آيتي ٤ و ٥.

﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾ (١).

ج) النهى عن الصلوة في حالة السكر أو الكسالة أو الاستهزاء به أو كانت رياء.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى...﴾ (٢).

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ (٣).

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٤).

﴿قَوْلِ لِلْمُصَلِّينَ... الَّذِينَ هُمْ يُرْءَاوْنَ﴾ (٥).

د) النهى عن الصلاة على أموات المنافقين.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تُقُمْ عَلَى قَبْرِهِ...﴾ (٦).

هـ) الدعوة الى الصلاة وبيان وجوبها.

﴿... إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (٧).

و) ذكر مقدمات الصلاة من الطهارة والوضوء او التيمم.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُتِبُوا إِلَى الصَّلَاةِ فَأَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ

١- سورة القيمة، آية ٣١.

٢- سورة النساء، آية ٤٣.

٣- سورة النساء، آية ١٤٢.

٤- سورة المائدة، آية ٥٨.

٥- سورة الماعون، آيات ٤ الى ٦.

٦- سورة التوبة، آية ٨٤.

٧- سورة النساء، آية ١٠٣.

عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَايَةِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾

(ز) بيان وقت الصلاة.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ﴾ (٢).

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ...﴾ (٣).

(ح) تشريع صلاة القصر للمسافر.

﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ...﴾ (٤).

(ط) الصلاة ودورها في الردع عن الفحشاء والمنكر.

﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾ (٥).

(ي) التأكيد على بعض الصلوات المعيّنة من بين مجموع الفرائض اليومية.

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ (٦).

ونكتفى بذكر هذه النماذج بالرغم من وجود موارد أخرى، ففي كل آية جاءت هذه

١- سورة المائدة، آية ٦.

٢- سورة هود، آية ١١٤.

٣- سورة الاسراء، آية ٧٨.

٤- سورة النساء، آية ١٠١.

٥- سورة العنكبوت، آية ٤٥.

٦- سورة البقرة، آية ٢٣٨.

الكلمة بمشتقاتها، نرى فيه حكماً وموضوعاً خاصاً. هذا مع أنّ المخاطب فيها مختلف.
وقد جاءت كلمة الصوم بمشتقاتها ثلاث عشرة مرة، وفي كلّ مرة تدل على شئ
ونذكرها على النحو التالي.

الف) وجوب الصوم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ﴾ (١).

ب) وجوبه على من يقدر عليه وعدم وجوبه للمعذورين من المسافرين والمرضى.
﴿... فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ
أُخَرَ...﴾ (٢).

ج) الإشارة الى بعض أحكام الصوم.

﴿أَحِلَّ لَكُم لَيْلَةُ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ...﴾ (٣).

د) بيان الإشارة الى كفارة عدم الإتيان بالصوم.

﴿... وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينَ...﴾ (٤).

هـ) رجحان الصوم على الفدية حذرا من رغبة الناس الى الفدية وترك الصوم.

﴿... وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٥).

و) بيان فضل وجزاء الصائمين والصائمات.

١- سورة البقرة، آية ١٨٣.

٢- سورة البقرة، آية ١٨٥.

٣- سورة البقرة، آية ١٨٧.

٤- سورة البقرة، آية ١٨٤.

٥- سورة البقرة، آية ١٨٤.

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ... وَالصَّامِغِينَ وَالصَّامِغَاتِ... أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١).

(ز) صحة النذريه كنذر مريم عليها السلام بعد الافتراء عليها.

﴿فَأَمَّا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا...﴾ (٢).

(ح) كفارة المحصور في الحج، أو القتل خطأ، أو حنت الأيمان، أو قتل الصيد في الحرم حال الاحرام، أو الظهار (٣).

وقد جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في آيات عديدة على وجوه شتى.

(الف) في وصف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

﴿... يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ (٤).

(ب) في وجوبهما على جميع الناس.

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ (٥).

(ج) في وجوبهما الخاص على عدة من الناس.

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

١- سورة الأحزاب، آية ٣٥.

٢- سورة مريم، آية ٢٦.

٣- سورة البقرة، آية ١٩٦ ؛ سورة النساء، آية ٩٢ ؛ سورة المائدة، آيتي ٨٩ و ٩٥ ؛ سورة المجادلة، آية ٤.

٤- سورة الأعراف، آية ١٥٧.

٥- سورة آل عمران، آية ١١٠.

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾.

(د) في توصيف بعض أهل الكتاب بهما.

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢).

(هـ) في توصيف المؤمنين الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق بعد تمكينهم في الأرض.
﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ غَابِطَةُ الْأُمُورِ﴾ (٣).

(و) في توصيف المؤمنين الذين قتلوا وقاتلوا في سبيل الله.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ * أَلَا تَتَذَكَّرُونَ أَلْعَبِيدُونَ... أَلَا تَتَذَكَّرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ (٤).

(ز) في وصية لقمان الحكيم لابنه.

﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ (٥).

(ح) في بيان التقابل والتضاد في عمل المنافق والمؤمن.

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

١- سورة آل عمران، آية ١٠٤.

٢- سورة آل عمران، آية ١١٤.

٣- سورة الحج، آية ٤١.

٤- سورة التوبة، آيتي ١١١ و ١١٢.

٥- سورة لقمان، آية ١٧.

الْمَعْرُوفِ...» (١).

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾ (٢).

فبملاحظة هذه الآيات نعرف انه ليس في الآيات الفقهية التي تسمى بـ(آيات الاحكام) تكرار بل كل آية تتكلم عن شئ غير ما في الآية الأخرى.

البحث الرابع: التكرار في المفاهيم الاخلاقية

القرآن الكريم هو كتاب الموعظة والتربية بشكل عام حتّى يمكن ان يقال انّ ما من آية الا ويمكن انّ تتناول في ابحاث اخلاقية مختلفة.

فلو تعرضنا لبحث من تلك المباحث لوجدنا انّ الآيات التي تتعرض له تشير الى جوانب متعددة من ذلك البحث. فمثلاً قد ذكر القرآن الكريم البخل في آيات عديدة وهو احد الاوصاف الرذيلة من القوة الغضبية ولكن جاء في آية أنّه وصف للمتمسكين بالدنيا.

﴿هَٰئِذَا نُمِيتُكُم مِّنَ اللَّيْلِ تُذْعَوْنَ لِتُتَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَّنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ...﴾ (٣).

وفي آية أخرى أنّه وصف للمتكبرين وانّ الله له جميع الخزائن الموجودة ولا يحتاج الى احد من خلقه، بل خلقه هم المتحاجون إليه.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ

١- سورة التوبة، آية ٦٧.

٢- سورة التوبة، آية ٧١.

٣- سورة محمد ﷺ، آية ٣٨.

وآية أخرى قد اوعد الذين يبخلون بالعذاب المهين.

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَاءً آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٢).

وآية أخرى قد بين فيها نوع العذاب في يوم القيمة للذين يبخلون.

﴿لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ مِمَّا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ...﴾ (٣).

هذا مع الاختلاف الشاسع في معاني كلمة البخل ومصاديقها ومتعلقاتها في هذه الآيات، بملاحظة السياق العام.

وقد جاء في آيات القرآن البحث عن الربا في آيات عديدة كل آية لها معنى غير ما في الأخرى بحسب سياقها حتى قيل بنوع من الترتيب في حرمة من المراتب السهلة الى الشديدة كما يقال في حرمة شرب الخمر، مع انه يمكن ان يقال: ان آية منها نزلت لبيان تحريمه في الشرايع السابقة كالأية التالية:

﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبِطْلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٤).

وفي آية منها نهي عنه نهياً مع عدم التشديد فيه.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

١- سورة الحديد، آية ٢٤.

٢- سورة النساء، آية ٣٧.

٣- سورة آل عمران، آية ١٨٠.

٤- سورة النساء، آية ١٦١.

تَقْلِحُونَ ﴿١﴾

وفي آية أخرى نهى الله عن الهدايا التي يقدمها بعض الى أصحاب الثروة والجاه كي ينالوا منهم شيئاً.

﴿وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِّن رَّبًّا لَّيْرِبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَزِيدُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ (٢).

وفي آية أخرى قد نهى الله تعالى عنه نهياً شديداً.

﴿يَسْأَلُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَذَرَوْا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَحْزَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ (٣).

وفي آية تجسيد حال المرأ بين لأنهم في الدنيا اشبه بالمجانين في أعمالهم.

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٤).

ومثلاً جاء في القرآن البحث عن التطفيف وهو اشد من الربا، لأن الله ما أهلك قوماً لأكلهم الربوا بينما التطفيف كان من العوامل الاساسية في عذاب وهلاك بعض الأمم السالفة، وفيه آيات.

آية في النهي عن التطفيف فعندما قدم النبي المدينة وكانوا من ابخس الناس كيلاً انزل الله هذه الآية:

١- سورة آل عمران، آية ١٣٠.

٢- سورة الروم، آية ٣٩.

٣- سورة البقرة، آيتي ٢٧٨ و ٢٧٩.

٤- سورة البقرة، آية ٢٧٥.

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّينَ﴾ (١).

وآية في حرمة التطفيف في خلال بيان بعض المحرمات والذنوب الكبيرة.
﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ... كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (٢).

وفي آية حرمة التطفيف في خلال بعض النواهي الاخرى لبيان الصراط المستقيم وطريق العدل والقسط.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ، لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٣).

وقد جاء الوفاء بالكيل والوزن في قصة شعيب عليه السلام مرتين في سورة هود والشعراء.

﴿وَيَقُومِ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ...﴾ (٤).

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ (٥).

وفي كل آية أشار الى معنى لم يذكره في آية أخرى، هذا كله مع ما في كلمة الميزان من التفسير والتأويل.

البحث الخامس: التكرار في القسم

مما يجلب الانتباه استخدام القسم في القرآن وهو لجذب الانتباه الى استماع القرآن

١- سورة المطففين، آية ١.

٢- سورة الاسراء، آيات ٣٥ الى ٣٨.

٣- سورة الأنعام، آية ١٥٢.

٤- سورة هود، آية ٨٥.

٥- سورة الشعراء، آية ١٨١.

وما فيها من المعارف، فإنَّ الابتداء به يترك السامع على حالة من الرهبة والخوف فكأنَّ القسم اشدَّ وقعاً وتأثيراً على الانسان عندما يسمعه.

ثمَّ انَّ القسم على قسمين مظهر ومضمّر، فاما المضمّر ما حذف قسمه ويدل عليه لام القسم، نحو ﴿تَبْلُوْنَ فِي اَمْوَالِكُمْ﴾ (١).

يوصل القسم الى المقسم به باحد الحروف الخمسة (الباء، الواو، التاء، اللام، من) فالباء وهو الأصل في القسم وحروف القسم المذكورة في القرآن حرفان وهما (الواو، التاء) فقد جاء القسم بهما أو بحرف النفي أربع واربعون مرّة في القرآن، نعم يمكن أن يكون مورداً يشتمل على أقسام عديدة نحو ما في سورة الشمس وهو مشتمل على أحد عشر قسماً.

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا * وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا * وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا * وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا * وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا * وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾

وهذا وان كان تكراراً في القسم ولكن هو من قبيل التكرار في الحروف والكلمات التي لا محيص عنها، مع انَّ الاختلاف في المقسم بها والمقسم عليها امرٌ بيّن عند ملاحظة الآيات.

ولقد اقسم الله تعالى بمخلوقاته من الفجر والشفق والصبح واليوم والضحى والنهار والعصر والليل والشفع والوتر والعاديات و....

وقد تكرر الليل ست مرارة والسماء والقرآن اربع مرارة والقمر ثلاث مرارة والنهار والمقيلات مرّتين، ولكن بملاحظة مقيداتها نرى ان لا تكرار فيها، حيث أقسم جل جلاله بالليل والليل اذا سجد والليل اذا يغشى والليل اذا يسر والليل اذا ادبر والليل اذا عسعس والليل اذا يغشيها، واقسم بالقرآن ذى الذكر والقرآن المجيد والقرآن الحكيم، واقسم بالقمر

والقمر اذا تليها والقمر اذا اتسق، واقسم بالنهار اذا تجلى والنهار اذا جليها، نعم قد تكرر القسم بالليل والسماء مرّتين ولكن يظهر التعدد بملاحظة اطلاقها او اختلاف معطوفها.

البحث السادس: التكرار في القصص

القص بمعنى تتبع الأثر والقصص هو الأخبار المتتابعة وهو مجموع من الكلمات لإفادة معنى.

فقد تكرر موسى عليه السلام في أكثر من مئة وثلاثين موضعاً وتكررت قصته في سبعين موضعاً، وأيضاً وردت قصة إبراهيم عليه السلام في عشرين موضعاً وقصة آدم عليه السلام في سبع مواضع. فلا بد من البحث في علّة تكرار القصص وما فيها من المعاني في مقامين.

الاولى، الروح العامة للقصص القرآنيّة

ويمكن ملاحظة ذلك في النقاط التالية.

١ - الاقتصار، فالقرآن لا ينقل القصة من جميع جهاتها من أولها الى آخرها ومن قصة نبيّ الى نبيّ آخر بشكل متتابع بل اقتصر على ذكر الإحداث التي يتحقق بها الغرض ولهذا لم يذكر في كلّ القصص التفاصيل والجزئيات كالاسماء والأمكنة وغيرها التي تخلو عن العبرة.

٢ - الموعظة، القرآن كله كتاب موعظة وهكذا قصّته وعلى هذا جاء في القرآن من القصة ما لها من التأثير في الوعظ والإرشاد بحيث نرى كثيراً ما أنّ القرآن في كلّ مرّة يتناول جانباً خاصاً من القصة المعينة ولكن يفاير جوانب القصة من آية الاخرى.

٣ - تصوير الاسوة، قد بيّن القرآن تصوير الاسوة وذكر شخصية القصة وبيان المصائب التي حلّت عليه خلال عملية تبليغه الرسالة، فمثلاً أنّ موسى عليه السلام ولد تحت جور الحاكم

وفي سلطته ورمى في اليم صبيّاً فجئى به بحكمة الله تعالى الى قصر فرعون وبلغ واشتد فصار قوياً فانصرف بعد مدّة الى بلاد أخرى ثمّ هاجر مع زوجته وصار نبياً مرسلًا وجاء بكتاب والواح ونجّى قومه من فرعون بعد ان اهلكه الله تعالى ومن معه في اليم، وقد حدثت وقائع كثيرة في هذا الظرف فصار موسى شخصية كاملة صالحة لأن تكون اسوة للآخرين.

٤ - القصص الواقعية، انّ العرب كانوا يسمعون القصص من «نضربن الحارث» وهو يقصّ عليهم من القصص التي تفيض بالصورة الخيالية وتنطوى على المفاهيم الخرافية والوهمية، متأثر بقصص الفرس والروم التي لا أثر تربوى لها فضلاً عن صدقها، فالقرآن يأتي بالقصص الصادقة المعتبرة وفيها من المواعظ والعبر لكى يتركوا الاستماع الى القصص الزاخرة بالخرافة والتخيلات والموهومات.

٥ - رعاية المناسبة، عندما نلاحظ القصص، نرى الروح العامة والهدف الكلى الذي يتبعه القرآن في كل من القصص ببيانها بشكل وهيئة لإيجاد معنى جديد غير ما ذكر من قبل بدون ان يقع فى اسلوب القصة اضطراب، فمثلاً عند ملاحظة قصة موسى عليه السلام في بعض من السور نرى فيها ان اساس القصة ينصب على جهة واحدة وهي العلاقة بين موسى وفرعون، وعندما نلاحظ القصة في بعض آخر، نرى هذه العلاقة بشكل اجمل بين موسى وقومه، فالله تبارك وتعالى قد بين في كلّ سورة موضع من القصة مناسب له.

٦ - خلوها من الخيال والاسطورة، الذين هما من لوازم الوهم الذي لا اساس له والقرآن لا يتصف بهذا الوصف لأنّه وقصته خالية من التخيلات وبيان الاسطورة غير الواقعية.

٧ - خلوها من الرموز والاشارات، التي يشكل تفسيرها وذلك لأن الرموز منافية للأغراض التربوية التي جاءت القصص القرآنية لها.

٨ - مطابق للبيئة الإسلامية، ذلك أنّ القرآن إنّما يأتي بالقصص التي تطابق لبيئة الرسالة الإسلامية فحسب وعلى هذا الأساس لا يأتي بقصص الأنبياء الذين كانوا في غير الشرق الأوسط بملاحظة أنّ لكلّ أمة نبيّاً ولا يعذب الله قوماً حتّى يبعث إليهم نبيّهم.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (١).

الثانية، الغرض الأساسي لذكر القصة في القرآن

الغرض الأصيل لبيان القصص القرآنية هو نفس الغرض لانزال الكتاب الكريم وهو الدعوة الى عبودية الله تعالى وإيقاظ الانسان النائم بمنحه التجارب والعبر من الأمم السالفة.

وذلك لأنّ القرآن الكريم ليس كتاب قصص لكي يقص القصص بما أنّها حادثة وقعت ورواية مضت، بل القصة في القرآن جزء منه وكما أنّ القرآن يأتي لأغراض ومنها الدّعوة الى التوحيد فالقصة تكون كذلك مع أنّه تحت هذا الغرض الاساسي هناك اغراض أخرى منها:

١ - اثبات رسالة الرسول الاميّ وان القرآن كتاب منزل ووحى يوحى من الله تعالى وذلك لأنّ النبيّ الاميّ الذي لا يقرء ولا يكتب، عندما جاء بهذه القصص الموجودة في القرآن التي لم تكن موجودة من قبل أو جاءت بالخصوصيات التي لم تكن موجودة في الكتب السابقة فعند ذلك تعرف أنّه نبيّ مرسل.

قال الحكيم في بيان هذا الغرض المهم:

١- سورة القصص، آية ٥٩.

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلْنَمُهمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (١).

٢ - بيان انّ الدين الالهى، هو دين واحد وشريعة واحدة وانه لا اختلاف في الأديان من الناحية العقائدية من حيث المبدأ والمعاد، وانّ التّقرّب الى الله هو الهدف الأصلي لخلق الإنسان، فالأديان كلّها تدعوا الناس الى الله تعالى بأنّه الله واحد والى الاعتقاد بالمعاد واتباع العمل الصالح.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢).

٣ - تصديق الأنبياء السابقين وتصديق كتبهم وشرايعهم فإنهم نبّيون حقاً جائوا لبيان الحق وبشرايعهم الخاصة بهم.

٤ - تصحيح القصص التي ذكرت في الكتب السالفة والتي تعرضت للانحراف، فتحرفت بعضها كقصة هبوط آدم وقصة نوح.

﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ...﴾ (٣).

فاليهود يزعمون ان سليمان النبي ﷺ يعمل بالسحر وسخر الأجنة والإنس والوحوش وما جاء من الغرائب لسحره هذا.

فردّ عليهم القرآن بأنّه كان لم يكفر وهو نبي من انبياء الله تعالى. قال العياشي في تفسيره عن أبي بصير عن أبي جعفر ﷺ، قال: لما هلك سليمان وضع ابليس السحر، ثمّ كتبه في كتاب فطواه وكتب على ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا من

١- سورة آل عمران، آية ٤٤.

٢- سورة الأنبياء، آية ٢٥.

٣- سورة البقرة، آية ١٠٢.

ملك سليمان بن داود عليه السلام من ذخائر كنوز العلم، من أراد كذا فليقل كذا وكذا، ثم دفنه تحت السرير ثم استشاره لهم، فقال الكافرون: ما كان يغلبنا سليمان إلا بهذا، وقال المؤمنون: هو عبدالله ونبيه، فقال الله في كتابه: واتبعوا... (١).

وكقصة ولادة عيسى عليه السلام:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ (٢).

٥- بيان النقائص في الشرائع السابقة وإن ما في الإسلام هو تمام الدين وكماله.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٣)

نعم ليس المراد من الآية اكمال القوانين الفرعية كالواجبات والمحرمات، بل المراد من

اكمال الدين واتمام النعمة هو نصب علي عليه السلام خليفة للرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأدّل دليل على هذا مع غمض النظر عن الأدلة الكثيرة، هو نزول بعض آيات الأحكام

الشرعية كآية الربا والدين وغيرها بعد نزول آية الاكمال المشار إليها انفاً.

لكن مع كل الاسف ان العالم الكبير جلال الدين السيوطي قد ذكر هذا الاشكال

واجاب عنه بجواباً واهياً غير مقبول، قال في الاتقان:

«من المشكل على ما تقدّم قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ فإنها نزلت بعرفه

عام حجة الوداع، وظهرها اكمال جميع الفرائض والأحكام قبلها وقد صرح بذلك جماعة

منهم السدي، فقال: لم ينزل بعدها حلال ولا حرام، مع أنه ورد في آية الربا والدين

والكلالة أنها نزلت بعد ذلك» (٤).

١- تفسير المصنف، ج ١، ص ٧٠.

٢- سورة مريم، آية ٣٠.

٣- سورة المائدة، آية ٣.

٤- الاتقان، ج ١، ص ٦٠.

لكن عند ما نرجع الى تاريخ نزول سورة البرائة نجد ان بعضاً منها نزلت بعد سورة المائدة محتويّاً على جملة من آيات الاحكام فحينئذٍ تعرف ما فى جواب السيوطى من الاشكال وكذلك ما قاله الفخر في جواب هذه المشكلة بزعمه (١).

٦ - بيان ان الامم السابقة أيضاً يكذبون انبيائهم ويفترون عليهم ويقتلونهم فتكذيب قريش وايدائهم بالنسبة الى النبي الخاتم ﷺ ليس شيئاً جديداً.
﴿تِلْكَ الْأَقْرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ (٢).

٧ - برائة ساحة الأنبياء من الذنوب والخطايا كما ورد في قصة يوسف ﷺ في ما وقع بينه وبين امرأة العزيز، فقد بين القرآن الواقعة حتى نعرف اهمية الموضوع وتكريم النبي وأنهم لا يرتكبون الذنوب حتى لو قرب اليهم الذنب قدر انملة وحتى لا يبقى شبهة في اذهان البعض.

قال الرضا ﷺ في سؤال عن تفسير «ولقد همت به وهمّ بها»: «فأنها همت بالمعصية وهمّ يوسف بقتلها ان اجبرته، لعظم ما تداخله، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة وهو قول الله عز وجل: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾؛ والسوء: القتل والفحشاء: الزنا» (٣).

٨ - بيان الحوادث والوقائع الغابرة التي يسئل عنها الناس كقصة أصحاب الكهف وذى القرنين وأصحاب الأخدود والحوادث الواقعة قبل أو بعد الهجرة ومواقع الانذار فيها.
«قال الصادق ﷺ: كان سبب نزول سورة الكهف ان قريشا بعثوا ثلاثة نفر الى

١- انظر الى تفسير الكبير، ج ١١، ص ١٤٠.

٢- سورة الأعراف، آية ١٠١.

٣- البرهان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ١٦٨.

نجران، النضر بن الحارث بن كعدة، وعقبة بن أبي معيط، والعاص بن وائل السهمي، ليتعلموا من اليهود والنصارى مسائل يسئلوها رسول الله ﷺ، فخرجوا الى نجران الى علماء اليهود، فسألوهم، فقالوا: اسألوه عن ثلاثة مسائل، فإن أجابكم فيها على ما عندنا فهو صادق ثم سلوه عن مسألة واحدة، فإن ادعى علمها فهو كاذب، قالوا: وما هذه المسائل؟ قالوا: اسألوا عن فتية كانوا في الزمن الأول فخرجوا وغابوا...» (١).

٩ - بيان نصره المؤمنين وهلاك الكفار والمشركين حين بلوغ وقتها.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢).

١٠ - بيان الاستقامة والحلم والصبر لأنبيائهم في مقابل اعدائهم الاشقياء فقال

نوح عليه السلام لله تعالى.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِيْءِ أَذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ (٣).

١١ - تسلية لقلب نبي الرحمة ﷺ بأن المصائب التي يحتملها هي نفس

مصائب الأنبياء السابقين من قبل أمهم.

﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ

١- تفسير نورالتقلين، ج ٣، ص ٢٤٦.

٢- سورة الانفال، آية ٧.

٣- سورة نوح، آيات ٥ الى ١٠.

وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١﴾

١٢ - الإنذار والتبشير والمواعظ الاخلاقية والتربوية التي كانت في قصص الأنبياء الاولين.

١٣ - اظهار اعلى مراتب البلاغة بتكرار قصة واحدة في موارد متعددة بأسلوب مميز بحيث يتعرّف القارئ على معنى آخر من القصة وواقعة جديدة منها.

١٤ - بيان اعلى مراتب الإعجاز بعدم قدرة العرب بإتيان قصة واحدة بأسلوب واحد فضلاً عن الأساليب المختلفة، فالقرآن كله في معرض التحدى وكما ان القرآن يتحدى العرب لإتيان بمثله أو عشرة سورٍ أو سورة واحدة، يتحداهم بإتيان قصة واحدة ايضاً. فبعد ملاحظة هذا كله لا بدّ ان نعرف:

١ - كلّ قسم من قصّة وردت في مناسبة مكانية أو زمانية نرى فيها مفهوماً خاصاً وترغيباً لشيءٍ ونهياً عن آخر، وهذا غير ما في القصة الأخرى.

فمثلاً قصّة آدم عليه السلام في سورة البقرة وردت لبيان النعمة الالهية وكفرانها وفي سورة الأعراف لبيان قلّة شكر الإنسان وفي سورة الحجر لبيان عداوة الشيطان وظهور هذه العداوة ففي كلّ موضع تستنبط منها نتائج غير ما تستفيده منها في موضع آخر.

ومثلاً قصة موسى عليه السلام كانت مجموعة من القصص المختلفة، وهي نجاة بني اسرائيل من آل فرعون وغرق فرعون وجنوده في اليم واقتراح بني اسرائيل على نبيّهم ان يريهم الله تعالى جهرة واخذهم الصاعقة ثم بعثهم ومعاتبه اليهود والنعمة التي افاض الله عليهم وما قابلوها بالكفر والعصيان ونقض الميثاق مرّة بعد أخرى ونبذها وراء ظهورهم، والمعاصي التي ارتكبوها انما هي لقساوة قلوبهم وشقاوة نفوسهم و....

٢- انّ ما تكرر في قصة واحدة ليس نفس حادثة بل شخصية القصة وهو امر لا محيص عنه.

٣- قد بين في كلّ سورة وموضع من القرآن جزء من القصة والقارئ متى قرأ هذا الجزء أو سمع السامع من القارئ يجد له ميلاً وشوقاً الى قراءة الأجزاء الأخرى واستماعها. وذلك لأن يتضح ان منهج القرآن عندما يذكر القصة في عدة مواضع ليس تكراراً لواقعة بل كان منهجه ان يأتي بشيء آخر من القصة، ليكشف عن جانب للقصة لم يذكر من قبل أو ذكر ولكن لم يذكر بخصوصية خاصة فيها.

٤- القصص القرآنية ليست كمثل القصص المصطلحة التي لا تخلو من تطويل مملّ غالباً، بل كلّ حلقة من القصص القرآنية جاءت في موضع يناسب معها بحسب الظروف الخاصة للدعوة الى الاسلام ومواجهة النبي الأكرم ﷺ الناس في بيئات مختلفة. ففي سورة هود تأتي بعض القصص بالتفصيل لبيان إثبات صحة الوحي وأنه جاء من عند الله تعالى وان الرسول الامّي لا يعلم بهذه القصص وتفاصيلها من قبل.

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (١).

وفي سورة الشعراء تأتي القصص في غاية الاختصار وكلّ قصّة جاءت في كلمات معدودة وآيات صغيرة.

الآ في قصّة يوسف وردت متسلسلة لأنّه لم ترد لذّتها ولا يُملّ من قرائتها ولم تخبر عن أخبار متعددة فهي بمجموعها قصة واحدة تحكي عن شيء واحد أو لأنها قصة شهوية لا يناسب ذكرها كلّ مرّة.

٥- كلما جاءت حلقة أو حلقات من قصة استنتج منها نتيجة غير التي ذكرت في موضع آخر، فانظر الى بعض القصص التي ذكرت في سورتي هود والشعراء.

جاءت قصة نوح عليه السلام في سورة هود (٢٥ - ٤٩) في خمس وعشرين آية ببيان بعض الجزئيات من الجدال وصنع الفلك والركوب فيه وهلاك ولده غير الصالح وهبوطه بسلام، وجاءت هذه القصة في سورة الشعراء (١٠٥ - ١٢٢) في ثمان عشرة آية قصيرة ببيان هلاك قومه وعلة هلاكهم فحسب.

وجاءت قصة إبراهيم عليه السلام في سورة هود (٦٥ - ٧٦) في سبع آيات وفيه واقعة ضيفه وبشارة ولده ومجادلته رحمة بقوم لوط وينتج أنه عليه السلام لحليم اواه منيب، ووردت قصته في سورة الشعراء (٦٩ - ١٠٤) في ست وثلاثين آية قصيرة وفيها مجادلته مع أزر وقومه لنفي الشرك عنهم.

وقصة لوط عليه السلام في سورة هود (٧٧ - ٨٣) وفيها واقعة عذاب قومه فقط وهذه القصة في سورة الشعراء (١٦٠ - ١٧٥) وفيها مجادلته مع قومه والسعي في هدايتهم، وهكذا.

قال سيد قطب في تفسيره لقصة آدم عليه السلام:

«ويحسب اناس ان هناك تكراراً في القصص القرآني، لأنّ القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سورشتي، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة من ناحيه القدر الذي يساق، وطريق الأداء في السياق وأنه حينما تكررت حلقة كان هنالك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار»^(١).

١- تفسير في ظلال القرآن، ج ١، ص ٥٥.

أقوال أخر لسبب تكرار القصص

وقد ذكرت أقوال أخر لكشف سر التكرار في القصص القرآنية وفيها ما لا يخفى.
فمنها: كان نفر من الصحابه يستمع القصة من القرآن الكريم ثم يذهب في تجارته
ومعيشته، أو يعود الى موطنه وأهله، أو يهاجر الى مكان آخر، لأن أكثر من آمن بالقرآن من
المهاجرين، فلو لم تتكرر القصة في سور متعددة لوقع قسم من القصة بيد قوم وقسم منه
بيد قوم آخرين.

فأراد الله سبحانه وتعالى اشتراك جميع المهاجرين والأنصار المقيم منهم والمرتحل
في كل القصة بكاملها زيادة للتأكيد والتقرير وعموم الفائدة وتبصير الحاضرين.
وقال الشيخ الطوسي في مقدّمة تفسيره التبيان:

«والوجه في تكرير القصة بعد القصة في القرآن: انّ رسول الله ﷺ كان يبعث الى القبائل
المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص متكررة لوقعت قصّة موسى الى
قوم وقصة عيسى الى قوم وقصة نوح الى آخرين، فأراد الله بلطفه ورحمته ان يشهر هذه
القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كلّ سمع ويشتها في كلّ قلب ويزيد الحاضرين
في الأفهام» (١).

هذا الوجه الذي ذكره الشيخ الطوسي والزركشى في التبيان والبرهان وتبعهما كثير من
المصنفين المفسرين، لا يمكن قبوله مطلقاً، لأنّه يجب على هذا الأساس انّ تكرر كلّ آية
فضلاً عن القصص بعدد كلّ مهاجر وتاجر والناس كلّهم.

مع أنّه ليس نزول القرآن بمعنى نزول آية وذهابها، بل القرآن بعد النزول بيد الناس وفي
أيديهم ينظرونه ويقرئونه كيف شاؤا وفي أيّ مكان وعند أيّ قوم فما ذكره هذين

١- تفسير التبيان، ج ١، ص ١٤.

المفسرين ليس بصحيح.

ومنها: التكرار في القصص لون من ألوان البلاغة، لأن اليهود هم المخاطبون بهذه القصص وهذا مما قاله أبو هلال العسكري المتوفى ٣٩٥ في كتابه «الصناعتين» وذكره أبو عثمان بن بحر «الجاحظ» وقال:

«رأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحى والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام» (١).

وقال الرافعي في تفسير قول الجاحظ:

«كان ذلك مبالغة في افهامهم وتوسع في تصوير المعاني لهم وتلوينها بالألفاظ، إيجازاً في موضع وإطناباً في موضع اذ كانوا قوماً لا سليقة لهم كالعرب وليسوا في حكمهم من البيان، فلا يمضى كلامه لسننه، بل اعتراض من تنافر التركيب وثقل الحروف وجفاء الطبيعة اللغوية، فلماذا ونحوه كان لابد في خطابهم من التكرار والبسط والشرح بخلاف العرب، فإن الخطاب يقع اليهم على سنن كلامهم من الحذف والقصد إلى الحجة والاكتفاء باللمحة الدالة والإشارة الموصى بها وبالكلمات المتوسمة وما يجري هذا المجرى»

ثم قال:

«والقول الصحيح في الجملة بيد أنهم أخطأوا وجه الحكمة فيه فإن اليهود لم يكونوا من الغلظة والجفاء ولا استكراه بحيث وصفوهم أو بحيث يجوز ذلك في صفتهم. وإن فيهم المتكلمين، وإن منهم الشعراء، والخطاب في القرآن كان يسمعه العرب

١- الحيوان، ج ١، ص ٤٦، نقله الرافعي.

واليهود جميعاً فلا هؤلاء ينكرون من امره ولا أولئك» (١).

أقول: في كلام الجاحظ مواضع للنظر، الأول: ما يقول الجاحظ يستلزم ان يكون القرآن مشتمل على عبارات غير عربية او عبارات عربية ولكن غير بيّنة حتّى تحتاج الى زيادة بيان لفهام البعض. وهذا ليس من شأن القرآن الذي نزل بلسان عربى مُبين.

الثاني: مقتضى التحدى العام لكلّ من الجنّة والنّاس، هو فصاحة مجموع القرآن بتمامه، فلو كان منه آيات ليست بفصيحة ولا بليغة عند فصحاء العرب فيمكن للعرب الإتيان بالافصح والأبلغ منه والحال انهم لم يأتوا بشيء من ذلك.

الثالث: انّ اليهود كما عن الرافعي ليس كلّهم ضعيفوا الفهم قليلوا البصيرة، بل منهم الشعراء والفصحاء كاسموأل وكعب بن الأشرف وغيرهما.

الرابع: مقتضى هذا الدليل انّ لا يكون في القرآن تكرارٌ سوى ما كان يخاطب اليهود فحسب ولكن الثابت خلافه لانّ القارئ للقرآن يجد ان اكثر خطابه للمؤمنين أو هم مع المشركين.

قال «صلاح الدين محمّد التواب» في كتابه «الدراسات الأدبية حول اعجاز القرآن»:

«انّ كلام الرافعي مضطرب فهو يوافق الجاحظ ويخالفه» (٢).

فأقول: انّ القارئ في بادئ النظر يرى في كلام الرافعي اضطراباً وتزلزلاً فلا يعلم أنّه موافق للجاحظ أو مخالف له، فهو يتكلم عنه فتارة يوافقه وتارة أخرى يخالفه، فقال في موضع «هو قول صحيح بالجملة» وفي موضع آخر يقول «فانّ اليهود لم يكونوا من الغلظة والجفاء والاستكراه بحيث كما وصفوهم» وفي آخر يقول: «أنّه سرّ من اسرار الادب

١- اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٩٥.

٢- المصدر، ص ٤٠٤.

العبراني جرى القرآن عليه في أكثر خطابه».

ولكن عند امعان النظر والدقة في كلامه، نرى انّ كلامه خال من الاضطراب ورأيه ثابت من أول كلامه حتّى آخره، فهو يوافق الجاحظ في وجود التكرار في الآيات التي خوطب بها بنو اسرائيل، ولكن يخالفه في التعليل الذي اقامه الجاحظ بقلّة افهامهم وبلادتهم.

بل الرافي قال في سرّ التكرار، أنّه (اي التكرار في ما خاطب به بنى اسرائيل) من بلاغة والأدب العبرى والقرآن يقصّ بلغتهم.

شبهتان

ذكرت في بحث القصص القرآنية شبهتان

الشبهة الأولى: لماذا لم تتكرر قصة يوسف الا في موضع واحد من القرآن وهذا بخلاف ساير القصص القرآنية؟

في جواب هذه الشبهة يمكن ان نقول:

١- انّ قصّة يوسف حكاية عن الفتوة والجمال مع ما فيها من الحكم والمواعظ ولهذا لا يمكن قرائتها ونقل قصتها في كلّ مجلس، وقد ورد في الاحاديث النّهي عن تعليم سورة يوسف للنساء.

قال رسول الله ﷺ: «لا تنزلوا نسائكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة ولا تعلموهن سورة يوسف وعلموهن الغزل وسورة النور» (١).

وقال عليّ عليه السلام: «لا تعلموا نسائكم سورة يوسف ولا تقرنوهن اياها، فانّ فيها الفتن،

١- تفسير مجمع البيان، ج ٥، ص ٣٥٤.

وَعَلَّمُوهُن سُوْرَةَ النُّوْرِ، فَانَّ فِيْهَا الْمَوَاعِظُ» (١).

انَّ الله تعالى عندما تكلم عن مسائل حول الشهوة الجنسية في القرآن الكريم، ذكرها في ادب جم وحجاب وستر، فقد عبّر عن الجماع باللمس او المسّ او الايتان وغيرها من لوازم الجماع لا نفسه.

ولا يوجد اسم اية أمرئة في القرآن لأنّه أراد أن يكون اسمها كنفها في كمال العفة والستر، ألا مريم بنت عمران عليها السلام، وهذا كيلا تقع في موضع الافتراء والتهمة بولادة المسيح عليه السلام منها من غير لمس وبغير اب.

فالله تعالى أراد أن يدفع عنها التهمة والافتراء فصّرَح باسمها تصريحاً بعفتها حتّى لا يمكن صرف العفة عنها.

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا۟ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰٓكَ وَطَهَّرَكَ وَاصْطَفٰٓكِ عَلٰٓى نِسَآءِ الْعٰلَمِيْنَ﴾ (٢).

٢- قصة يوسف قصة الفتوة والجمال والله تعالى يعلم أنّها لا تذهب من الأذهان بخلاف سائر القصص الحاكية عما فعل النَّاس بانبيائهم السابقين.

٣- قصة يوسف في القرآن تناولت جانب واحد من عيشه، لذا جاء بها تبارك وتعالى في موضع واحد، وهذا بخلاف سائر الأنبياء فإنّه يقصّ عن جهة عديدة من حياتهم لما فيها من الأسرار.

٤- التكرار في القصص ومواضع متعددة منها في السور المختلفة لبيان هلاك الأمم السالفة من الذين يكذبون انبيائهم ويقتلونهم تخويفاً وانذاراً لامة الاسلام حتّى لا تصير

١- البرهان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٤٢.

٢- سورة آل عمران، آية ٤٢.

كما صاروا ولا تهلك كما هلكوا.

٥- قصة أصحاب الكهف وذى القرنين وغيرها قصة يوسف عليه السلام لم تتكرر أيضاً وذلك لبعض الاسباب التي مرّ ذكرها.

الشبهة الثانية: لماذا جاءت قصة موسى عليه السلام أكثر من سائر القصص في القرآن؟
انّ أكثر قصة جاءت في القرآن هي قصة موسى عليه السلام من ولادته وحضانه في بيت الطاغوت وخروجه وزواجه وهجرته ونبوته ثم تبليغه وشريعته ونجاته بنى اسرائيل وذلك لانّ:

١- انّ النبيّ موسى هو صاحب الشريعة الكاملة في زمانه وبما انّ قومه كانوا ينتظرون النبي الخاتم وبعثته لانّ موسى عليه السلام بشرهم به وعزّفهم مكان بعثته وعلى هذا الأساس هاجر بعض منهم الى الحجاز حتّى يروا انفسهم أو ذريّتهم النبيّ المختار عليه السلام ولكن انصرفوا عن الحقّ وحرّفوا كتبهم عرض الحيوّة الدنيا وهذه أعظم عبرة لكلّ النّاس حتّى لا يكتُمون الحقّ لاغراض دنيويّة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (١).

٢- انّ اليهود هم قوم يسيطرون على البيّنة بأفكارهم الدينيّة بخلاف العرب المشركون فهم يقصّون كثيراً من أخبار موسى عليه السلام وتصرفاته، ومن هنا كانت شخصيّة موسى ووزيره هارون عليهما السلام، شخصيّة مهمّة عند العرب والعجم، يعرفون اسمه وشأنه عند الله تعالى وشريعته و... وعلى هذا الأساس قد تذكر قصته أكثر من قصة ايّوب، ويحيى وزكريا وغيرهم.

٣- التاريخ يتكرر وحركة الزمان ليست بافقية أو عمودية حتى يذهب ولا يأتي، خلافاً لمن توهم ذلك بل الصحيح ان حركة التاريخ دائرية، فالحوادث تتكرر بعد مضي زمن طويل أو قصير وهذا يقتضي ان نأخذ العبر من القصص الماضية ولا يحصل هذا إلا ببيانها بخصوصياتها.

الى هنا:

نستفيد من هذا كله ان من حق اعجاز القرآن ووجوهه المختلفة والتحدي العام لكل الناس والتناسب والتناسق في الفاظه وآياته وسوره و تكرار نزول بعض من سوره وضيق اللغة العريية ومحدوديتها وسعة معاني القرآن وحجية ظواهر الكتاب لغير المشافهين الذين لا يفيدهم التكرار في القرآن ولأنه تبيان كل شئ بملاحظة عدم وجود الجزئيات من الأحكام والأخلاق فيه بالصراحة، وأن للقرآن نزولين ولا يفيد وجه من الوجوه التي يقول بها القائلين بالتكرار في النزلة الأولى الى بيت المعمور أو... وأن القرآن استخدم الایجاز بشكل وسيع وان كلمات القرآن فيها من المشتركات اللفظية والاضداد وأن القرآن لا يوجد فيه تأكيد بل التنويع فيه انسب، ولاجل هذا كله لا بد ان نقول عندما نبحت عن نفس الآيات من جهة الفاظها وعباراتها ومفاهيمها، نجد ان القرآن مشتمل على تكرار في المفاهيم الكلية كالمبدأ والمعاد و ايضاً مشتمل على التكرار في الحروف والكلمات التي لا محيص منه و لكن لا يوجد فيه تكرار في المفاهيم الجزئية ابداً.

الفصل الثاني سر التكرار في الالفاظ

قلنا بعدم التكرار المعنوى في القرآن وذكرنا ان غاية ما نقول في تكرار القرآن أنه تكرار بحسب اللفظ لا بحسب المعنى.

وفي هذا الفصل نبحث عن سر التكرار اللفظي في القرآن لكن قبل الدخول في البحث لابد ان نجيب على سؤال وهو: لماذا لا يأت القرآن بألفاظ مختلفة حتى يسد باب التكرار فيه من رأس؟ قبل الاجابة على السؤال المذكور لابد من البحث عن سر التكرار في الفاظ القرآن بما أنه كتاب معجز ولا يمكن تصور التكرار بلا سرّ واهمية، فالتكرار في الكتب العادية البشرية قبيح جدا فضلا عن كتاب الله تعالى.

ان من تتبع اسلوب التكرار في الآيات القرآنية يتضح له أنه يشتمل على كثير من اللطائف والأسرار.

ففي كلّ من الألفاظ المشتركة سرّ وان لكل آية من المتماثلات اسرار غير ما في الأخرى.

فلابد من التفكير والتدبر في كلّ موضع يقع فيه التكرار لكي نحصل على معنى غير ما نطق به اللفظ من دون تحميل نظر ورأى على القرآن لئلا نقع في محذور التفسير بالرأى ونأتى بمقدمة قبل الورود لهذا البحث وهي:

التكرار في كلام العرب

التكرار في كلام العرب يأتي على وجوه متعددة ومنها:

١ - التأکید، فهو كثير في كلام العرب وبه تعرف الفصاحة والبلاغة نحو، الصابرون الصابرون هم الفائزون.

٢ - التلذذ بإتيان الكلام مرة ثانية أو مرّات نحو، ما قال الحبيب لحبيبتة: يا حبيبتي، يا حبيبتي.

٣ - الحسرة والحزن من مصيبة أو بلاء نحو، اين قبر امّی... اين قبر امّی...

٤ - التشويق والترغيب لقول أو عمل أو فكرة حتّى يأتي بها مرّة اخرى نحو، طوبى لهم فطوبى لهم.

٥ - الردع والمنع عن عمل أو قول أو فكرة نحو، أأذروا، أأذروا يا أيها الناس.

٦ - التهديد وإيجاد الخشية للناس بمجرى بلاء أو مصيبة أو عذاب نحو، الويل ثمّ الويل ثمّ الويل.

٧ - الاستبعاد من شئ لأغراض شتى نحو، هيهات هيهات من الذلّة.

٨ - الاستغاثة نحو، وامحمداه واعلياه واحسنه.

٩ - التوبيخ والزجر نحو، ماذا قلت لك، ماذا قلت لك أو اّمّا قلت لكم، اّمّا قلت لكم.

١٠ - التفهيم والتوجيه نحو كلام الخطيب لاستماع الناس، اعلّموا اعلّموا.

١١ - التكريم والتعظيم لانسان أو شئ نحو، الكريم بن الكريم بن الكريم.

١٢ - التذكر بشئ قد ذكر قبلاً و ذلك لطول الكلام كتكرار المبتدأ عندما تقع الفاصلة

بينه وبين خبره.

فالتكرار في كلام العرب هو سرّ البلاغة فيه وهو لون يفضيه المتكلم على المعنى ليخلقه خلقاً حياً جديداً بحيث لولم يكن هذا التكرار لم يفد ما في ضمير المتكلم من

معنى.

وقد يكون قبيحا موجداً لتنفر النَّاس وإعراض المخاطب وجهه عنه.
فحين نرى بعض الأشعار، نقطع بأن قائله لا يدري بالقواعد العربية أو كانت نفسه
مريضة ويريد ان يأتي بكلامٍ لكى يستهزئ به كاللامتية وهي طائفة من المتصوفة تفعل
افعالاً قباحاً وتقول اقوالاً سخيفة ويجعلون أنفسهم في معرض الاستهزاء ويزعمون انّ
هذا طريق من طرق سلوكهم.

نعم يمكن ان يقال ان التكرار قبيح لعله أخرى وهي ارادة المتكلم شيئاً آخر غير ما
قاله بالألفاظ، فهو لا يتبين ما في ضميره بردائة ألفاظه وسوء اسلوبه وصناعته.

من التكرار القبيح في الأشعار العربية:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

ونحو:

كم وكم كم وكم كم وكم قال لى انجز حرما وعد

وامّا التكرار في الفاظ القرآن

التكرار في القرآن كاللغة العربية جاء لأغراض متعددة ووجوه مختلفة وهي:

الاول: للتأكيد

وهو من أهم الوجوه التي ذكرها المحققون القائلون بالتكرار والمراد منه عندي تحكيم
المعاني المختلفة و تثبيتها عند المخاطب.

ثم أن التأكيد على قسمين وهما التأكيد الصناعي والمعنوي، والتأكيد الصناعي أمّا
لفظي كما في اسم النكره نحو «دَكَاً دَكَاً» أو في اسم الفعل نحو «هيهات هيهات» أو معنوي

وهو بيان معنى بلفظ اتم وأوفى باستعمال الفاظ التأكيد.

يجب في التأكيد وجود ضمير عائد الى المؤكد مطابق له في التذكير والتأنيث والجمع والمثنى والمفرد، نحو ذهب زيد نفسه وذهب زيد وعمرُ انفسهما.

التأكيد المعنوي يستعمل بألفاظ التأكيد نحو كل وأجمع والغرض منه شمول الحكم لجميع الأفراد.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...﴾ (١).

﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (٢).

التأكيد اللفظي والمراد منه تكرار اللفظ السابق كما كان أو مترادفاً معه والغرض منه تنبيه السامع لأهمية الموضوع نحو:

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٣).

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ (٤).

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٥).

الغرض الأساسي من التأكيد هو أهمية الشيء المؤكد وشدة الاهتمام به ولزوم الاعتقاد أو العمل عليه والإجتناب عن مخالفته لترسيخ ما يؤكّد في الأذهان رسوخاً تنتهي بقبوله لا محالة فله تأثير مهم في عقول الجماعات ونفوس المخاطبين.

١- سورة البقرة، آية ٣١.

٢- سورة ص، آية ٧٣.

٣- سورة الحمد، آية ٥.

٤- سورة الانفطار، آيات ١٧ الى ١٩.

٥- سورة الانشراح، آيتي ٥ و ٦.

فقد تكررت كلمة التوحيد «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» لأهميتها وأنها أساس كلّ شريعة ومنهاج كلّ رشد، وتكرر لزوم إقامة الصلوة والأمر بها في آيات عديدة وبألفاظ مختلفة كما تكررت لفظة الزكاة أيضاً لهذا الأساس.

فالقرآن استخدم هذا الأسلوب لتثبيت المعاني المختلفة في قلوب الناس حتّى يلهجوا بها بالسنتهم ويجدوه بجوارحهم وسلوكهم.
قال الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان:

«وتكرار الكلام من جنس واحد وبعضه يجرى على بعض، كتكراره في قل يا أيّها الكافرون وسورة المرسلات والرحمن، فالوجه فيه، ان القرآن نزل بلسان القوم، ومذهبهم في التكرار (اراده التوكيد وزيادة الأفهام) معروف كما أنّ مذهبهم الإيجاز والإختصار ارادة التخفيف. وذلك ان افتنان المتكلم والخطيب في الفنون وخروجه من شى الى شى، أحسن من اقتصاره في المقام على فنّ واحد، وقد يقول القائل: والله لأفعله ثمّ والله لأفعله، اذا اراد التوكيد، كما يقول: افعله بحذف اللام اذا أراد الإيجاز

قال الله تعالى: «كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ» وقال: «فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» وقال الله تعالى: «أَوَلَيْ لَكَ قَاوُلِي * ثُمَّ أَوَلَيْ لَكَ قَاوُلِي» وقال «مَا أَدْرِيكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرِيكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ» كل هذا يراد به التوكيد وقد يقول القائل لغيره اعجل اعجل، وللرامى ارم ارم»^(١).

الثاني: للتقرير

و ذلك لتثبيت المفاهيم المختلفة لدى المخاطبين والقارئ في آيات المبدأ والمعاد

١- تفسير التبيان، ج ١، ص ١٤.

وما جاء من ذنوب وآثام للأمم السالفة وهلاكهم بهذا، نحو ما جاء في خلقه السماوات والأرض.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ (١) ﴿...وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ...﴾ (٢) ﴿...فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ (٣) ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ...﴾ (٤) ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ (٥) ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ...﴾ (٦)؛ وغيرها من الآيات.

فهذه الآيات المباركة تدل على ان السموات والأرض مطويات بيمينه وأنهما خاضعان لقدرته وفيها وعد للمطيع ووعيد للعاصي وان الله محيط بهما احاطة تامة.

ونحو ما جاء في الجزاء من العذاب والثواب في يوم اللقاء نحو،
﴿...وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي
الشَّاكِرِينَ﴾ (٧).
﴿...وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨).

١- سورة البقرة، آية ٢٨٤.

٢- سورة المائدة، آية ١٧.

٣- سورة يوسف، آية ١٠١.

٤- سورة البقرة، آية ١١٧.

٥- سورة مريم، آية ٦٥.

٦- سورة هود، آية ١٢٣.

٧- سورة آل عمران، آية ١٤٥.

٨- سورة الأنعام، آية ٨٤.

﴿... وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ (١).

﴿... سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ...﴾ (٢).

﴿... مَنْ يَفْعَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ...﴾ (٣).

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا...﴾ (٤).

فهذه الآيات الشريفة تدل على ان الثواب والعقاب يدوران مدار عمل الانسان، ان عمل عملا حسنا يثاب عليه وان ارتكب السيئات يعاقب عليها بيد ان الاحسان الالهى يتضاعف في حق المحسن فيجزي كل حسنة بعشر أمثالها.

الثالث: للموعظة

الإنسان مجبول على الطبايع المتعددة وكلها داعية الى الشهوات المختلفة، ولا يكبح جموح شهواته الا بالوعاظ والتكرار، حيث يقال: الكلام اذا تكرر تقرّر، والمكرر ينطبع في العالم اللاشعورى للانسان التي يختزن فيها أسباب أفعال الإنسان، ودوافعها كما هو مقرر في علم النفس.

فالتكرار له أثر نفسى بوقوعه في القلب وتثبيتته في النفس، وأنه تدبير حكيم في مقام اصلاح النفوس واحياء القلوب وترغيب الأفكار.

فتمتى تكرر شيئاً تولد تيار فكري وعاطفى يتلوه ذلك المؤثر العظيم في الأفراد والجماعات وحصول الانفعال، حتى قيل ان تكرار الأقوال كان أقوى تأثيراً من الأعمال

١- سورة الأعراف، آية ٤٠.

٢- سورة الأنعام، آية ١٥٧.

٣- سورة النساء، آية ١٢٣.

٤- سورة الشورى، آية ٤٠.

وأثبت تأثيراً في الأذهان.

قال رشيد رضا في تفسير الآية الشريفة:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١).

«وقد تقدم هذا النص بعينه في سياق آخر من هذه السورة ولم يمنع ذلك من اعادته هنا، لأن القرآن ليس قانوناً ولا كتاباً فنياً فيذكر المسئلة مرة واحدة يرجع إليها حافظها عند ارادة العمل بها، وأنما هو كتاب هداية ومثاني يتلى لأجل الاعتبار والاستبصار تارة في الصلاة وتارة في غير الصلاة، وأنما ترجى الهداية والعبرة بإيراد المعاني التي يراد ايداعها في النفوس في كل سياق يوجه النفوس إليها أو يعدها أو يهيئها لقبولها، وأنما يتم ذلك بتكرار المقاصد الأساسية من تلك المعاني، ولأ يمكن ان تتمكن دعوة عامة في النفوس الآ بالتكرار، ولذلك نرى أهل المذاهب الدينية والسياسية الذين عرفوا سنن الاجتماع وطبايع البشر واخلاقهم يكررون مقاصدهم في خطبهم ومقالاتهم التي ينشرونها في صحفهم وكتبهم، بل قال بعض علماء الاجتماع ان نشر التجار للاعلانات التي يمدحون بها سلعمهم وبضائعهم ويدلون الناس على الأماكن التي تباع فيها، هو عمل بهذه القاعدة، فإنّ الذهن اذا تكرر عليه مدح الشيء ولو من المتهم في مدحه لا بد ان يؤثر فيه» (٢).

ونحو ما جاء في التقوى،

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ...﴾ (٣) ﴿لَيْسَ عَلَى

١- سورة النساء، آية ١١٦.

٢- تفسير المنار، ج ٥، ص ٤١٨.

٣- سورة المائدة، آية ٦٥.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا...» (١) «إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا...» (٢) «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ» (٣) «وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا...» (٤) «يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» (٥).

فالله تعالى لا يختص ببيان التقوى بطائفة خاصة من المؤمنين لعمل كذا أو لترك كذا، وذلك لأنّ التقوى هي أعلى درجة من درجات الايمان بل وأعلى مرتبة من مراتب الايمان بل مستجمع لجميع مراتبه، فتكرر في مواضع مختلفة حتّى يقرّ في نفوس الناس وداعيا مستمرّاً لهدايتهم.

ومثل ما جاء في سورة الرحمن من تكرار آية: «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» فإنّما هو لحس التقرير بالنعم المعدّة فكلما ذكر نعمة انعم بها، قرّر عليها.

ونحو ما جاء في تكرير الايمان والعمل الصالح والأمر بها في مرّات كثيرة.

«وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ...» (٦)
«وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ...» (٧).

١- سورة المائدة، آية ٩٣.

٢- سورة الأعراف، آية ٢٠١.

٣- سورة النحل، آية ١٢٨.

٤- سورة الزمر، آية ٧٣.

٥- سورة الحشر، آية ١٨.

٦- سورة البقرة، آية ٢٥.

٧- سورة البقرة، آية ٨٢.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ...﴾ (٢).

وذلك لتقرير ان الفلاح في رهان شيئين وهي الايمان والعمل الصالح.

ومثل ما جاء في المعاد وما فيه من المباحث الكثيرة وليس هذا الا لأن يردع الناس عن ذبونهم وغيتهم وفسادهم في الأرض، حتّى يتركوا الذنوب ويؤمنوا بالله ويتوجّهوا الى الأعمال الصالحة فيرغبهم بتوصيف الجنة ويحذّرهم ببيان النعمة في جهنم ويوعظهم لأن القرآن كلّ كتاب الوعظ والارشاد.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣).

الرابع: لدأب العرب

التكرار هو أسلوب عربى فإنّ ذلك دأب العرب وديدنهم في خطاباتهم ومحاوراتهم، فالتكرار في محله وعندما كانت الحال تقتضيه، يزيد الكلام بلاغة ويعطيه رونقا وبهجة وسروراً في نفوس المخاطبين.

وقد وجد التكرار في كثير من أشعارهم البليغة، مثلاً «مهلهل بن ربيعة»، يرثي أخاه كليباً وقال: ليس «جساس بن مرة» وهو الذي قتل كليباً غدرأً، عدلاً لكليب فقال:

على ان ليس عدلاً من كليب اذا طرد اليتيم من الجزور

على ان ليس عدلاً من كليب اذا ماضيتم جيران المجير

١- سورة المائدة، آية ٩.

٢- سورة العنكبوت، آية ٧.

٣- سورة يونس، آية ٥٧.

على ان ليس عدلاً من كليب اذا رجف العضاة من الدبور
على ان ليس عدلاً من كليب اذا خرجت مخبأة الخدور
على ان ليس عدلاً من كليب اذا ما اعلنت نجوى الأمور
على ان ليس عدلاً من كليب اذا خيف المخوف من الشفور

وقد أنشد:

كم نعمة كانت لكم كم، كم، كم، كم، كم، كم

وانشد الآخر:

نق الغراب يبين ليلي غدوة كم كم، وكم بفراق ليلي ينق

وقال «ابوالطيب» خطابا «لسيف الدوله» مادحا والده «ابا الهيجاء»:

وانت ابوالهيجاء بن حمدان يا ابنه تشابه مولود كريم ووالد
وحمدان حمدون، وحمدون حارث وحاتر لقمان، ولقمان راشد
وقال: ابن الزيات:

اتعرف ام تقيم على التصابي فقد كثرت مناقلة العتاب

اذا ذكر السلو على التصابي نفرت من اسمه نفر الصعاب

كيف يلام مثلك في التصابي وانت فتى المجانة والشباب

ساعزف ان عزفت عن التصابي اذا ملاح شيب بالغراب

الم ترني عدلت عن التصابي فاعزتي الملامة بالتصابي

هذا وقد كثر التكرار في الشعر الجاهلي وفي الشعر الإسلامي لما في تكرار جملة
واحدة عدة مرّات خلال الكلام من تأثير خطابي في القلوب وإيجاد الانفعال فكيف
بالقرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب وجاء في المحيط العربي وعلى العرب أوّلا.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ

لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ» (١).

فلو لم يكن في الفاظ القرآن تكرار، لاحتجوا بأنه ليس بلغتنا و خارج عن عرفنا. الشيخ الطوسي في تفسيره التبيان بعد ان قسم التكرار الى قسمين وهما: تكرار الكلام من جنس واحد وتكرار معنى واحد بلفظين مختلفين، قال في القسم الثاني منهما: «فاما تكرار معنى واحد بلفظين مختلفين، كقوله «الرحمن الرحيم» وقوله «يسمع سرهم ونجواهم» والنجوى هو السرّ، فالوجه فيه ما ذكرنا من عادة القوم تكرير المعنى بلفظين مختلفين اتساعاً في اللغة» (٢).

الخامس: ميزة الخطابات القرآنية

انّ لكلّ كلام أسلوب في البيان فلا يعرف هذا الكلام الاّ بأسلوبه وهذا أي تكرار الألفاظ وأعطاء المعاني الكثيرة هو أسلوب القرآن ومن علاماته.

فانظر الى هذه الآية الشريفة التالية:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَخْرَابُ * إِن كُلاًّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ﴾ (٣).

فكرر تكذيب الاقوام كلّ منهما في الجملة الخبرية على وجه الاتهام ثمّ جاء بالجملة الاستثنائية بالإيضاح فإنهم يكذبون الرسل.

فهذا التكرار والإيضاح بعد الاتهام والتنوع فيهما بالجملة الخبرية والاستثنائية وغيرها ميزة الخطابات القرآنية ويعرف القرآن بهذا من بين جملات عديدة.

١- سورة الشورى، آية ٧.

٢- تفسير التبيان، ج ١، ص ١٥.

٣- سورة ص، آيات ١٢ الى ١٤.

قال سيد قطب في تفسيره:

«إن الأداء القرآني يمتاز ويتميز من الأداء البشري... إن له سلطاناً عجيباً على القلوب ليس للأداء البشري؛ حتى ليبلغ أحياناً أن يؤثر بتلاوته المجردة على الذين لا يعرفون من العربية حرفاً... وهناك حوادث عجيبة لا يمكن تفسيرها بغير هذا الذي نقول - وإن لم تكن هي القاعدة - ولكن وقوعها يحتاج إلى تفسير وتعليل... ولن أذكر نماذج مما وقع لغيري؛ ولكنني أذكر حادثاً وقع لي وكان عليه معي شهود ستة، وذلك منذ حوالي خمسة عشر عاماً... كنا ستة نفر من المنتسبين إلى الإسلام على ظهر سفينة مصرية تمخر بنا عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك؛ من بين عشرين ومائة راكب وراكبة أجنب ليس فيهم مسلم... وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعة في المحيط على ظهر السفينة! والله يعلم - أنه لم يكن بنا أن نقيم الصلاة ذاتها أكثر مما كان بنا حماسة دينية إزاء مبشر كان يزاول عمله على ظهر السفينة؛ وحاول أن يزاول تبشيره معنا!... وقد يسر لنا قائد السفينة - وكان إنجليزياً - أن نقيم صلاتنا؛ وسمح لبحارة السفينة وطهايتها وخدمها - وكلهم نوبيون مسلمون - أن يصلي منهم معنا من لا يكون في «الخدمة» وقت الصلاة؛ وقد فرحوا بهذا فرحاً شديداً، إذ كانت المرة الأولى التي تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر السفينة... وقمت بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة؛ والركاب الأجنب - معظمهم - متحلقون يرقبون صلاتنا!... وبعد الصلاة جاءنا كثيرون منهم يهنئوننا على نجاح «القدّاس»!!! فقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتنا! ولكن سيدة من هذا الحشد - عرفنا فيما بعد أنها يوغسلافية مسيحية هاربة من جحيم «تيتو» وشيوعيته! - كانت شديدة التأثر والانفعال، تفيض عيناها بالدمع ولا تتمالك مشاعرها. جاءت تشد على أيدينا بحرارة؛ وتقول: - في إنجليزية ضعيفة - إنها لا تملك نفسها من التأثر العميق بصلاتنا هذه وما فيها من خشوع ونظام وروح!... وليس هذا موضع الشاهد في القصة... ولكن ذلك كان في قولها: أي لغة هذه التي كان

يتحدث بها «قسيسكم»! فالمسكينة لا تتصور أن يقيم «الصلاة» إلا قسيس - أو رجل دين - كما هو الحال عندها في مسيحية الكنيسة! وقد صححنا لها هذا الفهم!... وأجبناها: فقالت: إن اللغة التي يتحدث بها ذات إيقاع موسيقي عجيب، وإن كنت لم أفهم منها حرفاً... ثم كانت المفاجأة الحقيقية لنا وهي تقول: ولكن هذا ليس الموضوع الذي أريد أن أسأل عنه... إن الموضوع الذي لفت حسي، هو أن «الإمام» كانت ترد في أثناء كلامه - بهذه اللغة الموسيقية - فقرات من نوع آخر غير بقية كلامه! نوع أكثر موسيقية وأعمق إيقاعاً... هذه الفقرات الخاصة كانت تحدث في رعشة وقشعريرة! إنها شيء آخر! كما لو كان - الإمام - مملوءاً من الروح القدس! - حسب تعبيرها المستمد من مسيحيتها! - وتفكرنا قليلاً. ثم أدركنا أنها تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء خطبة الجمعة وفي أثناء الصلاة! وكانت - مع ذلك - مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة، من سيدة لا تفهم مما تقول شيئاً!

وليست هذه قاعدة كما قلت. ولكن وقوع هذه الحادثة - ووقوع أمثالها مما ذكره لي غير واحد - ذو دلالة على أن في هذا القرآن سرّاً آخر تلتقطه بعض القلوب لمجرد تلاوته، وقد يكون إيمان هذه السيدة بدينها، وفرارها من الجحيم الشيوعي في بلادها، قد أرهف حسها بكلمات الله على هذا النحو العجيب... ولكن ما بالنا نعجب وعشرات الوف ممن يستمعون إلى القرآن من عوامنا لا يطرق عقولهم منه شيء، ولكن يطرق قلوبهم إيقاعه - وسره هذا - وهم لا يفترقون كثيراً من ناحية فهم لغة القرآن عن هذه السيدة اليوغسلافية!!! (١)

١- تفسير في ظلال القرآن، ج ٣، ص ١٧٨٦.

السادس: أنه وجه من وجوه الاعجاز

التكرار نفسه وجه من وجوه الاعجاز، فبيان كلام واحد في اساليب مختلفة ومناهج كثيرة، فيه مالا يخفى من الفصاحة، لأن ظهور الفصاحة لمفهوم واحد اذا اعيدت وتكررت في مواضع متعددة كان ابلغ واطهر، وهذا وان لم يكن ظاهر بالنسبة الى كل كلام؛ لأن الكلام اذا تكرر ينقل ويسمج غالباً ولكن في القرآن يعطى حلاوة خاصة بالقائه المعاني المختلفة.

الفخر الرازي في بيان القصص الواردة في النبوة وجهتها قال:

«الثاني: ان يذكر القصة الواحدة مراراً مختلفة بألفاظ مختلفة وكل ذلك متشابهة في الفصاحة مع ان الفصيح إذا ذكر القصة الواحدة مرة واحدة بألفاظ فصيحة عجز عن ذكرها بعينها مرة أخرى بألفاظ فصيحة، فيستدل بفصاحة الكل على كونها من عند الله لا من عند البشر» (١).

وقال الباقلاني في بيان وجوه الاعجاز:

«منها أنه لا يتفاوت في تكرار القصة الواحدة ولا يتباين، بل هو على نهاية البلاغة وغاية البراعة، بينما يتفاوت كلام الناس عند اعادة ذكر القصة الواحدة تفاوتاً بيناً، ولهذا كان القرآن ممّا لا يقدر عليه البشر لأن الذي يقدرّون عليه لا بدّ ان يقع فيه التفاوت في ذلك» (٢).

فبيان كلام واحد في اساليب مختلفة ومناهج كثيرة فيه مالا يخفى من الفصاحة، لأن كلام واحد اذا اعيدت وتكررت في مواضع متعددة بلا اى اختلاف وتباين كان هذا

١- عجائب القرآن لفخر الرازي، ص ١٨.

٢- اعجاز القرآن لعبد الغني محمد سعد بركة، ص ١٤٢.

التكرار ابلغ وأظهر لظهور الفصاحة فيه، فالقرآن وان سلك مسلك التكرار ولكن لا يوجد فيه ائى اضطراب وثقل على اللسان الذي يخرج الكلام عن اللطافة، ولا يوجد فيه تعارض وتباين بحيث يخرج الكلام عن الاطمينان به.

قال محمد رشيد رضا في تفسيره المنار في بيان علة تكرار القصص القرآنية:

ثم أنك تجد لكل لون من هذه الالوان من التعبير نغما خاصا به في الترتيل ولكل منهما نوعاً جديداً من التأثير، فاستمع لمرتل قصة موسى في سورة طه ساعة (زمانية لافلكية) وفي سورة الشعراء ساعة ثانية وفي سورة القصص ساعة ثالثة وتأمل ما تجد من الفرق بينهن في سمعك متديراً ما تشعر به من الخشوع والعبرة في قلبك والقصة واحدة، ثم جرب هذه المقارنة في القصص الاخرى من السور المختلفة في النظم والاسلوب، كهود والنحل ومريم والأنبياء والصفات و ص والقمر، تجد العجب العجائب، ولا تنس أنها جاءت على لسان رجل لم يكن من رجال البيان في يوم من الأيام»^(١).

السابع: كمال التحدى

العرب مع فصاحتهم وبلاغتهم وافتخارهم بهما لا يمكن لهم على ان يأتوا بسورة من مثله بشكل واحد على نسقٍ واحد. وبيان بعض من الآيات والقصص بألفاظ متعددة وفي مناسبات مختلفة، بلغ عجزهم الى حد النهاية للآتيان بسورة على نمط القرآن، لأنه كيف يمكن للذي عجز عن آتيان اسلوب ان يأتي بأسلوبين مختلفين أو أساليب متعددة كل منهما غير الآخر.

ويمكن ان يقال: الله تعالى لقد تحداهم بالنظم السهل وبسورة واحدة على الاقل فعجز

١- تفسير المنار، ج ١١، ص ٤٠.

العرب كلهم والناس اجمعون عن مطاولته استئسوا واستسلموا ثم تحدّاهم بالجزل الضخم وهو بيان موضوع بألفاظ وأساليب مختلفة لكي يظهر لهم كمال عجزهم عن الإتيان بمثله بأيّ نظم كان.

وأيضاً يمكن ان يقال: ان للسائل الذي هو مخاطب للتحدى ان يسئل: هل الله تعالى يستطيع ان يأتي بمثل ما اتى؟ وهل يمكن هذا؟
فأنزل الله تعالى الآيات والقصص متكررة بألفاظ متعددة بما فيها من المعاني المختلفة دفعاً لهذه الشبهة وجواباً لهذا السؤال.

الثامن: دليل لعدم التحريف

التكرار في القرآن يدل على ان رسول الله ﷺ لم ينقص من القرآن شئ كما أنه لم يزد عليه، فهو ﷺ قد تكلم بكل ما نزل عليه وامر بآياته في المصحف ويحفظه الصحابه من غير نقص وزيادة.

وذلك لأن رسول الله ﷺ لو كان بهذا الصدد للزم عليه ان يحذف الآيات والقصص التكرارية.

كما ان التكرار يدل على ان القرآن لم يحرف بعد رسول الله ﷺ فلو كان القرآن دُونَ بعد رسول الله ﷺ لحذف بعض ما فيها من التكرار حسب ما يفعله مقوموا النصوص من الحذف والتقديم والتأخير والتبديل وغيرها.

فالقرآن ليس مثل الأناجيل الأربعة التي دَوّنت بعد ثلاثين سنة من عروج عيسى عليه السلام كما قيل أو قتله على زعم المسيحيين الباطل.

التاسع: للدعوة للاسلام

التكرار هو أحد الوجوه لتبليغ الاسلام ولدعوة الناس إليه.

فكما ان الطفل الصغير يتعلم من امه كل شئ بتكراره له، فالتاس أيضاً بعضهم كالأطفال

لا يمكن تعليمهم الا بتكرار القضايا لهم.

فالتكرار له دور قوى في تربية النفوس وترغيبهم الى الحقائق.

قال صاحب المنار في تفسيره:

«لا يمكن ان تتمكن دعوة عامة في النفوس الا بالتكرار، ولذلك نرى أهل المذاهب

الدينية والسياسيه، الذين عرفوا سنن الاجتماع وطبائع البشر واخلاقهم يكررون

مقاصدهم في خطبهم ومقالاتهم التي ينشرونها في صحفهم وكتبهم»^(١).

العاشر: لبيان اتحاد دعوة الأنبياء

الأنبياء كلهم جائوا من قبل واحد وتكلموا عن شئ واحد ويدعون الناس الى واحد

فهم متفقون في الدعوة الى وحدانية الله تعالى والأمر بعبادته وطاعته.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(٢).

والمشركون والكافرون قد تمسكوا بدلائل واحدة وتشبهوا بشئ واحد ايضاً.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ

ءِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ ءِ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾^(٣).

١- التفسير المنار، ج ٥، ص ٤١٨.

٢- سورة الأنبياء، آية ٢٥.

٣- سورة المائدة، آية ١٠٤.

الحادي عشر: لأنّه غذاء الروح

الكلام للروح كالطعام للبدن، ففي طعام الانسان ما هو قوت للبدن وبه يقوى البدن ويحيى وكلّما تكرر في طعامه كان انفع، حتى لو لم يتكرر يتألم الانسان من فقدّه، كالخبز او الارز ونحوها، بخلاف ما ليس مثل هذا من الآدام بحيث يسأم الانسان اذا تكرر. والكلام منه كضوء الشمس وجمال القمر وزينة الكواكب، كلما تكرر حسن ومنه من قبل الزينة، فلا بدّ ان يتجدد والافيملّ. والقرآن بمنزلة القوت للروح، لأنّه ليس كتاباً موضوعياً حتّى يبحث عن مسألة مرّة واحدة فحسب بل هو على نحو ان لم يتكرر في موضوعه لا يستحسن.

الثاني عشر: لرعاية الموسيقى

ان في التكرار انغام موسيقية، يتلذذ منها السمع وتهزّ القلب وتنتعش الروح وتجري بسهولة على اللسان. هذه الموسيقى الهادئة الشيّقة التي تتكوّن من تنسيق الحروف في الكلمة الواحدة والكلمات في الجملة بنظم تام في مخارج الحروف وصفاتها وايضاً يحصل التكرار في بعض الكلمات أو الآيات فيها. فأقرأ القرآن ورتله ترتيلاً واملاء فمك بكلماته واذنيك بسماعه، ترى أنّك تنطق بلحن منظم ذو جمال، يعطيك جلالاً وجمالاً ويرغبك في ما أمر به ينهاك عمّا نهى عنه. قال الاستاذ معرفت في كتابه التمهيد نقلاً عن مصطفى محمود: «والموسيقي الباطنة سرٌّ من أسرار المعمار القرآني لا يشاركه فيه أيّ تركيب أدبي» (١).

١- التمهيد، ج ٥، ص ١٧٠.

وفي موضع آخر قال:

«وهذا سرّ من اعلم الأسرار في التركيب القرآني، أنّه ليس بالشعر ولا بالنثر ولا بالكلام المسجوع، وأنما هو معمار خاصّ من الألفاظ صُفّت بطريقة تكشف عن الموسيقى الباطنة فيها، وفرق كبير بين الموسيقى الباطنة وموسيقى الظاهرة» (١).

عندما يتلو الانسان القرآن يحسّ بذلك الإيقاع الداخلي في سياقه ويبرز بروزاً واضحاً فحينما نتلو سورة الرحمن وهي عروس القرآن نلمس التمهيد الرائع والنسق الرفيع والأثر البالغ واليك بعض الآيات التي تعطى هذا المعنى أيضاً.

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (٢).

وانظر الى سورة التكويد:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ...﴾ (٣).

ثم انظر الى آيات من سورة الفجر:

﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٤).

وغيرها من الآيات والسور.

الثالث عشر: للخوف من النسيان

من وجوه الفصاحة اعادة ما يستفيد بعد اطالة الكلام بفاصلة طويلة بين مبتدأ وخبر، أو جملة ومتعلقاتها، خوفاً من نسيان ما هو مهم وتجديداً للعهد. نحو تكرار «لا تحسبن»

١- التمهيد، ج ٥، ص ١٦٩.

٢- سورة البلد، آيات ٨ الى ١٠.

٣- سورة التكويد، آيتي ١ و ٢.

٤- سورة الفجر، آيتي ٢١ و ٢٢.

في الآية التالية.

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١).

الرابع عشر: لاستعمال الألفاظ المختلفة

فنرى في الآيات التكرارية في القرآن ألفاظ مختلفة نحو:

﴿... تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا...﴾ (٢).

﴿... تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا...﴾ (٣).

ونحو: ﴿... وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ...﴾ (٤).

﴿... وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ...﴾ (٥).

ونحو: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ (٦).

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغَضِهمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَنُحَدِّثُوكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٧).

١- سورة آل عمران، آية ١٨٨.

٢- سورة البقرة، آية ١٨٧.

٣- سورة البقرة، آية ٢٢٩.

٤- سورة البقرة، آية ١٩١.

٥- سورة البقرة، آية ٢١٧.

٦- سورة البقرة، آية ١٤.

٧- سورة البقرة، آية ٧٦.

فاستعمل القرآن الألفاظ المختلفة لأغراض شتى ومنها تبين كل كلمة بالاستفادة من كلمة أخرى مع بيان ما فيها من معنى، وهذا أسلوب يستفيد منه المفسرون الذين يتبعون منهج تفسير القرآن بالقرآن.

الخامس عشر: لتعدد الوقائع

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۖ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(١)
﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُم وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢)

نزلت الآية الاولى في غزوة احد، فالكفار ندموا بعد انصرافهم من احد وهموا بالرجوع الى المدينة، فامر الله نبيه بالتهى للرجوع اليهم، وامده بخمسة آلاف من الملائكة مسومين، فاخذوا في الجهاد وخرجوا يتبعون الكفار، ونزلت الثانية في غزوة بدر، والمراد من الآية ان الامداد بالملائكة هو بشرى من الله للمؤمنين بالنصر لهم وتسكين قلوبهم فحسب، والا فملك واحد لو امر الله به كاف لتدمير العالم كله كما فعل الملائكة بالأمم الماضية.

السادس عشر: لآظهار الشفقة

قدياًتى التكرير لآظهار الشفقة على المسترشد حتى يميل الى استماع الكلام والتوجه اليه.

١- سورة آل عمران، آية ١٢٦.

٢- سورة الانفال، آية ١٠.

نحو ما جاء في تكرار «يا أيها الذين آمنوا» في هاتين الآيتين:
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٢).

السابع عشر: لحصول الرجاء

فقد تكررت صفة «الرحمة» لله تعالى بمشتقاتها ثلاث مئة وثمان وعشرين مرّة، وتكرر مرتين في البسملة، وهي قريبة من اسم الله الأعظم من سواد العين الى بياضها، ونزلت أكثر من سبعين مرّة بادوات التأكيد نحو ان الله غفور رحيم و....

وهذا لبعث الرجاء والأمل في نفوس المؤمنين، ولرفع اليأس عن قلوبهم الذين عملوا الأعمال الطالحة وندموا ورجعوا من اعمالهم السيئة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣).

الثامن عشر: لإيجاد الرعب واليأس

فقد تكررت بعض الآيات لإيجاد الرعب واليأس في نفوس المكذبين بيوم القيمة أو مكذبي رسول الله والآلاء الله تعالى و....

١- سورة الحجرات، آية ١.

٢- سورة الحجرات، آية ٢.

٣- سورة البقرة، آية ٢١٨.

كما تكرر في سورة الرحمن أكثر من ثلاثين مرة: ﴿قَبَائِرِ الْآلِ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾، عقيب كلِّ نعمة ووعيدٍ وعيد، ومعناه ان مع وجود هذه النعمة في الدنيا والجزاء الثابت في العقبى، هل يمكن ان يكذب أحد بالآله ونعمائه.

وتكرر في سورة المرسلات «ويل يومئذٍ للكافرين» عقيب كلِّ وصف ليوم القيمة او شئ مما يناسبه.

وتكرر في سورة الشعراء عقيب قصّة إبراهيم، نوح، هود، صالح، لوط، شعيب عليهم السلام ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١) للوقوف عندها والتأمل فيها على ما تحتوى من الدروس والعبر التي تستفاد ممّا مضى من حوادث التاريخ.

وكرر في سورة الكافرون ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ * ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ * ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ﴾ * ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾، لكى يبيّن الكفار من امكانية اغواء المسلمين واضلالهم ولا يتفاعل المؤمنون مع الاقتراحات التي يقدمها الكفار لصلابة عقيدتهم وشدة بأسهم في ذات الله تعالى.

وتكررت مادة «نذر» في سورة «القمر» اثنا عشرة مرة وتكرر «فكيف كان عذابي ونذر» أربع مرّات لا يجاد الوحشة في قلوب الكفار بهذه التعابير.

التاسع عشر: للمبالغة في الذمّ

قد تكررت بعض الآيات لشدة التنكير واغلاظ العقاب على مخاطبيهم لاعتقاداتهم الفاسدة وافعالهم الخبيثة كما جاء في «الوليد بن المغيرة» حيث كان يريد توحيد الأقوال فيما يقذف به رسول الله ﷺ، فعندما سمّوه المشركون بالشاعر والكاهن والمجنون، لم

١- سورة الشعراء، آية ١٢١.

يقبل كل هذا وعندما قالوا هو ساحر، فبعد تأمله قال: بلى، لزمه بأنه ﷺ يفرق بين المرء وأهله ويجمع الواحد والآخر كما يفعل هذه الأفعال السحرة.

فقد عبر القرآن عن هذه المجادلة بين الوليد وقومه، تعبيراً يوضح فيه التفكير الشيطاني ودهاء الوليد لقبول هذه الاقتراحات المذمومة.

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ *
ثُمَّ أَدْبَرَ * وَاسْتَكْبَرَ * فَفَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (١).

وكما جاء في سورة تبت، فأبولهب هو الذي قال للرسول الله ﷺ بعد دعوته وانذار عشيرته الأقربين «تبأ لك لهذا دعوتنا جميعاً» وامرئته انشدت اشعاراً في ذم النبي ودينه الإسلام وحملت حجراً وقالت: سمعت ان محمداً هجاني، قسماً لو وجدت له لا لقم من فمه هذا الحجر» (٢).

هذا مع ان ابالهب كان من أقرب اقرباء الرسول ﷺ وصدور هذه الاعمال من عنده كان عاملاً مهماً لانحراف ساير أهل مكة، فذمه الله تعالى وامرئته شديد الذم وقال:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ *
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (٣).

قال الرازي في سبب تكرار «الذين كذبوا شعيباً» في الآية التالية:
﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ
الْخَاسِرِينَ﴾ (٤).

١- سورة المدثر، آيات ١٨ الى ٢٥.

٢- تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٤٧٥.

٣- سورة المسد.

٤- سورة الأعراف، آية ٩٢.

«أنما كرر قوله «الذين كذبوا شعييا» لتعظيم المذلة لهم وتفضيع ما يستحقون من الجزاء على جهلهم، والعرب تكرر مثل هذا في التفخيم والتعظيم، فيقول الرجل لغيره: أخوك الذي ظلمنا، أخوك الذي اخذ اموالنا، أخوك لذي هتك أعراضنا» (١).

العشرون: للتحسين

أنما كرر من الآيات للزيادة في تحسين شئ بما فيه من صلاح ليرغب الناس فيه، فقد تكررت الآية التالية خمس مرّات بعد دعوة الأنبياء من ابراهيم، هود، صالح، لوط و شعيب.

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢).

وهذا التكرار لاغراض ومنها أنه على الداعية ان يتعالى عن سؤال أحد على عمله الرسالي، كما كان الأنبياء ﷺ يبتغون الأجر الالهي على اداء الرسالة على الأجر الدنيوي الوضع.

الواحد والعشرون: حتى لا ينسى الشكر

فقد كررت بعض النعم حتى يشكر الإنسان صاحب النعمة ولا ينساه أبداً، ومن أعظم هذه النعم، نعمة الحياة وقد كرر في القرآن انتساب هذه الصفة لله تعالى:

﴿...وَاللَّهُ يُحْيِي، وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٣).

١- تفسير الكبير، ج ١٤، ص ١٩٠.

٢- سورة الشعراء، آيات ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠.

٣- سورة آل عمران، آية ١٥٦.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).

والعلم نعمة ثانية في جنب الحياة ولا ريب في أهميتها وقد تكرر في القرآن كثيراً.
﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (٢).

ونعمة «الماء» الذي جعل الله منه كل شئ حياً قد ورد في القرآن أكثر من ستين مرة.
﴿...وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٣).

الثاني والعشرون: للتنبيه

ارسل الله سبحانه وتعالى جميع انبيائه في فترات التاريخ الى الأمم لهدايتهم وإرشادهم ودعوتهم للتوحيد تحذيراً مما اندرؤا ورغبة بما بشرؤا به، وقد ذكر قصصهم للامم السالفة بذكر العذاب الذي سيلقاه الكافرون لتنبيههم وتحذيرهم من لقاء هذا المصير المهلك كما جاء تكرر النداء في هذه الآية:

﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُومِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَنْقُومِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا مَتَّعْ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (٤).

فهذا الكلام، كلام مؤمن آل فرعون فكرر فيه النداء لايقاظ قومه من نومة الغفلة والتنبيه لبطلان ما قاله فرعون وما يدعوهم الى اتباع سبيله.

ولاتنباه ان سبيله سبيل النقي والضلالة، وسبيل الرشذ والصلاح غيره، ويحذّرهم من

١- سورة الحج، آية ٦.

٢- سورة علق، آيتي ٤ و ٥.

٣- سورة البقرة، آية ٢٢.

٤- سورة غافر، آيتي ٣٨ و ٣٩.

الاغتراء بمتاع الدّنيا لأنّها ستزول حتماً وإنّ الآخرة لهي دارالخلو والقرار النهائي.

وأيضاً ما جاء في ما وقع بين إبراهيم عليه السلام وأبيه أو عمّه:

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَتَّابِتْ إِيَّيَ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَتَّابِتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَتَّابِتْ إِيَّيَ أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ (١).

فهذه الآيات الشريفة تبين محاوره إبراهيم النبي عليه السلام مع آزر، فهو يريد انذاره وخلاصه وسعادته، بأيقاظه من سكرة الغفلة حتّى لا يقع في الضلالة وسبيل الغي لأنّ السبيل سبيلان سبيل الهداية وسبيل الغواية وليس من ورائهما صراط مستقيم فصدر كلّ نصيحة من النصائح الأربع، بالنداء «يا ابت» حتّى يعلن ما في نفسه من شوقه الى هداية أبيه والرحمة له.

الثالث والعشرون: للتفسير والتوضيح

في مواضع التكرار نرى ما هو تفسير وتوضيح لما قبلها، فالآية أو الكلمة التي تحتاج الى مزيد بيان تأتي مرّة أخرى ليتضح ما هو المقصود منها.

فجاء في سورة الأنفطار تفسير يوم الدين، لاحظ الآيات التالية:

﴿وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي حَجِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا

١- سورة مريم، آيات ٤١ الى ٤٥.

وَالْأَمْرُ يُؤْمَدُ لِلَّهِ (١).

وجاء في سورة الواقعة تقسيم الإنسان الى ثلاثة بحسب الاعمال التي كسبها وما هو جزائهم في القيامة:

﴿فَأَصْحَبُ الْمُيْمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الْمُيْمَنَةِ * وَأَصْحَبُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَبُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (٢).

وقد فسر هذه الاقسام في الآيات الأخرى:

﴿أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ... وَأَصْحَبُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَبُ الْيَمِينِ... وَأَصْحَبُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَبُ الشِّمَالِ﴾ (٣).

وجاء تكرار عليين في هاتين الآيتين:

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَرِ لِنِي عَلِيَيْنَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (٤).

الرابع والعشرون: لذكر ما لم يذكر

القرآن لا يعجز عن تناول لفظ بدل آخر، وإنما يجئ بالفاظ وكلمات متماثلة ليخدم المعاني المتعددة وليفهم ان الالفاظ هي آلة والأصل فيها المعاني، فهو قادر على ان يأتي بمعنى جديد لم يذكره من قبل بنفس الالفاظ المتماثلة التي ذكرها سابقاً. فكلما كرر لفظ جاء بمعنى آخر غير ما أراد من هذه اللفظة من قبل بل أحسن منه وهذا

١- سورة الانفطار، آيات ١٤ الى ١٩.

٢- سورة الواقعة، آيات ٨ الى ١٠.

٣- سورة الواقعة، آيات ١١، ٢٧ و ٤١.

٤- سورة المطففين، آيات ١٨ الى ٢١.

يحصل عند ملاحظة اللفظة الثانية وما جاء من قبلها وبعدها.

ففي الآية التالية:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

فالأمر بالمعروف هو دعوة الى الخير ولكن الآية جاءت لبيان فريضة مهمة بها تقام

الفرائض وبها يبقى كل خير، وهي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه لا بدّ له من مراتب متعددة، فيجب ان يكون بين الموظفين من يقوم بهذه الوظيفة، يأمرون ساير المؤمنين وينهونهم، ولا بدّ ان يكون لهؤلاء القوم المعينين أيضاً طائفة خاصة و... حتّى ينتهى الى الامام المنصوب من قبل رسول الله الأعظم ﷺ.

وهذا هو دأب القرآن في ذكر القصص أيضاً، فعند ما جاء بقصة تأتي حلقة منها في مكان آخر، ليأتي بشئ لم يذكره من قبل اوتاتي بنفس القصة بتقديم الفاظها وتأخيرها ليحصل ما ذكرنا.

الخامس والعشرون: لانتشاهم من الكفر والعصيان

نعرف ان التكرار لكل شئ يعطي للنفس الانسانية ملكة يعتاد الإنسان عليها وأنه يعتقد بما ملك في نفسه ويعمل عليه.

فتكرار عقائد المشركين الباطلة واعمالهم غيرالصحيحة وانكاراتهم القديمة الثابتة التي تعلموها من آبائهم قد استقرّت هذه المحرمات في نفوسهم وانغمست في قلوبهم،

١- سورة آل عمران، آية ١٠٤.

بحيث حصلت لهم ملكة في سلوكهم والتخلص منها ليس امراً سهلاً لأنّ ردع المعتاد عن عاداته كالمعجز، وهذا استدراج لهم بعد اعراضهم عن الحقّ ورفضهم الحقائق.

قال رسول الله ﷺ: إنّ المؤمن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فان تاب ونزع واستغفر، صقل قلبه منه وان ازداد زادت» (١).

وقال الباقر عليه السلام: ما من شيء افسد للقلب من الخطيئة، ان القلب لتواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير اسفله اعلاه واعلاه اسفله» (٢).

فالعقائد الباطلة عندما لا يتخلص الإنسان منها، يكون تكرارها موجبا لنفوذها في عمق النفس وتجعل النفس في شقاوة ابدية.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٣).

هذا من جانب، ومن جانب آخر لا يعالج هذا المرض المهم العميق في النفس الا ببيان الحق وتكراره قدر ما تكرر الذنب بل أكثر منه فأكثر.

فقال رسول الله ﷺ: تذاكروا وتلاقوا وتحديثوا، فإنّ الحديث جلاء للقلوب، إنّ القلوب لترين كما يرين السيف وجلاته الحديث. (٤).

السادس والعشرون: للحث على المواظبة

قد عرفت ما في القرآن من تكرار مفهوم المبدء والمعاد وكل من المفاهيم العقائدية والاخلاقية والاغراض التي فيها وهنا نقول ان من العلل والاسباب التي كررت هذه

١- تفسير نورالثقلين، ج ٥، ص ٥٣٢.

٢- تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٥٣١.

٣- سورة المطففين، آية ١٤.

٤- تفسير نورالثقلين، ج ٥، ص ٥٣١.

المفاهيم في القرآن هو الحث على المواظبة عليها في كل الأمور من أولها الى آخرها.

فجعل الله تعالى كلمة التوحيد في الآية التالية في اولها وآخرها:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١).

حتى يفيد هذا المعنى وهو:

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. (٢)

السابع والعشرون: لتجسيد المعاني

قد اتخذ القرآن الصوت المكرر والكلمات المكررة سبباً لتجسيد معانيها وتصويرها

في الذهن حتى تحدث أثر أقوى في النفس.

فعندما تكرر كلمة دكاً دكاً أو صفأ صفأ في الآية الشريفة:

﴿كَأَلَا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٣).

يصور للانسان تصويراً حسيّاً لك اجزاء الأرض الوسيعة جزء جزء وقطعة قطعة، فيهرّ

القلب وتخضع له الجوانح عندما يصور له هذا المشهد المهول الفضيع.

الثامن والعشرون: لسهولة الحفظ

نجد في القرآن أسلوب منظم للتكرار يحدث لذة عند السامع وهو يستمتع من دون ملل

وبهذا يسهل الحفظ والتذكير له.

١- سورة آل عمران، آية ١٨.

٢- سورة الحديد، آية ٣.

٣- سورة الفجر، آيتي ٢١ و ٢٢.

أنظر الى هذه الآيات:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَمْ نَكُفَّهِ النَّهْأَ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ
تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ
لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ (١).

نرى في هذه الآيات نظاماً وقالباً صوتياً يتكرر يبعث في النفوس ميلاً بالاستماع لها
وهو يساعد على الحفظ وتذكرها أكثر من غيرها.

التاسع والعشرون: للتفكير والتدبر

التكرار في الفاظ القرآن هو نفسه دعوة للتفكير والتدبر حول علة التكرار والأسرار التي
كانت فيها، لأنَّ القارئ المتدبر يعلم أنَّ هذا الكتاب ليس كتاباً كسائر الكتب بل هو
كتاب الله تعالى وقد نزل منه وهو معجزة رسوله الخاتم ﷺ فلا يمكن أن لا يكون للحروف
التي استعملها القرآن فائدة فضلاً عن كلماتها وآياتها.

فالذي يتفكّر ويتدبّر في القرآن يرى معاني كثيرة تحت ألفاظ قصيرة بسيطة لها في كل
موضع استعملت فيه معنى غير الذي افادته في جملة أخرى وهذا هو إحدى وجوه
الأعجاز في القرآن الكريم وكان من أهمها.

مضافاً إلى ذلك نكتشف منه مواضيع عديدة تنفع عند المناقشات التي تقع وتتجدد
على مرّ الزمن لأنَّ القرآن في كلّ زمن وعند كلّ تلاوة وقراءة غصّ طرى.
قال صاحب مجمع البيان في تفسير الآية الشريفة:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (١)

«اي ولقد كررنا الدلائل وفصلنا المعاني والأمثال وغير ذلك مما يوجب الاعتبار به «في هذا القرآن ليذكروا أي يتفكروا فيها فيعلموا الحق» (٢).

وقال الرازي في تفسيره نقلاً عن الجبائي:

قوله: «ولقد صرفنا...» يدل على أنه تعالى أنما أنزل هذا القرآن وأنما أكثر فيه من ذكر الدلائل لأنه تعالى أراد منهم فهمها والايان بها، وهذا يدل على أنه تعالى يفعل أفعاله لاغراض حكيمية» (٣).

وقال المراغي في تفسير الآية الشريفة:

«اي ولقد بينا في هذا القرآن الآيات والحجج وضربنا لهم الامثال وحذرناهم ليتذكروا ويتعظوا فيقفوا على بطلان ما يقولون، فان التكرار يقتضى الازعان واطمئنان النفس» (٤).

الثلاثون: للوعد بعد الوعيد

جاءت بعض الآيات وعيدا للناس أو لعدة منهم كالمناققين أو شخص معين كما جاء في أبي جهل، ثم كرر الله تعالى الوعيد عليه مرّة أخرى، فهذا وعيد على وعيد ويدل على عذاب على اثر عذاب.

قال الطبرسي نقلاً عن الحسن ومقاتل في تفسير هاتين الآيتين:

-
- ١- سورة الأسراء، آية ٤١.
 - ٢- تفسير مجمع البيان، ج ٦، ص ٢٥٤.
 - ٣- تفسير الكبير، ج ٢٠، ص ٢١٨.
 - ٤- تفسير المراغي، الجزء ١٥، ص ٥٠.

﴿كَأَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (١).

«هو وعيد بعد وعيد ومعناه سوف تعلمون عاقبة تباهيكم وتكاثركم اذا نزل بكم الموت» (٢).

وقال في علة تكرار هاتين الآيتين نقلًا عن قتادة:

﴿أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى * ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى﴾ (٣)

«وقيل هو وعيد على وعيد، عن قتاده، ومعناه وليك الشر في الدنيا وليك، ثم وليك الشر في الآخرة وليك» (٤).

١- سورة التكاثر، آيتي ٣ و ٤.

٢- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٣٢.

٣- سورة القيمة، آيتي ٣٤ و ٣٥.

٤- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٠٤.



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الثالث

البحث هنا عن الآيات التي تكررت. وباستقراءنا تبين أن هناك آيات قد تكررت فنذكرها ونتعرض لآراء بعض المفسرين بشأنها ونبدى رأينا فيها فنقول إن لكل آية معنى يغير معنى الآية الأخرى إذا لاحظنا سياقها العام أو سبب نزولها أو الدقة في المعنى اللغوي أو أمور أخرى نذكرها في محالها انشاء الله.

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قد تكررت هذه الآية مئة وأربعة عشرة مرة كما أن صفة الرحمة لله تعالى قد تكررت مرتين في نفس هذه الآية.

عندما نلاحظ الفرق بين صفتي «الرحمن» و «الرحيم» نلتزم بعدم التكرار فيهما.

قال الطبرسي في بيان الفرق بين هذين الصفتين:

«لأنَّ الرحمن بمنزلة اسم العلم من حيث لا يوصف به إلا الله فوجب لذلك تقديمه بخلاف الرحيم لأنَّه يطلق عليه وعلى غيره، وروى أبوسعيد الخدري عن النبي ﷺ أن عيسى بن مريم قال: الرحمن، رحمن الدنيا والرحيم، رحيم الآخرة وعن بعض التابعين قال: الرحمن بجميع الخلق والرحيم بالمؤمنين خاصة... وإلى هذا المعنى يؤل ما روى عن الصادق عليه السلام أنه قال: الرحمن اسم خاص بصفة عامّة والرحيم اسم عام بصفة خاصة.

وعن عكرمه قال: الرحمن برحمة واحدة والرحيم بمئة الرحمة، وهذا المعنى قد اقتبسه من قول الرسول: إن لله عز وجل مئة رحمة وأنه أنزل منها واحدة إلى الأرض

فقسمها بين خلقه يتعاطفون ويتراحمون واخرّ تسعاً وتسعين لنفسه يرحم بها عباده
يوم القيمة» (١).

وأما علة تكرار الآية في أوّل كل سورة ألا في سورة التوبة فقد اختلف علماء الاسلام
فذهب بعض على أنها آية مستقلة من كل سورة والدليل على هذا اثباتها في المصحف قبل
كلّ سورة وعند شروعها وهذا جيد بعد ان نسمع من رسول الله ﷺ امره بتجريد القرآن عن
كلّ ما ليس منه، وللروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام والسيرة المستمرة على قرائتها
وقراءة النبي ﷺ.

وذهب بعض على أنها آية من الفاتحة دون غيرها وهناك أقوال آخر شاذة لا يعابها.
فعلى فرض أنها آية مستقلة كما هو رأينا كذلك نقول في سبب تكرارها:
الرحمن هي صفة تشير الى الرحمة الالهية الشاملة للمؤمن والكافر والرحيم هي صفة
الهيّة تختص بعبده المؤمن دون الكافر والدليل على ذلك ذكر صفة الرحمن في القرآن
بصورة مطلقة بينما ذكر صفة الرحيم مقيدة في بعض الآيات.
ولما روى عن الإمام الصادق عليه السلام: «والله اله كلّ شيء الرحمن بجميع خلقه والرحيم
بالمؤمنين خاصّة» (٢).

فتعم صفتا «الرحمن والرحيم» جميع الكون وتشمل جميع الموجودات فكلّ ما
خلق الله تعالى فبرحمته خلق، ورحمته وسعت كلّ شيء، فهما من اهمّ الأوصاف بل هما
أصل كلّ صفة لله تعالى في الحياة الدنيوية والأخروية.
قال رسول الله ﷺ:

١- تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٥٤.

٢- بحار الأنوار، ج ٨٥، ص ٥١.

«انَّ الله عزَّوجلَّ مئة رحمةٍ وأنَّه انزل منها واحدة بين الجن والإنس والبهائم واخرَ تسعة وتسعين لنفسه يرحم بها عباده» (١).

هذا، مع انَّ كلَّ سورة قد وردت فيها «البسملة» انصبغت بصبغة السورة المباركة.

وأما تكرارها في سورة النمل في كتاب سليمان النبي ﷺ الى بلقيس.

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (٢).

فليبان تمام الهدف من ارسال الكتابة الى ملكة سبأ فهذه الآية رغم قصرها تضمنت

الإشارة الى الصانع الحكيم الحيَّ القادر فلفظة «الله» وحدها جامعة لجميع صفاته تعالى

كما انَّ رحمته العامة تدل على حياته وقدرته و....

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (٣)

بعد اجماع المسلمين واتفاق المفسرين على انَّ «البسملة» جزء من سورة الحمد،

فهذه الآية «الرحمن الرحيم» هي الآية الثانية من الآيات المكررة في القرآن.

فهي جاءت لبيان أوصاف الله تعالى في ضمن بعض الأوصاف الأخرى نحو

«ربَّ العالمين» و «مالك يوم الدين» بخلاف ما في البسملة كما قلت في سبب تكرارها.

ثمَّ لا يبعد ان نقول بأنَّ الله تعالى قد اشار الى رحمته الواسعة قبل التكلم عن يوم القيمة،

فهو تعالى «رحمن ورحيم» قبل ان يكون «مالك يوم الدين».

﴿الم﴾

الحروف المقطعة من فواتح السور في القرآن من المتشابهات القرآنية، فهي وان كان

المفسرون قد اتعبوا انفسهم في تفسيرها وصنفوا كتباً في هذا الموضوع ولكنَّها من الأسرار

١- بحار الأنوار، ج ٦، ص ٢١٩.

٢- سورة النمل، آية ٣٠.

٣- سورة الحمد، آية ٢.

التي لا يعلمها إلا الله تعالى ورسوله ﷺ فهي من الرموز التي كانت بينهما.
ومع هذا قضية التكرار في هذه الحروف أيضاً من العلوم التي لا يعلم تفسيرها ولا تأويلها إلا الله ورسوله ولا ينبغي الخوض في موضوع لا يمكن أن نقول فيه شيئاً إلا على سبيل الاحتمال.

﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٢).

الآية الأولى اشارت الى المتقين ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ والثانية اشارت الى المحسنين «هدى ورحمة للمحسنين».

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣).

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٤).

فإن الحكم شامل لجميع الكفار في آية البقرة، وذلك بملاحظة الاطلاق في ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الأولى.

ولكن الحكم يختص ببعض الكفار في آية يس بملاحظة قوله تعالى في ما قبلها ﴿لقد حقّ القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون﴾ فبعض منهم يتبعون الذكر و يخشون الرحمن بالغيب.

فقال الطبرسي في شأن نزول آية البقرة:

«قيل نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته قتلوا يوم بدر... وقيل نزلت في قوم

١- سورة البقرة، آية ٥.

٢- سورة لقمان، آية ٥.

٣- سورة البقرة، آية ٦.

٤- سورة يس، آية ١٠.

باعيانهم من احبار اليهود ممن كفر بالنبيّ عناداً وكنتم امره حسداً عن ابن عباس، وقيل نزلت في أهل الختم والطبع الذين علم الله انهم لا يؤمنون عن أبي علي الجبائي، وقيل نزلت في مشركي العرب عن الأصم، وقيل هي عامة في جميع الكفار... وأختار الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه ان يكون على الاختصاص وتجوز كل واحد من الأقوال الآخر وهذا أظهر وأسبق الى الفهم» (١).

وقال صاحب الميزان في تفسير الآية الأولى:

«وأيضاً هذا التعبير إنما وقع في سورة يس وهي مكية، وفي هذه السورة وهي سورة البقرة أول سورة نزلت في المدينة، نزلت ولم تقع غزوة بدر بعد، فالاشبه ان يكون المراد من الذين كفروا هنا وفي سائر الموارد من كلامه تعالى: كفار مكة في أول البعثة إلا ان تقوم قرينة على خلافه» (٢).

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ (٣).

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغُضُوبِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاوِرَكُمْ بِهِٖٓ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٤).

قال الطبرسي في تفسير الآية الأولى:

«اذا لقوا الذين آمنوا يعني المنافقين اذا رأوا المؤمنين قالوا آمنا... وقيل هم اليهود» (٥).

١- تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٩٣.

٢- تفسير الميزان، ج ١، ص ٥٥.

٣- سورة البقرة، آية ١٤.

٤- سورة البقرة، آية ٧٦.

٥- تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ١٠٧.

ولكن الأول مطابق لسياق الآية كما ترى.

وقال في تفسير الآية الثانية:

«روى عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: كانوا قوماً من اليهود وليسوا من المعاندين المتواطئين إذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وآله فنهاهم كبرائهم عن ذلك وقالوا لا نخبروهم بما في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وآله فيحاجوكم به عند ربكم فنزلت هذه الآية. قال مجاهد نزلت في بنى قريضة لما قال لهم النبي صلى الله عليه وآله: يا اخوة القردة والخنازير، قالوا من أخبر محمد صلى الله عليه وآله بهذا؟ ما خرج إلا منكم، وقال السدى: هؤلاء ناس من اليهود، آمنوا ثم نافقوا فكانوا يحدثون المؤمنين من العرب بما عذب به اسلافهم، فقال بعضهم لبعض:

اتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به فيقولون نحن أكرم على الله منكم» (١).

فقد نقلنا هذا بتفصيله حتى يعلم كم من فرق بين الآيتين وما يقول المفسرون في سبب نزولهما.

﴿صُمْ بُكُمْ عُنَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٢).

﴿... صُمْ بُكُمْ عُنَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٣).

الآية الأولى وصف للمنافقين فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون.

والآية الثانية قد وصفت الكفار فهم كمثل الذي ينفق بما لا يسمع الا دعاء ونداء.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ

١- تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٢٧٢.

٢- سورة البقرة، آية ١٨.

٣- سورة البقرة، آية ١٧١.

مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَفْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢).

إنّ الضمير في «مثله» يرجع الى القرآن كلّ ولا يمكن ان يرجع الى السورة التي جاءت في ضمنها الآية، لأنّه سيكون التحدى حينئذ لغواً، بل مستهجناً وذلك مثل انّ نقول: انّ كنتم في ريب من سورة الحمد، فأتوا بسورة من مثل البقرة.

«من» في «من مثله» للتبويض ولما كانت البقرة سورة مهمّة في القرآن وهي أوّل سورة نزلت بالمدينة وسورة ثانية على الترتيب الفعلي التي رتبها رسول الله ﷺ في حياته المباركة، جاءت الآية بـ«فأتوا بسورة من مثله» حتّى يعلم انّ التحدى لم يكن منحصرأ في البقرة بل يعم جميع السور القرآنية.

﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٣).

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (٤).

الآية الأولى تصف الفاسقين المضلّين، وأنهم الخاسرون في يوم القيامة، والآية الثانية بعد ان ذكرت فيها السعداء وأحوالهم والأوصاف التي بها يستحقون الجنة، تبعها الله تعالى بذكر الاشقياء وأحوالهم الدنيئة واستحقاقهم النار.

١- سورة البقرة، آية ٢٣.

٢- سورة يونس، آية ٣٨.

٣- سورة البقرة، آية ٢٧.

٤- سورة رعد، آية ٢٥.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا اِلَّا اِبْلٰسَ اَبٰى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِيْنَ﴾ (١).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا اِلَّا اِبْلٰسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّٰجِدِيْنَ﴾ (٢).

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا اِلَّا اِبْلٰسَ قَالَ ؕ اَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيْنًا﴾ (٣).

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا اِلَّا اِبْلٰسَ كَانَ مِنَ الْجٰنِ فَفَسَقَ عَنْ اَمْرِ رَبِّهٖۤ اَفَتَتَّخِذُوْنَهُ وَذُرِّيَّتَهٗ اَوْلِيَاۗءَ مِنْ دُوْنِ وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ يُّشٰى لِلظَّٰلِمِيْنَ بَدَلًا﴾ (٤).

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا اِلَّا اِبْلٰسَ اَبٰى﴾ (٥).

﴿... فَقَعُوْا لَهٗ سٰجِدِيْنَ * فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ اٰجْمَعُوْنَ * اِلَّا اِبْلٰسَ اَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِيْنَ﴾ (٦).

هذه الآيات كلها قد جاءت في سياق بيان قصة رفض سجود الشيطان لآدم ﷺ وكلما تكرر هذا المقطع من القصة يأتي بأمور جديدة لم تذكر من قبل.

﴿وَقُلْنَا يٰٓاٰدَمُ اَسْكُنْ اَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا

١- سورة البقرة، آية ٣٤.

٢- سورة الأعراف، آية ١١.

٣- سورة الاسراء، آية ٦١.

٤- سورة كهف، آية ٥٠.

٥- سورة طه، آية ١١٦.

٦- سورة ص، آيات ٧٢ الى ٧٤.

هَذِهِ الشَّجَرَةُ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾.

﴿وَيَسَادُّمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٢).

لفظة «اسكن» في البقرة بمعنى الإقامة وهي تستدعي زماناً ممتداً فيلزم عطف «كلا» هنا بالواو، أي أجمع بين الإقامة والأكل، فلو جاءت الآية بالفاء، لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة لأنَّ الفاء للترتيب والتعقيب.

أما الذي في الأعراف فهو بمعنى «السكنى» أي اتخذ موضعاً للسكنى لأنَّ الله تعالى قد أخرج إبليس من الجنة ثم أمر آدم وحواء أن يتخذا مسكناً لهما، فكان العطف بالفاء أولى وأنصب، لأنَّ الاتخاذ لا يستدعي زماناً ولا يمكن أن يجمع مع الأكل، بل لابد أن يقع الأكل بعد اتخاذها مسكناً لهما.

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ (٣).

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَخَفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٤).

قال الطبرسي في تفسيره مجمع البيان:

«اختلف في تكرار الهبوط فقيل: الهبوط الأول من الجنة إلى السماء، وهذا الهبوط (الثاني) من السماء إلى الأرض عن أبي علي، وقيل أنما كرر للتأكيد، وقيل أنما كرر

١- سورة البقرة، آية ٣٥.

٢- سورة الأعراف، آية ١٩.

٣- سورة البقرة، آية ٣٦.

٤- سورة البقرة، آية ٣٨.

لإختلاف الحاليين فقد بيّن بقوله «وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدوٌّ» أنّ الاهباط أنّما كان في حال عداوة بعضهم لبعض، وبين قوله «قلنا اهبطوا منها جميعاً، فأما يا تينكم منى هدى» أنّ الاهباط انما كان للابتلاء والتكليف كما يقال: اذهب سالماً معافى، اذهب مصاحباً، وإن كان الذهاب واحداً لأختلاف الحاليين (١).

وقد ضَعَف الرازي في تفسيره الوجه الأوّل من هذه الوجوه وقال:

«قال الجبائي الهبوط الأوّل غير الثاني، فالأوّل من الجنّة الى سماء الدنيا، والثاني من سماء الدنيا الى الأرض، وهذا ضعيفٌ من وجهين، أحدهما: أنّه قال في الهبوط الأوّل «ولكم في الأرض مستقرٌّ» فلو كان الاستقرار في الأرض أنّما حصل بالهبوط الثاني، لكان ذكر قوله «ولكم في الأرض مستقرٌّ ومتاع» عقيب الهبوط الثاني اولي. «وثانيهما: أنّه قال في الهبوط الثاني «اهبطوا منها» والضمير في «منها» عائد الى الجنّة وذلك يقتضى كون الهبوط الثاني من الجنّة» (٢).

الوجه الثاني من الوجوه التي ذكرها الطبرسي وهي التأكيد، فهو يستلزم التكرار في القرآن مع أنّ السياق لا يساعده فلا نقول به.

وأما الوجه الثالث من هذه الوجوه وهو اختلاف الحاليين، ضعيف أيضاً، لأنّ عداوة بعض لبعض لا تتصور إلّا في ضمن التكاليف والابتلاءات بها فهما حال واحد.

والفخر الرازي بعد تضعيفه للوجه الأوّل وبيان وجه الثاني قال:

«وعندى فيه وجه ثالث أقوى من هذين الوجهين وهو أنّ آدم وحوالما اتيا بالزلة، امرا بالهبوط، فتابا بعد الأمر بالهبوط ووقع في قلبهما أنّ الأمر بالهبوط لما كان بسبب الزلة فبعد

١- تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ١٧٩.

٢- تفسير الكبير، ج ٣، ص ٢٩.

التوبة وجب ان لا يبقى الأمر بالهبوط، فاعاد الله تعالى الأمر بالهبوط مرّة ثانية ليعلم انّ الأمر بالهبوط ما كان جزاءً على ارتكاب الزلة حتّى يزول بزوالها، بل الأمر بالهبوط باق بعد التوبة لأنّ الأمر به كان تحقيقاً للوعد المتقدّم في قوله ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (١).

وقال الطباطبائي في تفسيره الميزان:

«وانت اذا تدبرت هذه القصة (قصة الجنّة) وخاصة ما وقع في سورة طه، وجدت انّ الاستفادة منها انّ جريان القصة أوجب قضائين منه تعالى في آدم وذريته، فأكل الشجرة أوجب حكمه تعالى وقضائه بالهبوط والاستقرار في الأرض والحياة فيها، تلك الحياة الشقية التي حذرا منها حين نهيا عن اقتراب الشجرة هذه.

وانّ التوبة ثانياً: تعقب قضاءً وحكماً ثانياً منه تعالى باكرام آدم وذريته بالهداية الى العبودية، فالمقضى أولاً كان نفس الحياة الأرضية، ثمّ بالتوبة طيب الله تلك الحياة بأن ركب عليها الهداية الى العبودية، فتألف الحياة من حياة أرضية وحياة سماوية» (٢).

انّ الذي كنّا بصدده هو إثبات وجود معاني متعددة للآيات القرآنية المتماثلة وقد تبين ذلك من آراء المفسرين.

نعم لا يمكننا أن نقبل كلام العلامة الطباطبائي لأنّ الله تعالى خلق آدم ابتداءً للحياة الأرضية نفسها، ليهديه ويبتليه وليس ذلك من نتائج توبة آدم ﷺ ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣).

١- تفسير الكبير، ج ٣، ص ٢٩.

٢- تفسير الميزان، ج ١، ص ١٣٦.

٣- سورة البقرة، آية ٣٠.

﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١).

﴿قَالَ أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشَقُّ﴾ (٢).

الآيتان جاثتا لبيان قضايا جديدة لم تذكر فيما مضى.

﴿يَسْبِقِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيسَى فَارْهُبُونَ﴾ (٣).

﴿يَسْبِقِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٤).

﴿يَسْبِقِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٥).

نقل المفسرون في سبب تكرار هذه الآيات وجوه.

فقال الرازي في تفسيره للآية الأولى:

«أعلم أنه تعالى أعاد هذا الكلام مرة أخرى تأكيداً للحجة عليهم وتحذيراً من ترك اتباع محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم ثم قرنه بالوعيد» (٦).

١- سورة البقرة، آية ٣٨.

٢- سورة طه، آية ١٢٣.

٣- سورة البقرة، آية ٤٠.

٤- سورة البقرة، آية ٤٧.

٥- سورة البقرة، آية ١٢٢.

٦- تفسير الكبير، ج ١، ص ٥٦.

وقال الطبرسي:

«فان قيل فما الفائدة في تكرار قوله: «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ»؟ قلنا: لأنه لما كانت نعم الله هي الأصل فيما يجب شكره، احتيج الى تأكيدها، كما يقول القائل، اذهب اذهب، عَجَلْ عَجَلْ، وقيل أيضاً أن التذكير الأول ورد مجملًا والثاني ورد مفصلاً، وقيل أنه في الأول ذكّرهم نعمة على أنفسهم وفي الثاني ذكّرهم نعمة على آبائهم» (١).

وقال في تفسير الآية الثالثة:

«قيل في سبب تكرارها ثلاثة أقوال، أحدها: أن نعم الله سبحانه لما كانت اصول كلّ نعمة كرّر التذكير بها مبالغة في استدعائهم الى ما يلزمهم من شكرها، ليقبلوا الى طاعة ربهم المظاهر نعمه عليهم، وثانيها: أنه لما باعد بين الكلامين حُسن التنبيه والتذكير والإعادة والتكرير ابلاغاً للحجة وتأكيداً للتذكرة.

ثالثها: أنه سبحانه لما ذكر التوراة وفيها الدلالة على شأن عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ في النبوة والبشارة بهما، ذكرهم نعمة عليهم بذلك وما فضلهم به كما عدد النعم في سورة الرحمن وكرر قوله «فَبَأَى آلاءَ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ» فكل تفرّيع جاء بعد تفرّيع، فإنما هو موصول بتذكير نعمة غير الاولى، والثالثة غير الثانية الى آخر السورة، وكذلك الوعيد في سورة المرسلات، بقوله «وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» أنما هو بعد الدلالة على اعمال تعظم التكذيب بما تدعو إليه الأدلة» (٢).

«وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ» (٣).

١- تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ١٩٩.

٢- تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٣٧١.

٣- سورة البقرة، آية ٤٢.

﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١).

الآية في البقرة نهى فيها عن التباس الحق بالباطل وكتمان الحق والآية في آل عمران تخبر عن نقض بني اسرائيل ميثاقهم وخلطهم الحق بالباطل وكتمانهم الحق.

﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٢).

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٣).

للصبر معان عديدة بحسب مورده وله دور فعال في انبعاث الناس وتحريكهم نحو القوس الصعودي وارتقاء المدارج العالية الاخلاقية والإيصال الى المطلوب، ولهذا السبب فقد تكرر في القرآن الكريم أكثر من ستين مرة.

اما الصلاة فهي ركن ركين، وعمل عبادى رفيع لا يدانيه عمل، فهي أول فعل يسئل عنه يوم القيامة من بين الأفعال، وتكرارها في القرآن الكريم في مواضع متعددة وبعبارات مختلفة له وجه وجيه.

مع ان الآية الأولى قد جاءت خلال آيات تتحدث عن بني اسرائيل والثانية خطاب للمؤمنين ونزلت بعد امره تعالى بالذكر والشكر له.

﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٤).

﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ

١- سورة آل عمران، آية ٧١.

٢- سورة البقرة، آية ٤٥.

٣- سورة البقرة، آية ١٥٣.

٤- سورة البقرة، آية ٤٨.

وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ» (١).

قال رشيد رضا في تفسير الآية الثانية:

«وقد تقدّم في تفسير الآيات الأولى ما يغني عن الإطالة هنا وليس في هذه زيادة في المعنى إلا أن التعبير قد اختلفت تفننا، ففي الآية الأولى تقدّم ذكر الشفاعة منفية القبول، وتأخر ذكر العدل غير مأخوذ، وفي هذه الآية نفي قبول العدل أولاً ثم نفي نفع الشفاعة ثانياً، وكأنه يشير بهذا التفنن إلى أنه لا فرق بين الفداء والشفاعة في الجواز والمنع فمن منع العوض في الآخر لزمه منع الشفاعة، فان جوزها جوزه» (٢).

ولكن قال الرازي في وجه تكرار الآيتين بملاحظة التقدم والتأخر في بعض كلماتها نذكره مفصلاً لما فيه من الفائدة.

«أن الله تعالى قدم في هذه الآية قبول الشفاعة على أخذ الفدية وذكر هذه الآية في هذه السورة بعد العشرين والمائة وقدم قبول الفدية على ذكر الشفاعة فما الحكمة فيه؟ الجواب أن من كان ميله إلى حب المال أشد من ميله إلى علو النفس فإنه يقدم التمسك بالشافعين على إعطاء الفدية ومن كان بالعكس يقدم الفدية على الشفاعة ففائدة تغيير الترتيب الإشارة إلى هذين الصنفين: ولندكر الآن تفسير الألفاظ: أمّا قوله تعالى «لا تجزى نفس عن نفس شيئاً» فقال القفال: الأصل في جزى هذا عند أهل اللغة قضى ومنه الحديث أن رسول الله ﷺ قال لأبي بردة بن يسار «تجزيك ولا تجزي احداً بعدك» هكذا يرويه أهل العربية «تجزيك» بفتح التاء غير مهموز أي تقضي عن أضحيتك وتنوب، ومعنى الآية أن يوم القيامة لا تنوب نفس عن نفس شيئاً ولا تحمل عنها شيئاً مما أصابها

١- سورة البقرة، آية ١٢٣.

٢- تفسير المنار، ج ١، ص ٤٥١.

بل يفر المرء فيه من أخيه وأمه وأبيه ومعنى هذه النيابة أن طاعة المطيع لا تقضي على العاصي ما كان واجباً عليه وقد تقع هذه النيابة في الدنيا كالرجل يقضي عن قريبه وصديقه دينه ويتحمل عنه، فأما يوم القيامة فإن قضاء الحقوق إنما يقع فيه من الحسنات. روى أبوهريرة قال: قال ﷺ: «رحم الله عبداً كان عنده لأخيه مظلمة في عرض أو مال أو جاء فاستحلّه قبل أن يؤخذ منه وليس ثمّ دينار ولا درهم فإن كانت له حسنات أخذ من حسناته وإن لم يكن له حسنات حمل من سيئاته» قال صاحب الكشاف و«شيئاً» مفعول به ويجوز أن يكون في موضع مصدر أي قليلاً من الجزاء كقوله تعالى «ولا يظلمون شيئاً» ومن قرا «لا يجزى» من أجزأ عنه إذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته إلاّ بمعنى شيئاً من الأجزاء تقديره تجزي فيه ومعنى التنكير أن نفساً من الأنفس لا تجزي عن نفس غيرها شيئاً من الأشياء وهو الإقناط الكلي القطاع للمطامع، أما قوله تعالى «ولا يقبل منها شفاعة» فالشفاعة أن يستوهب أحد لأحد شيئاً ويطلب له حاجة وأصلها من الشفع الذي هو ضد الوتر، كان صاحب الحاجة كان فرداً فصار الشفيع له شفعاً أي صار ازواجاً. وأعلم ان الضمير في قوله «ولا يقبل منها» راجع إلى النفس الثانية العاصية وهي التي لا يؤخذ منها عدل، ومعنى لا يقبل منها شفاعة إنّها إن جاءت بشفاعة شفيع لا يقبل منها، ويجوز ان يرجع إلى النفس الأولى، على أنّها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئاً. أمّا قوله تعالى «ولا يؤخذ منها عدل» أي فدية، وأصل الكلمة من معادلة الشيء تقول: ما أعدل بفلان أحداً، أي لا أرى له نظيراً قال تعالى «ثمّ الذين كفروا بربّهم يعدلون» ونظيره هذه الآية قوله تعالى «إنّ الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم» وقال تعالى «إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به» وقال «وإن تعدل كلّ عدل لا يؤخذ

منها» (١).

﴿وَإِذْ أَخْبَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (٢).

﴿وَإِذْ أَخْبَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (٣).

﴿... إِذْ أَفْجَسَكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (٤).

الذبح نوع من القتل، وبما أن «يذبحون» كان تفسيراً لما قبله «العذاب» فلا يحتاج الى «الواو» ولكن هذه اللفظة في سورة إبراهيم هي نوع آخر من العذاب، فالعذاب على شكلين أما سوء العذاب وأما الذبح، فيحتاج الى الواو.

وأما علة تكرار هذه الآيات بعد ما فيها من التغاير، فهي لبيان جزئيات آخر من قصة

موسى عليه السلام.

﴿وَوَضَعْنَا عَلَىٰ كُفْرِهِمُ أَلْغَامًا وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٥).

﴿... وَوَضَعْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ

١- تفسير الكبير، ج ٣، ص ٥٩.

٢- سورة البقرة، آية ٤٩.

٣- سورة الأعراف، آية ١٤١.

٤- سورة إبراهيم، آية ٦.

٥- سورة البقرة، آية ٥٧.

مَا زَرَّ قَنْتَكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» (١).

الآيتان جائتا في ضمن بيان وجوه مختلفة من القصة، مع أن في الآية الثانية أخبار عن نعم جديدة منحها الله تعالى لبني إسرائيل، فالله تعالى فجّر العيون المتعددة عند كظمهم العطش وأصابهم الظمأ حينما ساروا في طريقهم الى بيت المقدس.

«وَإِذْ قُلْنَا أَدْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ» (٢).

«وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ» (٣).

في هذه الآيات:

١ - عطف «كلوا» بالفاء في سورة البقرة و بالواو و في سورة الأعراف، لأنّ الدخول «ادخلوا» سريع الانتضاء فيتبعه الأكل، بخلاف السكون «اسكنوا» فانه يستدعى زمنا فيعطف بالواو.

٢ - جمعت الخطيئة في البقرة ب«خطايا» وفي الأعراف ب«خطيئات» فالخطايا جمع مكسر موضوعة للكثير، بينما خطيئات جمع سالم، فلما اخبر الله تعالى عن نفسه «واذقلنا» ذكر ما يليق بكرمه واتى بلفظ يبين سعة رحمته ومغفرته، ولكن لما لم يذكر الفاعل «واذ قيل» وان كان الفاعل نفسه تعالى أتى بالجمع السالم على الأصل وانسجماً

١- سورة الأعراف، آية ١٦٠.

٢- سورة البقرة، آيتي ٥٨ و ٥٩.

٣- سورة الأعراف، آيتي ١٦١ و ١٦٢.

٣ - ذكر كلمه «رغداً» في البقرة بخلاف الأعراف فإنه لم يذكر فيها وذلك لما اسند الله تعالى الفعل الى نفسه في البقرة وبما أنه منعم كريم، فينبغي ان يمنع نعماً كثيرة فجاءت لفظة رغداً.

٤ - تقديم «حطه» على الدخول «ادخلوا الباب» في الأعراف وتأخيرها عنه في البقرة، لبيان لزوم الاستغفار قبل العمل وبعده، فأنهم مكلفون بأن يطهروا قلوبهم من الذنوب قبل دخولهم بيت المقدس وبعده... الى غير ذلك من الاختلافات في الحروف والكلمات في هذه الآيات، نعم جاء تكرار هذه المفاهيم والمعاني في هذه الآيات من أجل ائارة زوايا جديدة في قصة موسى عليه السلام مع قومه.

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (١).

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَىٰ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٢).

الآيتان تسلطان الضوء على جوانب أخرى من القصة.

﴿... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا

١- سورة البقرة، آية ٦٠.

٢- سورة الأعراف، آية ١٦٠.

عَصُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِسَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٢).

﴿... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِسَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٣).

﴿فَمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرِهِمْ بِسَايَتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤).

أما جاء التكرار في هذه الآيات من أجل بيان الأفعال المختلفة لبني إسرائيل في ضمن قصتهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٥).

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّبِيَّانَ وَالنَّصَارَى مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦).

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّبِيَّانَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا

١- سورة البقرة، آية ٦١.

٢- سورة آل عمران، آية ٢١.

٣- سورة البقرة، آية ٦١.

٤- سورة النساء، آية ١٥٥.

٥- سورة البقرة، آية ٦٢.

٦- سورة المائدة، آية ٦٩.

إِنَّ اللَّهَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١﴾.

لاحظنا موضعين للتكرار في هذه الآيات، الأول تكرار الإيمان في الآيتين الأوليين، فالمراد بالذين آمنوا في صدر الآية الذين يؤمنون بالله ايماناً ظاهرياً والمراد به في خلال الآية الإيمان الواقعي.

والموضع الثاني تكرار مفهوم واحد في الآيات، فذكر في آية الحج التمايز والانفصال بين اليهود والصابئين والنصارى والمجوس يوم القيمة فهي يوم الفصل ويوم افتراق الحق من الباطل فالله تعالى فصل الذين آمنوا من الخمسة الذين لا يؤمنون وهم اليهود والصابئين والنصارى والمجوس والمشركون.

وأما الآيتان الأوليتان فالآية الثانية منهما نزلت بعد آية:

﴿قُلْ يَتَّاهِلَ آلُكَتَّبِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٢).

قال ابن عباس في سبب نزولها: أنه جاء جماعة من اليهود الى رسول الله ﷺ فقالوا: الست تقر بأن التوراة من عند الله؟ قال بلى. قالوا: فأنأ نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها، فنزلت الآية.

والآية التالية عليها ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا...﴾ تقرر هذه الحقيقة وان الأمم كلها لا تنجوا الا اذا آمنت بالله وبيوم الحساب وعملت عملاً صالحاً.

والآية الاولى قيل نزلت في سلمان الفارسي وقصته، قال الطبري في تفسيره للآية

١- سورة الحج، آية ١٧.

٢- سورة المائدة، آية ٦٨.

«حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط بن نصر، عن السدي: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا» الآية، قال: نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي، وكان سلمان من جُندِ سابور، وكان من أشرفهم، وكان ابن الملك صديقاً له مواخياً، لا يقضي واحد منهم أمراً دون صاحبه، وكانا يركبان إلى الصيد جميعاً. فبينما هما في الصيد إذ رفع لهما بيت من عَبا، فأتياه فإذا هما فيه برجل بين يديه مصحف يقرأ فيه وهو يبكي، فسألاه ما هذا، فقال: الذي يريد أن يعلم هذا لا يقف موقفكما، فإن كنتما تريدان أن تعلمنا ما فيه فانزلا حتى أعلمكما، فنزلا إليه، فقال لهما: هذا كتاب جاء من عند الله، أمر فيه بطاعته، ونهي عن معصيته، فيه: أن لا تزني، ولا تسرق، ولا تأخذ أموال الناس بالباطل. فقصَّ عليهما ما فيه، وهو الإنجيل الذي أنزل الله على عيسى. فوقع في قلوبهما وتابعاه فأسلما، وقال لهما: إن ذبيحة قومكما عليكم حرام، فلم يزالا معه كذلك يتعلمان منه، حتى كان عيد للملك، فجعل طعاماً، ثم جمع الناس والأشراف، وأرسل إلى ابن الملك فدعاه إلى صنيعه ليأكل مع الناس، فأبى الفتى وقال: إني عنك مشغول، فكل أنت وأصحابك، فلما أكثر عليه من الرسل، أخبرهم أنه لا يأكل من طعامهم، فبعث الملك إلى ابنه، فدعاه وقال: ما أمرك هذا؟ قال: إنا لا نأكل من ذبائحكم، إنكم كفار ليس تحل ذبائحكم، فقال له الملك: من أمرك بهذا؟ فأخبره أن الراهب أمره بذلك، فدعا الراهب فقال: ماذا يقول ابني؟ قال: صدق ابنك، قال له: لولا أن الدم فينا عظيم لقتلتك، ولكن اخرج من أرضنا! فأجله أجلاً. فقال سلمان: فقمنا نبكي عليه، فقال لهما: إن كنتما صادقين، فإننا في بيعة بالموصل مع ستين رجلاً نعبده الله فيها، فأتونا فيها. فخرج الراهب، وبقي سلمان وابن الملك؛ فجعل يقول لابن الملك: انطلق بنا، وابن الملك يقول: نعم، وجعل ابن الملك يبيع متاعه يريد الجهاز. فلما أبطأ على سلمان، خرج سلمان حتى أتاهم، فنزل على صاحبه

وهو ربّ البيعة، وكان أهل تلك البيعة من أفضل الرهبان، فكان سلمان معهم يجتهد في العبادة، ويتعب نفسه، فقال له الشيخ: إنك غلام حدث تتكلف من العبادة مالا تطيق، وأنا خائف أن تفتّر وتعجز، فارتفق بنفسك وخفف عليها فقال له سلمان: رأيت الذي تأمرني به أهو أفضل، أو الذي أصنع؟ قال: بل الذي تصنع؟ قال: فخلّ عني. ثم إن صاحب البيعة دعاه فقال: أتعلم أن هذه البيعة لي، وأنا أحقّ الناس بها، ولو شئت أن أخرج هؤلاء منها لفعلت؟ ولكنني رجل أضعف عن عبادة هؤلاء، وأنا أريد أن أتحوّل من هذه البيعة إلى بيعة أخرى هم أهون عبادة من هؤلاء، فإن شئت أن تقيم ههنا فأقم، وإن شئت أن تتطلق معي فانطلق. قال له سلمان: أيّ البيعتين أفضل أهلاً؟ قال: هذه. قال سلمان: فأنا أكون في هذه. فأقام سلمان بها وأوصى صاحب البيعة عالم البيعة بسلمان، فكان سلمان يتعبد معهم، ثم إن الشيخ العالم أراد أن يأتي بيت المقدس، فقال لسلمان: إن أردت أن تتطلق معي فانطلق، وإن شئت أن تقيم فأقم. فقال له سلمان: أيهما أفضل أنطلق معك أم أقيم؟ قال: لا بل تتطلق معي. فانطلق معه فمروا بمقعد على ظهر الطريق ملقى، فلما رآهما نادى: يا سيد الرهبان ارحمني يرحمك الله، فلم يكلمه، ولم ينظر إليه، وانطلقا حتّى أتيا بيت المقدس، فقال الشيخ لسلمان: أخرج فاطلب العلم فإنّه يحضر هذا المسجد علماء أهل الأرض. فخرج سلمان يسمع منهم، فرجع يوماً حزينا، فقال له الشيخ: مالك يا سلمان؟ قال: أرى الخير كلّهُ قد ذهب به من كان قبلنا من الأنبياء وأتباعهم، فقال له الشيخ: يا سلمان لا تحزن، فإنّه قد بقي نبيّ ليس من نبيّ بأفضل تبعاً منه وهذا زمانه الذي يخرج فيه، ولا أراني أدركه، وأما أنت فشأب لهلك أن تدركه، وهو يخرج في أرض العرب، فإن أدركته فأمن به واتبعه! فقال له سلمان: فأخبرني عن علامته بشيء. قال: نعم، هو مختوم في ظهره بخاتم النبوة، وهو يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة. ثم رجعا حتّى بلغا مكان المقعد، فناداهما فقال: يا سيد الرهبان ارحمني يرحمك الله، فعطف إليه حماره، فأخذ بيده فرفعه، فضرب به الأرض

ودعا له، وقال: قم بإذن الله، فقام صحيحاً يشتدّ، فجعل سلمان يتعجب وهو ينظر إليه يشتدّ. وسار الراهب فتغيب عن سلمان ولا يعلم سلمان. ثم إن سلمان فزع فطلب الراهب، فلقى رجلاً من العرب من كلب فسألهما: هل رأيتما الراهب؟ فأناخ أحدهما راحلته، قال: نعم راعي الصّرمة هذا، فحملة فانطلق به إلى المدينة. قال سلمان: فأصابني من الحزن شيء لم يصبني مثله قط. فاشتريته امرأة من جهينة فكان يرعى عليها هو و غلام لها يتراوحيان الغنم هذا يوماً وهذا يوماً، فكان سلمان يجمع الدراهم ينتظر خروج محمد ﷺ فيينا هو يوماً يرعى، إذ أتاه صاحبه الذي يعقبه، فقال: أشعرت أنّه قد قدم اليوم المدينة رجل يزعم أنّه نبيّ؟ فقال له سلمان: أقم في الغنم حتّى آتيك. فهبط سلمان إلى المدينة، فنظر إلى النبي ﷺ ودار حوله، فلما رآه النبي ﷺ عرف ما يريد، فأرسل ثوبه، حتّى خرج خاتمه، فلما رآه أتاه وكلمه، ثم انطلق، فاشترى بدينار بيعه شاة وببعضه خبزاً، ثم أتاه به، فقال: «ما هذا؟» قال سلمان: هذه صدقة قال: «لا حاجة لي بها فأخرجها فليأكلها المسلمون». ثم انطلق فاشترى بدينار آخر خبزاً ولحماً، فأتى به النبي ﷺ، فقال: «ما هذا؟» قال: هذه هدية، قال: «فاقعد» فقع فأكلا جميعاً منها. فيينا هو يحدثه إذ ذكر أصحابه، فأخبره خبرهم، فقال: كانوا يصومون ويصلون ويؤمنون بك، ويشهدون أنّك ستبعث نبياً؛ فلما فرغ سلمان من ثنائه عليهم قال له نبيّ الله ﷺ: «يا سلمان هُم من أهل النار». فاشتدّ ذلك على سلمان، وقد كان قال له سلمان: لو أدركوك صدّقوك واتبعوك، فأنزل الله هذه الآية: «إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيْنَ مِنْ ءَامَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ».

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ (٢).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِشَاءِ يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ مِثْقَاتِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٤﴾

مضافاً الى وجود التغاير في الفاظ الآيات فما كُتِرَ منها انما هو لاجل بيان بعض جوانب قصتهم.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٥﴾
﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَآئِهِمْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦﴾

تكرار مفهوم واحد فيها لبيان جوانب مختلفة للقصة الواحدة.

﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا

١- سورة البقرة، آية ٦٣.

٢- تفسير جامع البيان، ج ١، ص ٢٥٤.

٣- سورة البقرة، آية ٩٣.

٤- سورة النساء، آية ١٥٤.

٥- سورة البقرة، آية ٦٥.

٦- سورة الأعراف، آية ١٦٦.

٧- سورة البقرة، آية ٨٠.

ان اليهود سمّوا انفسهم ابناء الله ويعتقدون بأنهم شعب الله المختار وسائر الناس خدم لهم، ويزعمون بأن لهم حصانة خاصة فلا يعاقبون يوم القيمة إلا أياماً قليلة معدودة ويتمتعوا بعدها بالجنة التي هيأها الله تعالى لهم فحسب دون غيرهم. فالله تعالى في الآية الأولى قد أشار الى علة تحريفهم لكلام الله ونفاقهم وأنهم اميون وأنهم ينسبون كلامهم الى الله تعالى وأنهم المغرورون وكانوا يدعون بأن لهم فضلاً على سائر الناس.

وفي الآية الثانية أشار الله تعالى الى علة اعراضهم عن الحق المتمثل بالحكم الثابت للزناة وأشار الله تعالى الى السبب الذي دعاهم للعصيان وهو الممثل في الطبيعة العنصرية الحاكمة على سلوكهم.

قال الطبرسي في تفسيره:

«قال ابن عباس ومجاهد: قدم رسول الله ﷺ المدينة واليهود تزعم ان مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وأنما يعذب بكل الف سنة يوماً واحداً ثم ينقطع العذاب فأنزل هذه الآية، وقال أبو العالية وعكرمة وقتادة: هي أربعون يوماً لأنها عدد الايام التي عبدوا فيها العجل» (٢). وفي علة الأفراد والجمع في لفظة «معدودة» يمكن ان يقال جاءت الآية في سورة البقرة على نحو الاختصار، فالمناسب ان يأتي بهذه اللفظة مفردة، وجاءت الآية في سورة آل عمران على نحو التفصيل فالمناسب ان يأتي بهذه اللفظة بصيغة الجمع.

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْأَخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٣).

١- سورة آل عمران، آية ٢٤.

٢- تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٢٨٠.

٣- سورة البقرة، آيتي ٩٤ و ٩٥.

﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَزَعْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءَ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَتُّوا أَلْمُوتَ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١).

ففي سورة البقرة كان ا دعاء اليهود بأنهم سيدخلون الجنة قطعاً وأنها لهم لا لغيرهم
فاقتضى ان يكون الرد بلفظ مؤكّد فجاء بلفظة «لن» وأما في سورة الجمعة زعم هؤلاء
القوم بأن الجنة تختص بهم من دون اعتقادهم بذلك فجاءت الآية لنفي زعمهم بلفظة «لا».
ووجه آخر، ان اليهود يدعون دخولهم الجنة في الآخرة فجاء نفي اعتقادهم بلفظة
«لن» وهي من الحروف التي تفيد النفي الابدى، ولكن في سورة الجمعة يدعون أنهم
اولياء الله من دون الناس في حياتهم الدنيوية فجاء النفي بلفظة «لا» التي تدلّ على نفي
الحال.

وأما علّة تكرار هذه الآيات فهو لبيان وقاحة زعم اليهود بأنهم أمة فوق الأمم وأنهم
خلقوا من عنصر وحيد في نوعه وهم ابناء الله وخاصته فردّاً على هذه المزاعم الفاسدة
والاعتقادات الواهية في الأزمنة المتتالية جاءت الآيتان في سورة البقرة وهي على
حسب النزول سورة ٨٧ من القرآن وسورة الجمعة وهي على الترتيب ١٠٩.

﴿مَآيُودُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمَشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ
رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢).
﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٣).

الآيتان تكشفان عن حقد أهل الكتاب لجماعة المؤمنين، وتكشفان عن شمول الرحمة
الالهية لهم وان رحمته تختص لمن يشاء من عباده، والنعم الالهية من النبوة تختص من

١- سورة الجمعة، آية ٦.

٢- سورة البقرة، آية ١٠٥.

٣- سورة آل عمران، آية ٧٤.

عباده من يراه جديراً بها، ولكن نزولهما لسببين وهما:

روى ان بعض الصحابة يطلبون من رسول الله ﷺ عند تلاوة الآيات القرآنية أن يتمهل في حديثه حتى يستوعبوا ما يقوله وكانوا يستعملون لذلك لفظة «راعنا» اي امهلنا، واليهود قد حَرَفُوا هذه العبارة ويستعملونها بمعنى «اجعلنا رعاء» ويجعلونها وسيلة للسخرية، فنزلت الآية الأولى وكشف الله تعالى عن أساس هذا العمل وهو حقدهم النفسي الدفين.

وأما الآية الثانية فقد نزلت عند تواطئ اليهود ضد الإسلام، فبعض منهم تعاهدوا أن يصبحوا عند رسول الله ﷺ ويتظاهروا باعتناق الإسلام، ثم عند المساء يرتدون عن دينهم ويقولون ما رأينا في هذا النبي من صفاته وسلوكه ما يتطابق مع ما في كتبنا، فهذا تتزعزع عقيدة المسلمين فيه. فقد كشفت آية آل عمران عن هذه الخطة الهدامة.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَنِينٌ﴾ (١)

قد نزلت مثل هذه الآية مفهوماً آيات في سورة يونس، ٦٦؛ يوسف، ٢١؛ الاسراء، ١١١؛ الكهف، ٤؛ مريم، ٨٨، ٩١، ٩٢؛ الأنبياء، ٢٦؛ الفرقان، ٢؛ القصص، ٩؛ الزمر، ٤؛ الجن، ٣ وفي غير هذا من الآيات القرآنية قد نفى الله سبحانه عن نفسه ان يكون له ولد وقد مرّ البحث عن اهمية نفي الشرك وان الشرك ليس بمذهب واعتقاد بل هو تجاوز على الفطرة الالهية التي جبلت على الايمان بالله وحده لا شريك له، بالاضافة الى ما بين هذه الآيات من اختلاف في اسباب نزولها والالفاظ المستعملة فيها.

﴿... وَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١).

قد جاء هذا المفهوم في سورة آل عمران، ٤٧؛ مريم، ٣٥؛ يس، ٨٢؛ غافر، ٦٨ والمراد من الأمر «إذا قضى أمراً» وان كان مطلقاً ولكن كل امرٍ كان مناسباً لما قبله، ففي آية البقرة المراد منه تكوين السموات والأرض وفي آية آل عمران خلق عيسى عليه السلام من ام لم يمسه بشر، وقس على هذا بعد ملاحظة سياق هذه الآيات كلها.

﴿... وَلَئِن أَتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٢).

﴿... وَلَئِن أَتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣).
﴿... وَلَئِن أَتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ (٤).

فقد منع الله سبحانه رسوله ﷺ من اتباع اليهود والنصارى بعد العلم الذي حصل له ﷺ والهدف الاساسى من ذلك، ان يتنبه الناس كلهم الى عدم وجود تمييزٍ بينهم في اطار القوانين الالهية.

المراد من «الاهواء» في الآية الأولى ملة أهل الكتاب التي سميتوها الدين الالهى، والمراد منه في الثانية قولهم عند تغيير القبلة تعصبا لقبلتهم التي هي بيت المقدس، والمراد منه في الثالثة اقتراحهم على النبي ان يأتي بغير هذا القرآن وطمعهم لتبعية الرسول عن أحكامهم المنسوخة.

١- سورة البقرة، آية ١١٧.

٢- سورة البقرة، آية ١٢٠.

٣- سورة البقرة، آية ١٤٥.

٤- سورة الرعد، آية ٣٧.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ (١).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٢).

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٣).

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (٤).

شهادة الرسول على جميع الأمم وبشارته للمهتدين والانذار منه للعاصين هي المهام الأساسية للرسول ﷺ فقد نزلت هذه الآيات في كل موضع لبيان الموقف المتشدد من طلبات المعاندين، ففي البقرة طلب الجاهلون منه ﷺ ان يكلمهم الله أو تنزل عليهم آية، وفي الأحزاب جاءت الآية بعد قضيه زواج النبي ﷺ بمطلقة «زيد بن حارثة» ردًا للعرف الجاهلي، وفي سورة فاطر جاءت الآية بعد قلق النبي ﷺ من عدم ايمان المعاندين الذين هم كالمتوفى في القبور، وفي الفتح جاءت الآية بعد انتقاد بعض عمّا وقع في الحديبية انتقاداً لاذعاً، فالله تعالى عظم نبيه وايد رسوله.

﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٥).

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (٦).

١- سورة البقرة، آية ١١٩.

٢- سورة الأحزاب، آية ٤٥.

٣- سورة فاطر، آية ٢٤.

٤- سورة الفتح، آية ٨.

٥- سورة البقرة، آية ١٢٩.

٦- سورة البقرة، آية ١٥١.

«لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» (١).

«هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» (٢).

إنَّ العبارتين «يتلوا» «يعلمهم» ليس من التكرار لما من الفرق بين التلاوة والتعليم.
قال صاحب مجمع البيان:

«هذا لا يعد من التكرار لأنه خصَّ الأول بالتلاوة ليعلموا بذلك أنه معجز دال على صدقة ونبوته، وخصَّ الثاني بالتعليم ليعرفوا ما يتضمنه من التوحيد وادلته وما يشتمل عليه من أحكام شريعته» (٣).

أما تقدّم التزكية على التعليم في ثلاث من الآيات لأهميتها وتقدم التعليم في الآية الواحدة لمطابقة السير الطبيعي فإذا لم يحصل التعليم لا يمكن أن تحصل التزكية والتزكية متوفقة على التعليم أولاً.

أما قضية تكرار المفهوم الواحد في أربع آيات، فالآية الأولى، هو دعاء إبراهيم عليه السلام وابنه وتضرعهما إلى رب العالمين عند ما رفع إبراهيم القواعد من البيت، والآية الثانية هي أخبار الله سبحانه عن النعمة التي حلّت بالمسلمين ببركة وجود النبي الخاتم ﷺ، والآية الثالثة نزلت بعد عدّة آيات كانت تتحدث عن واقعة أحد للجاجة على الذين تسرب اليأس إلى نفوسهم بعد أن منى المسلمون بهزيمة ساحقة على أيدي المشركين، والآية الرابعة نزلت بعد الحديث عن توحيد الله تعالى، أخذت في الحديث عن بعثة

١- سورة آل عمران، آية ١٦٤.

٢- سورة الجمعة، آية ٢.

٣- تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٣٩٤.

الرسول الأكرم والأهداف المتوخاة منها.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ (١).

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٢).

اشار في سورة البقرة الى «واد غير ذى ذرع» بينما ان المراد من «البلد» في سورة ابراهيم وهو بلفظ المعرفة بيت الله الحرام بعد بنائه، فعلى هذا قد اختلف زمن الدعاء وذكرهما ليس بتكرار.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣).

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤).

قال صاحب الميزان:

«وتكرار الآية مرتين لكونهم يفرطون في هذه المحاجة التي لاتنفع لحالهم شيئاً وخصوصاً مع علمهم بأن إبراهيم كان قبل اليهودية والنصرانية» (٥).

هذا الكلام من العلامة بمنزلة قبول التكرار وقد عرفت ما فيه من الإشكال.

قال الطبرسي في وجه تكراره:

١- سورة البقرة، آية ١٢٦.

٢- سورة إبراهيم، آية ٣٥.

٣- سورة البقرة، آية ١٣٤.

٤- سورة البقرة، آية ١٤١.

٥- تفسير الميزان، ج ١، ص ٣٠٩.

«قيل في وجه تكراره: أنه عنى بالأوّل إبراهيم ومن ذكر معه من الأنبياء، وبالثاني اسلاف اليهود، وقيل أنه اذا اختلف الاوقات والمواطن لم يكن التكرير معيباً» (١).

والذي نراه هو الوجه الثاني فقد جاء في تفسير روض الجنان لأبي الفتوح:
«أنه ورد في سبب نزول الآية الأولى أن جمع من اليهود يعتقدون أن يعقوب عندما حضرته الوفاة اوصى بنيه ان يعتقدوا بدينهم فانزل الله تعالى «تلك امة...» (٢).

وما نستفيدة من الآية الثانية هو أن اليهود والنصارى يزعمون أن الأنبياء الذين سبقوا موسى وعيسى ﷺ من إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب، كانوا على دين اليهودية والنصرانية فرداً على زعمهم قال سبحانه وتعالى: تلك امة...

﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٣).

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٤).

جاء في آية البقرة «انزل الينا» وفي آل عمران «انزل علينا» لأن الخطاب في البقرة لجميع المخاطبين بلفظة «قولوا» وجاءت كلمة «الينا» وهي لانتهاى الغاية لجميع الجهات الست، فالقرآن نزل على النبي أولاً لكي يبلغه الى الناس كافة، والخطاب في آل عمران

١- تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٤١٢.

٢- تفسير روض الجنان وروح الجنان، ج ٢، ص ١٨٠.

٣- سورة البقرة، آية ١٣٦.

٤- سورة آل عمران، آية ٨٤.

للنبي ﷺ وهو المنزل عليه حقيقة فأمر الله أن يقول من جانب نفسه وإن يقول عن أمته
«أما بالله...».

وأما الآية الاولى نزلت عقيب الجدل الذي دار بين اليهود والنصارى فرزعت كل من
اليهود والنصارى ان انبيائهم افضل الانبياء وكتبهم افضل الكتب.

والآية الثانية امر الله تعالى رسوله والمؤمنين بأن يؤمنوا بالأنبياء السابقين وشرائعهم
فضلاً عن ايمانهم بالنبي الخاتم والقرآن العزيز.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ
شَهِيدًا...﴾ (١)

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٢)
﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى
هَؤُلَاءِ...﴾ (٣).

﴿... وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ...﴾ (٤).
قد اختلف تفسير هذه الآيات باختلاف عباراتها، ف قيل كل نبي مادام موجوداً في أمته
كان شاهداً على اعمالهم، فالنبي الخاتم ﷺ كان شاهداً على المسلمين فحسب، وقيل ان
رسول الله كان شهيداً على شهداء الأمم السابقة، فكل نبي شاهد على اعمال أمته ورسول
الله ﷺ يكون شاهداً على أمته وعلى جميع الأمم السالفة، وقيل ان المقصود بـ«هؤلاء»
المسلمون الذين يعيشون في عصر نزول الآية، وقيل هذه الآيات تدل على وجود امام

١- سورة البقرة، آية ١٤٣.

٢- سورة النساء، آية ٤١.

٣- سورة النحل، آية ٨٩.

٤- سورة الحج، آية ٧٨.

معصوم في كل زمن حتى يكون شاهداً على جميع الناس أو شاهداً لأعمال المسلمين
فحسب.

﴿... قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾^(١).
﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا
اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ
وَأَخْشَوْنِي وَلَا تَمْنُوا بِنِغْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٣).

قال صاحب مجمع البيان:

«وقيل في تكراره وجوه، أحدها: أنه لما كان فرضاً نسخ ما قبله، كان من موضع التأكيد
والتبيين ينصرف الخلق إلى الحال الثانية من الحال الأولى على يقين، وثانيها: أنه مقدم لما
يأتي بعده ويتصل به، فأشبهه الاسم الذي تكرر ليخبر عنه بأخبار كثيرة كما يقال: زيد
كريم، زيد عالم، زيد فاضل، وما أشبه ذلك مما يذكر لتعليق الفائدة به، وثالثها: أنه في
الأول بيان لحال الحضر وفي الثاني بيان لحال السفر»^(٤).

وقد قال بعد تكرار الآية الثالثة:

«وقيل في تكراره وجوه، أحدها: أنه لاختلاف المعنى وإن اتفق اللفظ، لأن المراد

١- سورة البقرة، آية ١٤٤.

٢- سورة البقرة، آية ١٤٩.

٣- سورة البقرة، آية ١٥٠.

٤- تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٤٢٩.

بالأول «ومن حيث خرجت» منصرفاً عن التوجه الى بيت المقدس «فول وجهك شطر المسجد الحرام» والمراد بالثاني أين ما كنت من البلاد، فتوجه نحوه من كل جهات الكعبة وسائر الاقطار، وثانيها: أنه من مواضع التأكيد لما جرى من النسخ ليثبت في القلوب، وثالثها: أنه لاختلاف المواطن والاوقات التي تحتاج الى هذا المعنى فيها» (١).

وقال الطباطبائي في سبب تكرار الآية الثالثة:

«تكرار الجملة الأولى بلفظها لعلّ للدلالة على ثبوت حكمها على اي حال، فهو كقول القائل: اتق الله اذا قمت، واتق الله اذا قعدت، واتق الله اذا نطقت، واتق الله اذا سكنت، يريد التزام التقوى عند كل واحدة من هذه الأحوال ولتكن معك» (٢).

وذكر الرازي في تفسيره بياناً جامعاً ووجوهاً مختلفة لا تخلو من لطف نقلها وقد كان ثانيها احسنها.

«أعلم أن أول ما في هذه الآية من البحث أن الله تعالى قال قبل هذه الآيات «قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما تعملون» وذكر ههنا ثانياً قوله تعالى «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون» ثم ذكر ثالثاً قوله «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة» فهل في هذا التكرار فائدة أم لا؟ وللعلماء فيه أقوال «أحدها» أن الأحوال ثلاثة «اولها» أن يكون الإنسان في المسجد الحرام «وثانيها» أن يخرج عن

١- تفسير مجمع البيان، ج ١، ص ٤٣١.

٢- تفسير الميزان، ج ١، ص ٣٢٣.

المسجد الحرام ويكون في البلد «وثالثها» أن يخرج عن البلد إلى أقطار الأرض، فالآية الأولى محمولة على الحالة الأولى، والثانية على الثانية، والثالثة على الثالثة، لأنّه قد كان يتوهم أن للقرب حرمة لا تثبت فيها للعبد، فلأجل إزالة هذا الوهم كرر الله تعالى هذه الآيات.

(والجواب الثاني) أنّه سبحانه إنّما أعاد ذلك ثلاث مرّات لأنّه علق بها كلّ مرّة فائدة زائدة أما في المرة الأولى فبين أن أهل الكتاب يعلمون أن أمر نبوة محمد ﷺ وأمر هذه القبلة حقّ، لأنّهم شاهدوا ذلك في التوراة والإنجيل، وأما في المرة الثانية فبين أنّ الله تعالى يشهد أن ذلك حقّ، وشهادة الله بكونه حقاً مغايرة لعلم أهل الكتاب بكونه حقاً، وأما في المرة الثالثة فبين أنّه إنّما فعل ذلك لئلا يكون للنّاس عليكم حجة، فلما اختلفت هذه الفوائد حسنت إعادتها لأجل أن يترتب في كلّ واحدة من المرات واحدة من هذه الفوائد، ونظيره قوله تعالى «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثمّ يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم ممّا كتبت أيديهم وويل لهم ممّا يكسبون».

(والجواب الثالث) أنّه تعالى قال في الآية الأولى (فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) فكان ربما يخطر ببال جاهل أنّه تعالى إنّما فعل ذلك طلباً لرضا محمد ﷺ لأنّه قال «فلنولينك قبلة ترضاها» فأزال الله تعالى هذا الوهم الفاسد بقوله «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنّه للحقّ من ربّك» أي نحن ما حولناك إلى هذه القبلة بمجرد رضاك، بل لأجل أن هذا التحويل هو الحقّ الذي لا محيد عنه فاستقبالها ليس لأجل الهوى والميل كقبلة اليهود المنسوخة التي إنّما يقيمون عليها بمجرد الهوى والميل، ثمّ أنّه تعالى قال ثالثاً «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره» والمراد دوموا على هذه القبلة في جميع الأزمنة والأوقات، ولا تولوا فيصير ذلك التولي سبباً

للطعن في دينكم، والحاصل أن الآية السالفة أمر بالدوام في جميع الأمكنة والثانية أمر بالدوام في جميع الأزمنة والأمكنة، والثالثة أمر بالدوام في جميع الأزمنة وإشعار بأن هذا لا يصير منسوخاً البتة.

(والجواب الرابع) أن الأمر الأول مقرون بإكرامه إياهم بالقبلة التي كانوا يحبونها وهي قبله أبيهم إبراهيم عليه السلام والثاني مقرون بقوله تعالى «ولكل وجهة هو موليها» أي لكل صاحب دعوة وملة قبله يتوجه إليها فتوجهوا أنتم إلى أشرف الجهات التي يعلم الله تعالى أنها حقّ وذلك هو قوله «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وأنه للحقّ من ربّك» والثالث مقرون بقطع الله تعالى حجة من خاصمه من اليهود في أمر القبلة فكانت هذه عللاً ثلاثاً قرن بكل واحدة منها أمر بالتزام القبلة نظيره أن يقال: ألزم هذه القبلة فإنّها القبلة التي كنت تهواها، ثمّ يقال ألزم هذه القبلة فإنّها قبله الحقّ لا قبله الهوى وهو قوله «وأنّه للحقّ من ربّك» ثمّ يقال ألزم هذه القبلة فإنّ في لزومك إياها انقطاع حجج اليهود عنك، وهذا التكرار في هذا الموضع كالتكرار في قوله تعالى (فبأي آلاء ربّكما تكذبان) وكذلك ما كرر في قوله تعالى «إنّ في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين».

(والجواب الخامس) إنّ هذه الواقعة أوّل الوقائع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا، فدعت الحاجة الى التكرار لأجل التأكيد والتقرير وإزالة الشبهة وإيضاح البينات» ^(١).

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْهَرِينَ﴾ ^(٢).

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُنْهَرِينَ﴾ ^(٣).

الآية الأولى نزلت عقب الآيات التي تتحدث عن القبلة، فأراد الله تعالى تثبيت قلب

١- تفسير الكبير، ج ٤، ص ١٥٢.

٢- سورة البقرة، آية ١٤٧.

٣- سورة آل عمران، آية ٦٠.

نبيه ﷺ امام الهجمة الاعلامية المضادة التي تقودها الدوائر المعادية له ﷺ فأكد القرآن بأنه ﷺ على ارتباط وثيق بالسماء، والآية الثانية نزلت عقيب خلقه عيسى عليه السلام وتؤكد ما جاء في القرآن بشأنه وأنه خلق كما خلق جده آدم عليه السلام، وهذه اي ولادته من غير أب أمر حقيقي لا يتطرق اليه الشك.

﴿... فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي...﴾ (١).

﴿... فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي...﴾ (٢).

﴿... فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي...﴾ (٣).

كل آية جاءت بعد ان سبقتها قضايا متميزة كقضية تغيير القبلة وما وقع في غدير خم وانكار اليهود وعلماهم الحق.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٤).

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (٥).

نزلت آية البقرة في بدر عندما قتل من المسلمين اربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار وقد اختلف في سبب نزول الثانية ف قيل نزلت في شهداء بدر أو أحد أو كلاهما، وقيل نزلت في شهداء بئر معونة.

قال الرازي في تفسيره الكبير بشأن آية آل عمران أنها واردة في شهداء بدر وأحد، لأن في وقت نزول هذه الآية لم يكن أحد من الشهداء إلا من قتل في هذين اليومين

١- سورة البقرة، آية ١٥٠.

٢- سورة المائدة، آية ٣.

٣- سورة المائدة، آية ٤٤.

٤- سورة البقرة، آية ١٥٤.

٥- سورة آل عمران، آية ١٦٩.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (٢)

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٤).

قيل في شأن نزول الآية الاولى: ان جماعة من الأنصار سألوا نفرًا من اليهود عما في التوراة من صفات النبي ﷺ فكتموا ما في التوراة فنزلت هذه الآية.

وقيل في سبب نزول الثانية: أنها نزلت في رؤساء اليهود من كعب بن الأشرف وكعب بن أسد ومالك بن الصيف وحتي بن اخطب وأبي ياسر بن اخطب، فهم يأخذون الهدايا من اتباعهم، فلما بعث النبي ﷺ خافوا انقطاع تلك الهدايا، فكتموا أمر محمد ﷺ وشريعته في التوراة.

وقيل في سبب نزول الثالثة: ما قيل في الثانية أو أنها نزلت في الأشعث بن قيس وخصم له في الأرض، اختصما الى رسول الله ﷺ فلما لم يكن للرجل بينة، همّ الأشعث باليمين، فأنزل الآية، فنكل الأشعث واعترف بالحق وردّ الأرض الى الحضم.

١- أنظر الى تفسير الكبير، ج ٩، ص ٩١.

٢- سورة البقرة، آية ١٥٩.

٣- سورة البقرة، آية ١٧٤.

٤- سورة آل عمران، آية ٧٧.

وقيل غير هذا.

وبعد الدقة في الآيات التي جاءت قبل هذه الآيات وبعدها، نعرف وجوهاً واسراراً لسبب تكرارها، ففي بدأ النظر نعرف أن الآية الأولى كلام مستأنف يتناول كل من كتم شيئاً من الدين، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوصية السبب، ولأن ترتب الحكم على الوصف مشعر بالعلية، وهنا ترتب اللعن على الكتمان، يشعر بأن الوصف علة لهذا الحكم.

والآية الثانية نزلت في ضمن آيات عديدة في وصف أهل الكتاب وأنهم من جهة يحرمون ما أحل الله لهم ومن جهة يكتمون ما أنزل سبحانه عليهم.

والآية الثالثة كانت بعد خيانة بعض أهل الكتاب لأموال الناس «ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده إليك...» فإله تعالى بين في هذه الآية نقصهم بمهده الله.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (١).

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ (٢).

الآية الأولى في الكفار الذين كفروا وماتوا وهم كفار، والثانية في قوم ارتدوا وكفروا بعد ايمانهم.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَضَرِيفِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣).

١- سورة البقرة، آية ١٦٢.

٢- سورة آل عمران، آية ٨٨.

٣- سورة البقرة، آية ١٦٤.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١).

﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ (٢).

﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ مِنَ بَغْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٣).

هذه الآيات نزلت لبيان مظاهر النظم والانسجام في المنظومة الكونية الرائعة الموجود فيها رغم مرور آلاف السنين. ودليل تام لإثبات الصانع، وإن السموات والأرض آية بل كل ما فيهما آية بحد ذاته.

هذا مضافاً إلى أن في كل واحد من هذه الآيات، إشارة لأمر لا نجدها في الآية الأخرى.

مع أن السبب لنزول هذه الآيات مختلف، فكل آية نزلت لمناسبة خاصة، تنسجم مع ما سبقها وما لحق بها فقد قال «عطاء بن رباح» في شأن آية آل عمران:

قلت لعائشة: أخبريني بأعجب ما رأيت من رسو الله ﷺ. قالت: وأى شأن لم يكن عجباً، أنه أتاني ليلة فدخل معي في لحافى ثم قال: ذرينى أتعبد لربى، فقام فتوضأ ثم قام يصلى فبكى، حتى سألت دموعه على صدره، فركع فبكى، ثم سجد فبكى، ثم رفع رأسه فبكى، فلم يزل كذلك حتى جاء بلال، فأذنه بصلاة، فقلت يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا اكون عبداً شكوراً، ولم لا أفعل وقد أنزل

١- سورة آل عمران، آية ١٩٠.

٢- سورة يونس، آية ٦.

٣- سورة العنكبوت، آية ٦٣.

على هذه الليلة «ان في خلق...» (١).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوًا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٢).

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٣).

﴿وَمِنَ الْأَنْعَمِ حَمَلَةٌ وَفَرَسًا كُلُّوًا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٤).

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٥).

نهى الله تعالى عن اتباع الخطوات الشيطانية والمراد من الخطوة في كل آية غير ما في الأخرى بملاحظة السياق.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءِآبَاؤُهُمْ لَا يَفْقَهُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٦).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ

١- تفسير الأمل، ج ٣، ص ٤٥.

٢- سورة البقرة، آية ١٦٨.

٣- سورة البقرة، آية ٢٠٨.

٤- سورة الأنعام، آية ١٤٢.

٥- سورة النور، آية ٢١.

٦- سورة البقرة، آية ١٧٠.

ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَغْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ» (١).

«وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ» (٢).

بعد ما كان في كل آية من الاختلاف في الالفاظ والمعاني نقول، الآية الأولى تشير الى مقولة المشركين الواهية في تحريم ما احل الله، فهم الذين اذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان ولا تحرموا ما احل الله لعباده، «قالوا بل نتبع...».

والآية الثانية تشير الى أعراف خرافية سائدة في الجاهلية وأنهم يضعون على بعض الحيوانات علامات لأسباب معينة ويحرمون لحومها ولبنها وجز صوفها والركوب عليها أو يحللون لحومها بعد موتها للتيمن والتبرك، فاذا قيل لهم تعالوا ولا تفعلوا هذه الأعمال الخرافية، «قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا...» وتفاخروا باجدادهم وقَدَّسُوا أفكارهم.

والآية الثالثة تشير الى ان المشركين لا يتدبرون في التسخير الالهى للموجودات السماوية والأرضية للإنسان ولا يتفكرون في نعم الله تعالى الظاهرة والباطنة ولكن يجادلون في الله بغير علم ذاتي وبلا اتباع لمرشد هادي وبلا كتاب منير، فهم يصرّون على تقليد آباءهم في اعمالهم الباطلة.

«إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» (٣).

«حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّيتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ

١- سورة المائدة، آية ١٠٤.

٢- سورة لقمان، آية ٢١.

٣- سورة البقرة، آية ١٧٣.

تَسْتَفْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَٰلِكُمْ فَنَسُقُ...» (١).

﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا
مُسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ
وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ
بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣).

تقديم «به» على «لغير الله» في سورة البقرة على الأصل، لأنَّ الباء التي يتعدي بها
الفعل كالهزمة المزيدة في بناء الفعل فيلزم تقديم هذه الباء، ولكن بما أنَّ الالهلال بالمذبح
لا يستنكر الا إذا كان لغير الله، فتأخَّر في الثلاثة الأخيرة لان تقديم المستنكر كان اولي،
وامَّا وجه تكرار الآية في أربع مواضع من القرآن فقال صاحب الميزان فيه:

«والآية بمعناها على اختلاف ما في لفظها واقعة في أربع مواضع من القرآن في سورتي
الأنعام والنحل وهما مكيتان من أوائل ما نزل بمكة وأواخرها، وفي سورتي البقرة
والمائدة وهما من أوائل ما نزل بالمدينة وأواخرها. وهي تدلُّ على حصر محرمات الأكل
في الأربع المذكورة، الميتة والدَّم ولحم الخنزير وما أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، كما تَبَّه عليه بعضهم،
لكن بالرجوع الى السنة يظهر أنَّ هذه هي المحرمات الأصلية التي عني بها في الكتاب وما
سوى هذه الأربع من المحرمات ممَّا حرَّمه النبي ﷺ بأمر من ربه» (٤).

وقال الرازي في تفسيره:

١- سورة المائدة، آية ٣.

٢- سورة الأنعام، آية ١٤٥.

٣- سورة النحل، آية ١١٥.

٤- تفسير الميزان، ج ١٢، ص ٣٦٥.

فثبت أنّ هذه السور الأربعة دالة على حصر المحرمات في هذه الأربع، سورتان مكيتان وسورتان مدنيتان، فإن سورة البقرة مدنية وسورة المائدة من آخر ما أنزل الله تعالى بالمدينة، فمن أنكر حصر التحريم في هذه الأربع إلا ما خصه الاجماع والدلائل القاطعة كان في محل أنّ يخشى عليه، لأنّ هذه السورة دلّت على أنّ حصر المحرمات في هذه الأربع كان شرعاً ثابتاً في أول أمر مكة وآخرها وأول المدينة وآخرها وأنه تعالى أعاد هذا البيان في هذه السور الأربع، قطعاً للاعذار وإزالة للشبهة والله اعلم» (١).

هذا مع أنّ آية البقرة والأنعام والنحل نزلن في ضمن محاجة أهل الكتاب ببيان مواضع مختلفة للمحاجة وآية المائدة نزلت لبيان حكم تشريعي فحسب.

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

﴿... وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣).

قال الرازي في سبب تكرار حكم المسافر والمريض:

«أنّ في الابتداء كان صوم شهر رمضان ليس بواجب معين، بل كان التخيير ثابتاً بينه وبين الفدية، فلما كان كذلك ورخص للمسافر الفطر كان من الجائز أنّ يظن أنّ الواجب عليه الفدية دون القضاء، ويجوز أيضاً أنّه لا فدية عليه ولا قضاء لمكان المشقة التي

١- تفسير الكبير، ج ٢٠، ص ١٣٣.

٢- سورة البقرة، آية ١٨٤.

٣- سورة البقرة، آية ١٨٥.

يفارق بها المقيم، فلما لم يكن ذلك بعيداً بين تعالى أن افطار المسافر والمريض في الحكم خلاف التخيير في حكم المقيم، فإنه يجب عليهما القضاء في عدة من أيام آخر، فلما نسخ الله تعالى ذلك عن المقيم الصحيح والزمه بالصوم حتماً كان من الجائز أن يظن أن حكم الصوم لما انتقل عن التخيير إلى التضييق حكم يعم الكل حتى يكون المريض والمسافر فيه بمنزلة المقيم الصحيح من حيث تغير حكم الله في الصوم، فبين تعالى أن حال المريض والمسافر ثابت في رخصة الافطار ووجوب القضاء كما لها أولاً، فهذا هو الفائدة في إعادة ذكر حكم المسافر والمريض» (١).

وقيل أن سبب تكرار حكم المسافر والمريض في هذه الآية كراهية المؤمنين المسافرين والمرضى أن لا يصوموا أيام شهر رمضان، فالله تعالى أراد بتكرار الحكم حتى يقول: كما أن الصوم في الحضر وفي حال السلامة كان واجباً فالافطار في حال السفر والمرض كان حكماً شرعياً.

﴿... تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (٢).

﴿... تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣).

﴿... وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٤).

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

١- تفسير الكبير، ج ٥، ص ٧٩.

٢- سورة البقرة، آية ١٨٧.

٣- سورة البقرة، آية ٢٢٩.

٤- سورة البقرة، آية ٢٣٠.

خَلِيدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ» (١).

«... وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَذَرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا» (٢).

هذا المقاطع في الآيات هي الجزء الأخير لبعض الآيات القرآنية وفي كل آية إشارة الى بعض الحدود، فالأولى تشير الى حرمة الأكل والشرب من الفجر الى الليل في شهر رمضان ومباشرة النساء فيها وفي حال الاعتكاف، والثانية والثالثة والخامسة، تشير الى بعض الحدود المتعلقة بالطلاق، والرابعة تشير الى بعض الحدود المتعلقة بالإرث.

وأما ما في الاختلاف في الآيتين الأوليين «فلا تقربوها» «فلا تعتدوها» فيمكن ان يقال: انّ المراد من الحدّ في الآية الأولى النهي عن مباشرة النساء ويناسبها النهي عن المقاربة والمراد من الحدّ في الثانية عدد الطلاق ولزوم الأمسك بالمعروف أو التسريح بإحسان، ويناسبها النهي عن التجاوز والاعتداء.

قال الخطيب الاسكافي في كتابه درة التنزيل:

«الأوّل خرج على اغلظ الوعيد كما قال: «ولا تقربا هذه الشجرة» وأنما كان نهى عن أكلها لا الدنو منها، فخرج مخرج قول القائل: إذا نهى عن شئ وشدّد الأمر فيه، لا تقرب هذا الشئ... فلما كانت حاله هذه الموضع الأوّل نهياً عن موقعة النساء في حالة الإعتكاف في المساجد، صار فيه تحذير من دواعي الموقعة، فافتضى من المبالغة ما لم يقتضه قوله «فلا جناح عليها فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها» فكانه قال: لا تتجاوزوها، يعني المرثة إذا افتدت لمهرها وخالعت زوجها لم يكن عليها اثم، وهذه

١- سورة النساء، آية ١٣.

٢- سورة الطلاق، آية ١.

حدود نهى عن تعديتها... والحدود ضربان حدّ هو منع من ارتكاب المحظور وحدّ هو فاصل بين الحلال والحرام، فالأول ينهى عن مقاربتة والثاني ينهى عن مجاوزته، وهما المذكوران في هذه السورة وحدّ النهي عنهما» (١).

﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ فَاعْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (٢).

﴿... فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٣).

﴿... وَيَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَنًا مُّبِينًا﴾ (٤).

﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٥).

الآية الأولى اجازت للمسلمين بأن يقاتلوا كفار مكة الذين اخرجوا المؤمنين من ديارهم، والثانية نزلت في المنافقين وهم اسوء حالا من الكفار لشدة انحرافهم ولا تخاذهم الإسلام غطاء يستترون به بغية هدم الاسلام، والآية الثالثة نزلت في نفر من

١- درة التنزيل وغرة التأويل، ص ٤٥.

٢- سورة البقرة، آية ١٩١.

٣- سورة النساء، آية ٨٩.

٤- سورة النساء، آية ٩١.

٥- سورة التوبة، آية ٥.

قريش كانوا يتظاهرون بالإسلام في محضر رسول الله ﷺ ولكنهم يعبدون الأصنام عند ما يرجعون الى قريش، والآية الرابعة نزلت في المشركين بعد ان امهلهم الله أربعة أشهر.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (١).

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ آنَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢).

الآية الأولى قد بينت هدف الجهاد في الإسلام وانها نزلت بعد اقدام مشركى قريش على تشهير السلاح بوجه المسلمين كما أنهم اخرجوا المسلمين من بلادهم وهم الذين يقعون في الفتنة والفتنة اشد من القتل.

والآية الثانية نزلت بعد آية في دعوة الكفار والمشركين الى الحق لكى يغفر الله ما قد سلف من ذنوبهم فان الإسلام يجب ما قبله.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣).

فيمكن ان يتوهم البعض ان الجهاد والقتال قد مضى وقته وحان وقت السلم والمغفرة فنزلت الآية التالية لكى ينذر اعداء الدين بعد ان بشرهم بغفران ذنوبهم.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (٤).

١- سورة البقرة، آية ١٩٣.

٢- سورة الأنفال، آية ٣٩.

٣- سورة الأنفال، آية ٣٨.

٤- سورة البقرة، آية ٢١٠.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ (١).

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٢).

هذه الآيات تتكلم عن بعض المشركين ولجأتهم، فهم اعلنوا عن اذعانهم بالإسلام إذا لبي رسول الله ﷺ طلباتهم المتعددة والمستحيلة وغير المعقولة، ولعل هذه الآيات تكررت بعد أن تكرر هذا الموقف الجدلي منهم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ (٣).

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤).

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٥).

١- سورة الأنعام، آية ١٥٨.

٢- سورة النحل، آية ٣٣.

٣- سورة البقرة، آية ٢١٤.

٤- سورة آل عمران، آية ١٤٢.

٥- سورة البرائة، آية ١٦.

﴿أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ (١).

فَالآيَةُ الْأُولَى خطاب للمؤمنين يوم الخندق لما اشتدَّ بهم الخوف وحوصر المسلمون في المدينة فدعاهم الله تعالى الى الصبر ووعدهم بالنصر وقيل نزلت في حرب أحد، والثانية نزلت في غزوة أحد وهي تخاطب الذين حلَّ بهم البلاء وانخنوا بالجراح، والثالثة نزلت في المجاهدين الَّذِينَ شاهدوا فتح مكَّة، وما قال بعض بأن الخطاب في هذه الآية للمخاطبين جميعاً ليس في محله بعد ملاحظة السياق، والرابعة لبيان سنة الله الجارية في افتتان عباده جميعاً وأنه لا يختص بالامم الماضية وغيرها ولا يختص بالمسلمين.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمِينِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٢).

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمِينِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْهُ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَرَةُ أَيْمِينِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣).

الآية الأولى جاءت قبل آيات الايلاء وحكمه والثانية نزلت مطلقة وفيها كفارة حنث القسم.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتُتَغَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا ءَايَتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا

١- سورة العنكبوت، آية ٢.

٢- سورة البقرة، آية ٢٢٥.

٣- سورة المائدة، آية ٨٩.

اللَّهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» (١).

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢).

إن الأمر في الآيتين يتعلق بتسريحهن وامساكنهن بمعروف، إلا أن الأمر بهما يشتمل أكثر في سورة البقرة، حيث اعتبر أن هذين العملين (التسريح أو الأمساك بغير معروف) بمثابة ظلم على النفس واستهزاء بآيات الله تعالى.

وجاء في سورة الطلاق بيان أحكام الطلاق والقضايا المرتبطة به فحسب.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٣).

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةٌ لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٤).

المراد من الآية الأولى في قوله تعالى «فلا جناح عليكم...» هو جواز التزويج بعد اتمام العدة فالمرثية بعد انتهاء عدتها وهي أربعة أشهر وعشراً يمكنها ان تتزوج من تشاء. والآية الثانية تدل على شئ آخر، مغاير وهو اختيار المرثية المتوفى زوجها بين بقائها

١- سورة البقرة، آية ٢٣١.

٢- سورة الطلاق، آية ٢.

٣- سورة البقرة، آية ٢٣٤.

٤- سورة البقرة، آية ٢٤٠.

في بيته وأخذ نفقتها مدة حول او خروجها وتزوجها في هذه المدة بعد اتمام عدتها ان ارادت.

والعجيب من الكرمانى حينما قال: النكرة إذا تكررت صارت معرفة» ثم اشكل على نفسه وقال «كيف يصح ما قلت والاول معرفة والثاني نكرة، وما ذهبت إليه يقتضي ضد هذه، بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾^(١) ثم أجاب بأن هذه الآية باجماع من المفسرين مقدمة على تلك الآية في النزول وان وقعت متأخرة في التلاوة... واجمعوا أيضاً على ان هذه الآية منسوخة بتلك الآية، والمنسوخ سابق عن الناسخ ضرورة، فصح ما ذكرت ان قوله بالمعروف، هو ما ذكر في قوله: من معروف، ثم أمر بتأمل في كلامه وقال بأنه من أحد وجوه الاعجاز في القرآن الكريم^(٢).

فهذا الكلام فيه وجوه للمناقشة، أولاً: ان مسألة النسخ ليست إجماعية بشكل تام كما تصور بل وقع فيها الخلاف بين المفسرين من السنة بعد ان عُرف من مذهب أهل البيت ان عدم النسخ هو القول المحكم.

ثانياً: ان النسخ خلاف الأصل والاختلاف بين الحكم والتلاوة في ترتيب الآيات لا يناسب شأن القرآن العظيم وان كان جائزاً. فلو كان نسخاً، فالأحسن ان يتقدم المنسوخ على الناسخ في التلاوة أيضاً.

ثالثاً: ان النسخ مبنى على ان نقول: ان خروج المرثة مدة سنة بعد وفات زوجها كان حقاً على المرثة وهو واجب ولكن الآية ليس بصدد هذا الشئ، بل ما نستفيده من الآية هو

١- سورة المزمل، آية ١٥.

٢- البرهان في توجيه متشابه القرآن، الرقم ٤٧.

جواز بقاء المرنّة في بيت زوجها مدّة حول بعد وفاته وإذا كان كذلك فتجب لها النفقة من مال زوجها.

﴿... إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (١).

﴿... إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٢).

﴿... ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣).

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٤).

﴿... إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٥).

كلّ عبارة وقعت بعد شئ تفيدنا معنى غير ما تفيده في الاخرى فالمراد من الفضل في كلّ آية نعمة تغاير الأخرى وكذا الشكر.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٦).

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (٧).

﴿إِنَّ الْمُصْذِقِينَ وَالْمُصْذِقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ

١- سورة البقرة، آية ٢٤٣.

٢- سورة يونس، آية ٦٠.

٣- سورة يوسف، آية ٣٨.

٤- سورة النمل، آية ٧٣.

٥- سورة الغافر، آية ٦١.

٦- سورة البقرة، آية ٢٤٥.

٧- سورة الحديد، آية ١١.

﴿إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُمْضِعْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (٢)
 ﴿إِنْ رَبِّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ
 مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْضُوهُ فِتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ
 الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ
 اللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
 الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَّحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ
 خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣).

ليس المراد من «القرض الحسن» منح العباد قرضا حسنا فحسب، بل المراد في كل آية من الآيات الخمسة الانفاق في سبيل الله تعالى.

قال جمال الدين المقداد:

هذه أربع آيات استدلل المعاصر بها على ارجحية القرض للمؤمن وإن فيه اجرا عظيماً وإن الله هو المكافئ عليه، إذ الحقيقة ممنوعة لاستحالة الحاجة عليه تعالى، فيحمل على اقراض عبيده، وعندى في ذلك نظر، فان اطلاق القرض الذي هو اعطاء شئ ليستعيد عوضه وقتا آخر استعارة للأعمال الصالحة، فان الأعمال الصالحة يفعلها العبد ويحصل له العوض في الدار الآخرة وحينئذ لا دلالة في الآية على مشروعية القرض، وقوله «إن الحقيقة ليست مرادة» مسلم لكن حمله على اقراض المؤمنين من غير دلالة حمل من غير دليل، ولا ضرورة اليه مع إمكان المجاز الذي ذكرناه.

١- سورة الحديد، آية ١٨.

٢- سورة التغابن، آية ١٧.

٣- سورة المزمل، آية ٢٠.

نعم وان كان في كلامه مجال للنقاش إلا ان تفسير القرض الحسن بكل الأعمال الصالحة جيد، وعليه فلا تتمحور الآيات حول شيء واحد بل تشمل كل الأعمال الصالحة فلا مبرر للقول بتكرار الآيات، هذا. ويوید ما قلنا: ما قال الطبرسي والرازي في تفسيرهما في سبب نزول آية البقرة، فقال الطبرسي في مجمع البيان:

«قال الكلبي في سبب نزول هذه الآية: ان النبي ﷺ قال: من تصدق بصدقة فله مثلها في الجنة، فقال أبو الدحداح الأنصاري واسمه عمر بن الدحداح: يا رسول الله ان لي حديقتين، ان تصدقت بإحدهما، فان لي مثليهما في الجنة؟ قال: نعم. قال: وام الدحداح معي؟ قال: نعم، قال: والصبيّة معي؟ قال: نعم، فتصدق بأفضل حديقتيه فدفعها الى رسول الله فنزلت الآية فضاعف الله له صدقته الف الف» (١).

وقال الفخر الرازي في تفسيره الكبير:

«اختلف المفسرون فيه على قولين، الاول ان الآية متعلقة بما قبلها والمراد منها القرض في الجهاد خاصة، والقول الثاني: ان هذا الكلام مبتدء لا تعلق له بما قبله، ثم القائلون بهذا القول اختلفوا فمنهم من قال: المراد من هذا القرض، انفاق المال (غير الواجب) ومنهم من قال انه غيره، والقائلون بانه انفاق المال، لهم ثلاثة أقوال، الاول ان المراد من الآية ما ليس بواجب من الصدقة.

ثم ذكر الفخر قولان آخران وهما، ان المراد من هذا القرض الانفاق الواجب في سبيل الله والآخر وقال هو الأقرب ان يدخل فيه كلا القسمين (٢).

﴿تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣).

١- تفسير مجمع البيان، ج ٢، ص ١٣٧.

٢- تفسير الكبير، ج ٦، ص ١٨٠.

٣- سورة البقرة، آية ٢٥٢.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١).
﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ
يُؤْمِنُونَ﴾ (٢).

تشير كل هذه الآيات لآية من آيات الله تعالى.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ
وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ
مِن بَعْدِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَّنْ كَفَرَ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (٣).

قال الواحدى فى وجه تكرار «ولو شاء الله ما اقتتل»

«انما كرهه تأكيداً للكلام وتكديباً لمن زعم أنهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم ولم يجربه
قضاء ولا قدر من الله تعالى» (٤).

ولكن عندى ان الثانية ليست لبيان المشيئة فحسب بل هى اشبه بالامر للمؤمنين
بالكف عن قتالهم.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَتًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٥).

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ

١- سورة آل عمران، آية ١٠٨.

٢- سورة الجاثية، آية ٦.

٣- سورة البقرة، آية ٢٥٣.

٤- تفسير الكبير، ج ٦، ص ٢٢٢.

٥- سورة البقرة، آية ٢٦٢.

وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (١).

اختلف في سبب النزول لهاتين الآيتين، ففي التفسير الكبير للرازي في ذيل الآية الأولى:

«نزلت الآية في عثمان وعبدالرحمن بن عوف، أما عثمان فجهز جيش العسرة في غزوة تبوك بألف بعير باقتابها وألف دينار، فرفع رسول الله يديه يقول: يا ربَّ عثمان رضيت عنه فارض عنه، وأما عبدالرحمن بن عوف فانه تصدَّق بنصف ماله أربعة آلاف دينار فنزلت الآية» (٢).

قد نقل العلامة الاميني رحمه الله هذا الحديث باسناده المختلفة وضعفها، وايضا نقل عن ابن حجر في فتح الباري ضعف سند بعضها بوجود سيف بن عمر وغيره من المجاهيل (٣). ثم قال في موضع من كتابه:

«وأنّا لم نجد في اعمال عثمان عملاً باراً يستدعى هذه المغالاة الخارجة عن اصول الاسلام، غير ما انفق على جيش العسرة ان صح من ذلك شيء... وقد علمت ان جيش العسرة انفق عليه غيره ما هو اكثر مما انفق هو» (٤).

وقال الرازي في سبب نزول الآية الثانية:

«في سبب النزول وجوه، الأول: لما نزل قوله تعالى: «للفقراء الذين احصروا في سبيل الله» بعث عبدالرحمن بن عوف الى أصحاب الصّفة بدنانير، وبعث على رضي الله عنه بسويق من تمر ليلاً، فكان احبّ الصدقتين الى الله تعالى صدقته، فنزلت هذه الآية فصدقة

١- سورة البقرة، آية ٢٧٤.

٢- تفسير الكبير، ج ٧، ص ٥١.

٣- الغدير، ج ٩، ص ٣٣٤.

٤- المصدر، ص ٣٣٧.

الليل كانت اكمل.

والثاني: قال ابن عباس: إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا كَانَ يَمْلِكُ غَيْرَ أَرْبَعَةِ دَرَاهِمٍ، فَتَصَدَّقَ بِدَرَاهِمٍ لَيْلاً وَبَدْرَهُمْ نَهَاراً وَبَدْرَهُمْ سَرّاً وَبَدْرَهُمْ عَلَانِيَةً، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ اسْتَوْجِبَ مَا وَعَدَنِي رَبِّي، فَقَالَ: لَكَ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، وَالثَّالِثُ: قَالَ صَاحِبُ الْكَشَافِ: نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ...» (١).

﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٢).

﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٣).

﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغُلَّ يَأْتِ بِمَا غُلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٤).

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٥).

وكذا في آيات أخرى

إِنَّ الْقُرْآنَ بَعْدَ بَيَانِ الْأَحْكَامِ الْفُرْعِيَّةِ وَالْحُدُودِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، يَطْرَحُ تَذْكَيراً عَاماً لِبَيَانِ أَهْمِيَّةِ الْحُكْمِ وَالْبَشَارَةِ لِمَنْ وَافَقَهَا وَالْإِنذَارِ لِمَنْ خَالَفَهَا وَمَا فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ.

١- تفسير الكبير، ج ٧، ص ٩١.

٢- سورة البقرة، آية ٢٨١.

٣- سورة آل عمران، آية ٢٥.

٤- سورة آل عمران، آية ١٦١.

٥- سورة النحل، آية ١١١.

فآية الأولى نزلت بعد بيان حرمة الربا، والثانية بعد بيان تحريفات أهل الكتاب، والثالثة بعد بيان أنه ليس للنبي ﷺ أن يغفل ويخون، والرابعة بعد بحثه عن المرتد وحكمه وهكذا...

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).
﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

الآية الاولى هي بيان كلى بأن الله تعالى يحاسب على الذنوب الباطنية كما يحاسب على الذنوب الظاهرية، والآية الثانية جاءت عقيب النهي عن مودة الكفار الآ في حالة التقية، فيمكن ان يتظاهر البعض في مودة الكفار تقيّةً فالآية تنهى عن مثل هذه التقية غير الصحيحة.

هذا مع انّ الابداء يقدّم على الاخفاء في الآية الأولى وذلك لأنّ الأصل في الأشياء ابدائها والاخفاء كان لعله، كما انّ تقدم الاخفاء في الآية الثانية لمناسبته بالعلم.
فقال صاحب الميزان:

«لما كان الانسب بحال العلم انّ يتعلق بالمخفي بخلاف الحساب، فإنّ الانسب له انّ يتعلق بالبادى الظاهر، قدم ذكر الاخفاء في هذه الآية على ذكر الابداء وجرى العكس منه في آية البقرة كما قيل»^(٣).

١- سورة البقرة، آية ٢٨٤.

٢- سورة آل عمران، آية ٢٩.

٣- تفسير الميزان، ج ٣، ص ١٧٩.

﴿... فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).

﴿... يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢).

﴿... يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (٣).

﴿... وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤).

﴿... يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٥).

إنَّ كُلَّ آيَةٍ تركز على موضوعات مختلفة، فإنَّ التكرار في المغفرة والعذاب وتعليقهما على «من يشاء» فهو لدفع ذنبين كبيرين وهما اليأس من روح الله والأمن من مكر الله تعالى.

نعم يمكن أن يقال في وجه تقدّم العذاب على المغفرة في الآية ٤٠ من سورة المائدة، أنّها جاءت بعد التحدث عن المغفرة، فقدّم العذاب على المغفرة حتّى يكون العذاب بين المغفرتين، وهذا بخلاف الآيات الأخرى.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ، وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ

١- سورة البقرة، آية ٢٨٤.

٢- سورة آل عمران، آية ١٢٩.

٣- سورة المائدة، آية ١٨.

٤- سورة المائدة، آية ٤٠.

٥- سورة الفتح، آية ١٤.

﴿... لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٢).

﴿... لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣)
 ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٤).
 ﴿... لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَسَنَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (٥).

إنَّ هذه الآيات تؤكد على التكليف الالهي التي تُراعى فيها طاقة الانسان ووسعه، نعم
 المراد من التكليف في كل آية غير ما يراد منه في الآيات الأخرى ويتجلى معنى كل
 تكليف من خلال سياق الآية.

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً وَيَحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (٦).
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَغْضُكُمْ أَوْلِيَاءُ بَغْضِ
 وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٧).
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ

١- سورة البقرة، آية ٢٨٦.

٢- سورة الأنعام، آية ١٥٢.

٣- سورة الأعراف، آية ٤٢.

٤- سورة المؤمنون، آية ٦٢.

٥- سورة الطلاق، آية ٧.

٦- سورة آل عمران، آية ٢٨.

٧- سورة مائدة، آية ٥١.

كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ (١)

قال صاحب الميزان في وجه تكرار النهي عن تولى الكفار:

«وقد تكرر ورود النهي في الآيات الكريمة عن تولى الكافرين واليهود والنصارى

واتخاذهم اولياء لكن موارد النهي مشتملة على ما يفسر معنى التولى المنهي عنه.

ويعرف كيفية الولاية المنهي عنها كاشتغال هذه الآية على قوله «من دون المؤمنين»

بعد قوله «لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء» واشتغال قوله تعالى: «يا ايها الذين آمنوا لا

تتخذوا اليهود والنصارى اولياء» على قوله «بعضهم اولياء بعض» وتعقب قوله تعالى «يا

ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء» بقوله «لا ينهاكم الله عن الذين لم

يقاتلوكم في الدين» الى آخر الآيات.

وعلى هذا فأخذ هذه الأوصاف في قوله «لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون

المؤمنين» للدلالة على سبب الحكم وعلته، وهو ان صفتي الكفر والايمان مع ما فيهما من

البعد والبيئونة ولا محالة يسرى ذلك الى من اتصف بهما، فيفرق بينهما في المعارف

والأخلاق وطريق السلوك الى الله تعالى وسائر شئون الحياة لا يلائم حالهما مع الولاية،

فان الولاية توجب الاتحاد والامتزاج وهاتان الصفتان توجبان التفرق والبيئونة، واذا

قويت الولاية، كما اذا كان من دون المؤمنين أوجب ذلك فساد خواص الايمان وآثاره ثم

فساد أصله، ولذلك عقبه بقوله «ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء» ثم عقبه أيضاً بقوله

«الآن تتقوا منهم تقية» فاستثنى التقية، فان التقية انما توجب صورة الولاية في الظاهر

دون حقيقتها (١).

﴿كَذَّابٍ ءَالٍ فِزْعُونَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٢).

﴿كَذَّابٍ ءَالٍ فِزْعُونَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٣).

﴿كَذَّابٍ ءَالٍ فِزْعُونَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِزْعُونَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (٤).

المراد من «فأخذهم الله بذنوبهم» هو هلاكهم وغرقهم كما جاء في الآية الأخيرة.
والمراد من التكذيب في سورة آل عمران هو كفرهم ويدل عليه ما في الآية الأولى من سورة الأنفال.

في سورة آل عمران جاءت الآية بعد آيات نزول الكتب السماوية بخلاف غيرها،
فينبغي الإشارة الى تكذيب الرسل.

ويمكن ان يقال ان آية آل عمران تشبه الكفار في زمن رسول الله ﷺ بالمعاندين في
زمن موسى عليه السلام والامم السالفة بأنهم لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئاً وفي
الآية الأولى من سورة الأنفال أنهم مثلهم في عذابهم يوم القيمة، وفي الآية الثانية منها، أنهم
مثلهم في طغيانهم وكفران نعمهم.

وقيل في وجه تكرار الآيتين الأخيرتين، ان الكلام الثاني يجرى مجرى التفصيل، لأن

١- تفسير الميزان، ج ٣، ص ١٧٥.

٢- سورة آل عمران، آية ١١.

٣- سورة الأنفال، آية ٥٢.

٤- سورة الأنفال، آية ٥٤.

الكلام الأول قد ذكر الله تعالى فيه أخذهم وفي الثاني ذكر اغراقهم.

وقيل إنّ المقصود من الأول، العقوبات النازلة بهم حين موتهم والمقصود من الثاني العقوبات النازلة بهم في البرزخ والقيمة.

وقيل إنّ في الكلام الأول من سورة الأنفال، أنّهم كفروا بآيات الله فإنّهم انكروا الدلائل الإلهية، وفي الكلام الثاني أنّهم كذبوا بآيات ربهم فإنّهم انكروا دلائل التربية والاحسان وكفران النعمة فيؤاخذهم الله تعالى للأوّل ويهلكهم ويغرقهم للثاني^(١).

قال الطبرسي في تفسيره مجمع البيان في وجه تكرار الأخيرتين:
«أما كرّر قوله «كذاب آل فرعون» لأنّه أراد بالأوّل بيان حالهم في استحقاق عذاب الآخرة وفي الثاني بيان استحقاقهم لعذاب الدنيا.

وقيل: إنّ في الأوّل تشبيه حالهم بحال أولئك في التكذيب، وفي الثاني تشبيه حالهم بحال أولئك في الاستئصال.

وقيل: إنّ الأوّل في أخذهم بالعذاب، والثاني في كيفية العذاب، وقيل: إنّ آل فرعون كانوا على أحوال مختلفة في المعصية، فبيّن مشاركة هؤلاء أيّاهم في تلك الأحوال»^(٢).
وقال صاحب الميزان:

«كرر التنظير السابق لمشابهة الغرض مع ما تقدم فقوله «كذاب آل فرعون» الخ السابق تنظير لقوله «ذلك بما قدّمت أيديكم وإنّ الله ليس بضالّام للعبيد» كما أنّ قوله «كذاب آل فرعون» إلى قوله «وكُلّ كانوا ظالمين» ثانياً تنظيرٌ لقوله: ذلك بأنّ الله لم يك مغيراً نعمة»^(٣).

١- انظر إلى تفسير الكبير، ج ١٥، ص ١٨٨.

٢- تفسير مجمع البيان، ج ٤، ص ٤٨٢.

٣- تفسير الميزان، ج ٩، ص ١٠٤.

قد نقل الكرمانى عن الخطيب كلاماً في سبب تكرار هذا المفهوم لا يوجد في نسخة الخطيب التي عندي، وهو:

«قد أجاب فيها بعض أهل النظر بأن قال: ذكر في الآية الأولى عقوبته إياهم عند الموت كما فعله بآل فرعون ومن قبلهم من الكفار، وذكر في الثانية ما يفعل بهم بعد الموت كما فعله بآل فرعون وما قبلهم، فلم يكن تكراراً».

ثم أضاف الكرمانى: «قال الخطيب والجواب عندي: إن الأول أخبار عن عذاب لم يمكن الله أحداً من فعله، وهو ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند نزع ارواحهم».

والثاني، أخبار عن عذاب مكن الناس من فعل مثله وهو الإهلاك والاغراق. وقال الكرمانى: «قلت وله وجهان آخران محتملان: أحدهما، كدأب آل فرعون فيما فعلوا، والثاني، كدأب آل فرعون فيما فعل بهم، فهم فاعلون على الأول ومفعولون في الثاني».

والوجه الآخر: إن المراد بالأول كفرهم بالله، وبالثاني تكذيبهم بالأنبياء، لأن تقدير الآية: كذبوا الرسل بردهم آيات الله (١).

﴿تُؤْتِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤْتِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٢).
﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمْ اللَّهُ فَأَنْتَى تُؤَفَّكُونَ﴾ (٣).

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ

١- البرهان في توجيه متشابهات القرآن، الرقم ١٦٣.

٢- سورة آل عمران، آية ٢٧.

٣- سورة الأنعام، آية ٩٥.

مِنَ اللَّيْتِ وَيُخْرِجُ اللَّيْتِ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿١﴾

ونحوها مثل آية ٦١ من سورة الحج، و ١٩ من سورة الروم و ٢٩ من سورة اللقمان، و ١٣ من سورة فاطر، و ٦ من سورة الحديد.

ذكر المفسرون في خروج الحي من الميت وخروج الميت من الحي وجوهاً منها:
يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن، يخرج الطيب من الخبيث ويخرج الخبيث من الطيب، يخرج الحيوان من النطفة والبيضة ويخرجهما من الحيوان، يخرج السنبلة من الحبة والحبة من السنبلة. فهذه الآيات جاءت لبيان اقسام مختلفة من تدبير الله تعالى في العالم العلوى والسفلى وتظهر اهمية كل آية والمعاني المحتملة للميت فيها بعد ملاحظة سياقها.

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَأُمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعُشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ (٢).

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (٣).

هذه الآيات جاءت لبيان بشارة زكريا وأمراته بيحيى في كبر سنّها، نعم مع أنّ هذه القصة قد تكررت في موضعين من القرآن ولكن لا يخفى ما فيها من الاختلاف في التقدم

١- سورة يونس، آية ٣١.

٢- سورة آل عمران، آيتي ٤٠ و ٤١.

٣- سورة مريم، آيات ٨ الى ١٠.

والتأخر وغيرهما، حتى تفيد كل مجموعة المعنى المختص بها.

فقد تقدم «بلغنى الكبير» على «أمرتى عاقر» في سورة آل عمران والعكس في سورة مريم، بما أن الكبير وصف لزكريا والعقر وصف لأمرته فيعرف ما في هذا التقديم والتأخير من اللطافة.

وأيضاً جاء في موضع «الأيام» وفي سورة مريم «ليال» حتى يعرف أنه ﷺ مأمور بعدم التكلم في ثلاثة أيام بلياليها لا أحدهما دون آخر.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (١).

﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ (٢).

هذه الآيات في بيان قصة الولادة لنبي الله عيسى ﷺ وقد تكررت لبيان اسرار لم تذكر وتفصيل لم يبين كما نرى في ظاهر الآيات فضلاً عن تفسيرها.

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ * قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ

١- سورة آل عمران، آية ٤٧.

٢- سورة مريم، آيتي ٢٠ و ٢١.

وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْتَبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمِمَّا دَخَرْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَسْعَى ابْنُ مَرْيَمَ أَذْكُرُ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيَ إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (٢).

هذه الآيات قد جاءت لبيان قصّة النبي عيسى عليه السلام وأعجازه لإثبات نبوته من ولادته وتكلمه في المهد الى... فقد جاءت قصته عليه السلام في كلا السورتين لكشف وجوه مختلفة فيها كما نرى.

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٣).

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٤).

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٥).

قد تكررت الآية في قصة النبي عيسى عليه السلام لبيان جزئيات مختلفة من القصة وأنما جاء التأكيد في سورة الزخرف بضمير الفصل، لأنّ في هذه السورة تكلم عن الآلهة، فينبغي التأكيد على أنّ عيسى هو عبد من عباد الله تعالى ولكن في السورتين الآخرين قد بيّن

١- سورة آل عمران، آيات ٤٥ الى ٤٩.

٢- سورة المائدة، آية ١١٠.

٣- سورة آل عمران، آية ٥١.

٤- سورة مريم، آية ٣٦.

٥- سورة زخرف، آية ٦٤.

قضية ولادته فيكفى اتيانه بلا تأكيد.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١).

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُم وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢).

الاولى نزلت في واقعة أحد والثانية في بدر الكبرى فليس بتكرار.

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٣).

﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٤).

المراد من الآيتين واحد وهو الترغيب لأعمال الخير ببيان ثوابها، ولكن اختلفت
العبارة فيها فالسرعة تكون قبل السبقة والمسابقة كانت بعد المسارعة، فالمسارع قد
يسابق وقد لا يسابق.

وحذف المضاف في آل عمران لبيان أنّ عرض الجنة نفس السموات لامثلها، وجمع
السموات في الأولى لشدة الترغيب فيها لأنها وقعت قبل آية الانفاق، والترغيب فيه
ترغيب للانفاق، فكان المثل الاعلى لكسب المغفرة وسبب مهم لدخول الجنة.

﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

١- سورة آل عمران، آية ١٢٦.

٢- سورة الانفال، آية ١٠.

٣- سورة آل عمران، آية ١٣٣.

٤- سورة الحديد، آية ٢١.

وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴿١﴾.

قد جاء توصيف الجنة بأنها تجري من تحتها الأنهار أكثر من أربعين موضعاً في القرآن وذلك لأنَّ كلَّ نعمة مادية ليس بنعمة حقيقة لأنَّها تكون مثاراً للحزن والأسف ولكن الخلود في الجنة ليس له امد ولا غاية فإنَّها نعمة حقيقية، هذا مع أنَّا عندما ننظر في سياق الآيات نرى مناسبات خاصة لسبب بيان هذه النعمة العظيمة.

﴿... قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمَكْدِبِينَ﴾ (٢).

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمَكْدِبِينَ﴾ (٣).

﴿... فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمَكْدِبِينَ﴾ (٤).

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٥).

قد تكرر الأمر بالتعقل في القرآن بطرق مختلفة واساليب متنوعة في هذه الآيات ونحوها كـ«العنكبوت»، ٢٠؛ الروم، ٩ و ٤٤؛ فاطر، ٤٤؛ المؤمن، ٢١؛ محمد ﷺ ١٠. ترويجا للفكر الصحيح ورداً على الايمان بلا درك وشعور، هذا مع اختلاف العبارات في هذه الآيات واختلاف السياق فيها.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ

١- سورة آل عمران، آية ١٣٦.

٢- سورة آل عمران، آية ١٣٧.

٣- سورة الانعام، آية ١١.

٤- سورة النحل، آية ٣٦.

٥- سورة النمل، آية ٦٩.

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَبِينٌ» (١).

«هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَبِينٌ» (٢).

الآيتان تتحدثان عن النعمة الالهية العظيمة وهي بعثة الرسول الخاتم ﷺ وبرنامجه التعليمي والتربوي، فأية آل عمران نزلت بعد يأس المؤمنين فيما وقع عليهم من غزوة أحد، فالله تعالى بين أكبر نعمه على المؤمنين، وآية الجمعة اشارة الى بعثة الرسول والهدف الاساسي من رسالته.

«... يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ» (٣).

«... يَقُولُونَ بِالسِّنِّينَ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» (٤).

المقصود من العبارتين واحد وهو توصيف المنافقين الذين يتخلفون عن الجهاد، اما الآية الاولى نزلت في «عبدالله بن ابي سلول» واصحابه حينما انفصلوا عن جيش الاسلام في غزوة أحد، والآية الثانية نزلت بعد واقعة الحديبية، فان بعض الناس اعرضوا عن السفر مع رسول الله ﷺ للعمرة خوفاً من القتل في مكة.

«فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ» (٥).

١- سورة آل عمران، آية ١٦٤.

٢- سورة الجمعة، آية ٢.

٣- سورة آل عمران، آية ١٦٧.

٤- سورة الفتح، آية ١١.

٥- سورة آل عمران، آية ١٨٤.

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (١).

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ
وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (٢).

هذه الآيات نزلت تسليّة للنبي ﷺ حتى يصبر ويقف امام المشاكل والمصائب، فلا تغتم بتكذيبهم لأنّه من دأبهم المستمر في الأمم السالفة. فيمكن ان يقال لما تكرر تكذيب الرسول من قبل المشركين، تكررت التسليّة في القرآن.

﴿... وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا
اسْتَنْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَضِيتُمْ بِهِ، مِنْ
بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٣).

﴿... فَإِنْ كُفِرْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَاسْرِعُوا بِالْأَمْوَالِ الَّتِي لَكُمْ وَالْأَمْوَالُ الَّتِي لَكُمْ
وَلَا تُمْسِكُوا بِهَا صَافِيًا﴾ (٤).

﴿... وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ
مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا تُمْسِكُوا بِهَا صَافِيًا وَلَا تُمْسِكُوا بِهَا صَافِيًا وَلَا تُمْسِكُوا بِهَا صَافِيًا
وَلَا تُمْسِكُوا بِهَا صَافِيًا﴾ (٥).

الآية الاولى وصف للنساء الأحرار والثانية للجواري، والثالثة لأهل الكتاب فليس
بتكرار.

١- سورة فاطر، آية ٤.

٢- سورة فاطر، آية ٢٥.

٣- سورة النساء، آية ٢٤.

٤- سورة النساء، آية ٢٥.

٥- سورة المائدة، آية ٥.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (١).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٢).

نزلت الأولى في اليهود فهم الذين يحرفون كتاب الله وكلامه عن مواضعه، فختم الآية بـ«فقد افترى اثماً عظيماً» ونزلت الثانية في الكفار بعد بيان آيات عن قصة «بشير بن الابرق» الذي سرق من أحد المسلمين واتهم برثيا وأراد ان يرى نفسه امام النبي ﷺ فارتد وكفر وضلّ، وكفره هو سبب لضلّاته ولهذا ختم الآية الشريفة بـ«فقد ضلّ ضلالاً بعيداً» فهو لو لم يرتد لم يصّر محروما من رحمة الله التي وسعت رحمة كل شيء ويغفر كلّ ذنب الا الشرك به.

قال صاحب الميزان في وجه التناسب للآيتين فقال في الآية الاولى:
«ظاهره السياق ان الآية في مقام التعليل للحكم المذكور في الآية السابقة، اعنى قوله:
«آمنوا بما نزلنا مصداقاً لما معكم من قبل ان نطمس...» فيعود المعنى الى مثل قولنا، فانكم ان لم تؤمنوا به كنتم بذلك مشركين، والله لا يغفر ان يشرك به فيحل عليكم غضبه وعقوبته فيطمس وجوهكم بردها الى ادبارها، أو يلعنكم، فنتيجة عدم المغفرة هذه ترتب آثار الشرك الدنيوية من طمس أو لعن عليه» (٣).

وقال في الآية الثانية:

«الظاهر الآية أنّها في مقام التعليل لقوله في الآية السابقة «نولّه ما تولّى ونصله جهنم»

١- سورة النساء، آية ٤٨.

٢- سورة النساء، آية ١١٦.

٣- تفسير الميزان، ج ٤، ص ٣٧٩.

بناءً على اتصال الآيات، فالآية تدل على أنّ مشاقة الرسول شرك بالله العظيم وإنّ الله لا يغفر أن يشرك به» (١).

وقال فخر الرازي في تفسيره:

«أعلم أنّ هذه الآية مكررة في هذه السورة وفي تكرارها فائدتان، الأولى: أنّ عمومات الوعيد وعمومات الوعد متعارضة في القرآن، وأنّه تعالى ما أعاد آية من آيات الوعيد بلفظ واحد مرّتين، وقد أعاد هذه الآية الدالة على العفو والمغفرة بلفظ واحد في سورة واحدة، وقد اتفقوا على أنّه لا فائدة في التكرير إلاّ التأكيد وهذا يدل على أنّه تعالى خصّ جانب الوعد والرحمة بمزيد التأكيد وذلك يقتضى ترجيح الوعد على الوعيد. والفائدة الثانية: أنّ الآيات المتقدمة (على الآية الثانية) إنما نزلت في سارق الدرع، وقوله «من يشاقق الرسول» إلى آخر الآيات إنما نزلت في ارتداده، فهذه الآية أنّما يحسن اتصالها بما قبلها لو كان المراد أنّ ذلك السارق لو لم يرتدّ لم يصر محروماً عن رحمتي ولكنه لما ارتد واشرك بالله صار محروماً قطعاً من رحمة الله» (٢).

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (٣).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٤).

١- تفسير الميزان، ج ٥، ص ٨٤.

٢- تفسير الكبير، ج ١١، ص ٤٦.

٣- سورة النساء، آية ١١٥.

٤- سورة الأنفال، آية ١٣.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١).

الآية الاولى، نزلت في «بشير بن الابرق» السارق المرتد والثانية نزلت بعد غزوة بدر وانكسار شوكة المشركين مع كثرتهم امام جيش المسلمين وهم قليلون.

والثالثة، نزلت بعد واقعة احد أو بدر بستة أشهر وفي اليهود من بني النضير، فهم نقضوا عهدهم على عدم التعرض ثم عاهدوا المشركين وارادوا اغتيال رسول الله ﷺ وهجوه بشعر، فهم يتركوا ديارهم وارضيتهم ويرحلوا من المدينة مع ذلة وذلك باقتراح النبي ﷺ منعاً لسفك دمايتهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٣).

امر الله تعالى في الآية الاولى ان من عنده شهادة لابد ان يقوم بالحق فيها ويشهد لله على كل ظالم حتى يصل الحق الى المظلوم، واما الآية الثانية فهي أمر للولاة ويدل عليه قوله تعالى «ولا يجرمكم شنتان قوم على ان لا تعدلوا...» فهي تدل على الأمر بالعدالة للولى والعدو والله أعلم.

قال صاحب الميزان في وجه تكرار الآيتين كلاماً مفصلاً نقلناه بطوله للفوائد التي كانت في ضمنه:

١- سورة الحشر، آية ٤.

٢- سورة النساء، آية ١٣٥.

٣- سورة المائدة، آية ٨.

«أما الفرق بين الآيتين، أنّ آية النساء في مقام النهي عن الانحراف عن العدل في الشهادة لاتباع الهوى بان يهوى الشاهد المشهود له لقراءة ونحوها، فيشهد له بما ينتفع به على خلاف الحقّ وهذه الآية اعنى آية المائدة، في مقام الردع عن الانحراف عن العدل في الشهادة لشنآن وبغض من الشاهد للمشهود عليه، فيقيم الشهادة عليه يريد بها نوع انتقام منه ودحض لحقه وهذا الاختلاف في غرض البيان هو الذي أوجب اختلاف القيود في الآيتين، فقال في آية النساء «كونوا قَوَّامِينَ بالقسط شهداء لله» وفي آية المائدة «كونوا قَوَّامِينَ لله شهداء بالقسط»، وذلك أنّ الغرض في آية المائدة لما كان هو الردع عن الظلم في الشهادة لسابق عداوة من الشاهد للمشهود عليه، قيّد الشهادة بالقسط، فأمر بالعدل في الشهادة وان لا يشتمل على ظلم حتّى على العدو، بخلاف الشهادة لأحد بغير الحقّ لسابق حبّ وهوى، فإنّها لا تعدّ ظلماً في الشهادة وانحرافاً عن العدل وان كانت في الحقيقة لا تخلو عن ظلم وحيف، ولذلك أمر في آية المائدة بالشهادة بالقسط، وفرّعه على الأمر بالقيام لله وأمر في آية النساء بالشهادة لله أي ان لا يتبع فيها الهوى وفرّعه على الأمر بالقيام بالقسط. ولذلك أيضاً فرّع في آية المائدة على الأمر بالشهادة بالقسط قوله «اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله» فدعا الى العدل وعدّه ذريعة الى حصول التقوى، وعكس الأمر في آية النساء ففرّع على الأمر بالشهادة لله قوله «فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا» فنهى عن اتباع الهوى وترك التقوى وعدّه وسيلة سيئة الى ترك العدل»^(١).

﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُغْفَوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾^(٢).

﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٣).

١- تفسير الميزان، ج ٥، ص ٢٤١.

٢- سورة النساء، آية ١٤٩.

٣- سورة الأحزاب، آية ٥٤.

نزلت الاولى بعد آية:

﴿لَا يَجِبُ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (١).

فتفسير الآية الى اباحة التحدث عن محاسن الافراد او كتمانها خلافاً للمساوى التي لابد ان تكتم الا للمظلوم في مقام الدفاع عن نفسه.

ونزلت الثانية بعد آية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَظِيرٍ لِإِنْسِهِ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَغْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (٢).

فتفسير الآية الى ان الله يعلم ما خططتم له في سبيل اذياء النبي ﷺ تبدو على السنتكم أو تخفوه.

وقد بين الخطيب الاسكافي ما في الآيتين من الاختلاف في الألفاظ وما ختما به، فراجع.

﴿... أَجَلْتُ لَكُمْ بَهِيمَةً آلَتُنَّ إِلَّا مَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (٣).

﴿... وَأَجَلْتُ لَكُمْ آلَتُنَّ إِلَّا مَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا

١- سورة النساء، آية ١٤٨.

٢- سورة الأحزاب، آية ٥٣.

٣- سورة المائدة، آية ١.

الآية الثانية جاءت في ضمن بيان أحكام الحج بخلاف الآية الأولى.

﴿...يَسْتَغْفِرُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا...﴾ (٢).

﴿...يَسْتَغْفِرُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا...﴾ (٣).

﴿...يَسْتَغْفِرُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا...﴾ (٤).

يختلف معنى الفضل بمقتضى سياق الآيات، ففي الأولى بمعنى المال والتجارة والكسب الحلال، والثانية بمعنى العطية والثواب لاعمالهم من الركوع والسجود. والثالثة وان كانت بهذا المعنى ولكن ترتب على عمل آخر وهو اخراج المهاجرين من ديارهم واموالهم، فهم يهاجرون الى الله تعالى ابتغاءً لثوابه، لا للدنيا أو شئ منها.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (٥)

﴿...وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٦).

وعدا الله تعالى في الآية الأولى الذين كانوا قوامون لله تعالى وهم المتقون وفي الثانية الذين كانوا مع النبي الخاتم ﷺ الراكعون الساجدون الذين تراءى في سيماهم أثر السجود. ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ

١- سورة الحج، آية ٣٠.

٢- سورة المائدة، آية ٢.

٣- سورة الفتح، آية ٢٩.

٤- سورة الحشر، آية ٨.

٥- سورة المائدة، آية ٩.

٦- سورة الفتح، آية ٢٩.

وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ...» (١).

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ...﴾ (٢).

الاولى في نقض عهد اليهود الذي اخذه الله عليهم من اقامة الصلاة وايتاء الزكاة،
والثانية في نقض عهد النصارى الذي نسوا حقيقة التوحيد وعلام النبي الخاتم والبشارة
به.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيُمْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ
يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣).

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّهُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ، أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُشَسَّ
الْمِهَادُ﴾ (٤).

جواب الشرط في آية الرعد جملة «لافتدوا به» وفي آية المائدة «ما تقبل منهم»
والمقصود من هذا التمثيل هو ان العذاب سيثبت لهم ولا سبيل الى الخلاص منه، نعم
التمثيل كان على وجه الحقيقة، لأن الانسان ذاتاً يحب نفسه بالنسبة الى كل شئ فإذا وقع
في الم وتعب لافتدى بكل ماله وحتى لو كان مالكا لكل شئ لافتدى به.
﴿... وَمَنْ لَمْ يَخُكْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٥).

١- سورة المائدة، آية ١٣.

٢- سورة المائدة، آية ١٤.

٣- سورة المائدة، آية ٣٦.

٤- سورة الرعد، آية ١٨.

٥- سورة المائدة، آية ٤٤.

﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١)

﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢).

ختم كل آية بما يناسبها، لأن من يخشى من الناس ويشترى بآيات الله ثمنًا قليلًا فهو كافر، ومن لم يحكم بالقصاص فهو ظالم، ومن استكبر ولم يحكم بما أقر به المسيح عليه السلام من أهل الكتاب فهو فاسق والفسق أعظم من الكفر لآيات كثيرة نحو:

﴿...إِلَّا إِنْ لَيْسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ...﴾ (٣).

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (٤).

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٥).

قد تقدّم على آية المائدة حكم بني اسرائيل من افعالهم وتحريف كتبهم ونقض ميثاقهم وقتلهم الأنبياء وحكمهم بغير ما انزل الله، ثم جاء «وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم...» وأما آية الحديد لم يكن قبلها شئ من ذلك، بل هي سورة مشتملة على الوعد والوعظ

١- سورة المائدة، آية ٤٥.

٢- سورة المائدة، آية ٤٧.

٣- سورة الكهف، آية ٥٠.

٤- سورة المائدة، آية ٤٦.

٥- سورة الحديد، آية ٢٧.

والوعيد، والآية نزلت في هذا المجال.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَخْذُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّنَا عَلَىٰ رَسُولِنَا
الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ (١).

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾ (٢).
التكرار في اطيعوا بدل ان يقال «اطيعوا الله والرسول» لاختلاف الطاعة، فالاطاعة لله تعالى على وجه والاطاعة للرسول على وجه آخر.

الاطاعة لله تعالى كان بمنزلة الانقياد له بشرايع دينه وقوانينه في كتبه بأنّه معبود ويستحقّ الطاعة.

والاطاعة لرسول الله ﷺ هي بمنزلة اتباع امره بحسب ولايته، فلما كان هذا الاتباع بامر الله تعالى فاطاعة رسوله اطاعة لله نفسه، فالطاعتان طويلتان وليستا بعرضيتين.
والسرّ تكرار الآيتين، إنّ المراد بالطاعة في المائدة، الطاعة في الفروع نحو الاجتناب من الخمر والميسر واللغو في الايمان وغير ذلك مما سبق على الآية في نفس السورة.
والمراد بالطاعة في التغابن هو ايقاظ الناس بالتدبر في آيات الله، حيث كانت تبحث السورة من البداية في التوحيد وصفات الله تعالى والمعاد.

﴿... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٣).
﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٤).

١- سورة المائدة، آية ٩٢.

٢- سورة التغابن، آية ١٢.

٣- سورة المائدة، آية ١١٩.

٤- سورة التوبة، آية ١٠٠.

﴿... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

﴿... رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ (٢).

الضمير في كل آية يرجع الى بعض الناس، فالمرضيون في الأولى، الذين انجزوا ما كلفوا به من مسئولية ورسالة ولم يسيروا الا في طريق الصدق، مثل المسيح عليه السلام واتباعه واتباع سائر الانبياء الصادقين، وفي الثانية السابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين تبعوهم باحسان، وفي الثالثة الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ولا يوادون من حاد الله ورسوله، وفي الرابعة الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم على عليه السلام واتباعه، فعندما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل عليه السلام: هو انت وشيعتك، تاتي انت وشيعتك يوم القيمة راضيين مرضيين، ويأتي عدوك غضباناً مقمحين» (٣).

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٤).

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَتُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٥).

هذه الآيات تشير الى انحراف الإنسان خطوة خطوة، فعندما كذب آيات الله عند المواجهة اليها اعرض عنها، ثم استهزء بها.

١- سورة المجادلة، آية ٢٢.

٢- سورة البينة، آية ٨.

٣- شواهد التنزيل، حديث ١١٢٦.

٤- سورة الأنعام، آيتي ٤ و ٥.

٥- سورة الشعراء، آيتي ٥ و ٦.

فالآيتين في الانعام كانتا موجهتان الى المشركين وبيان عنادهم تجاه الحق.
واما الآيتين في الشعراء بملاحظة نزولها بعد: ﴿لَعَلَّكَ بَسِخٌ نَّفْسِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (١) تشير الى ان الله تعالى يمكن له ان يجعل المشركين مؤمنين كلهم ولكنهم يعرضون عن الحق ويكذبونه ويستهنون به.

﴿... الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٢).

﴿... الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣).

الآية الأولى نزلت في الكفار والمشركين الذين يكذبون آيات الله ويستهنون بالأنبياء، والثانية نزلت في أهل الكتاب الذين يعرفون النبي الخاتم ﷺ معرفة تامة كما يعرفون ابنائهم بعلاماتهم الدقيقة وخصائص التفصيلية.

﴿وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بَصِيرَ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَسْأَلْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٤).

﴿وَإِنْ يَسْأَلْكَ اللَّهُ بَصِيرَ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٥).

الآية الثانية كانت اعم بالنسبة الاولى، فهي تشمل جميع الناس.
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِسَائِتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلَحُ

١- سورة الشعراء، آيتي ٣ و ٤.

٢- سورة الأنعام، آية ١٢.

٣- سورة الأنعام، آية ٢٠.

٤- سورة الأنعام، آية ١٧.

٥- سورة يونس، آية ١٠٧.

«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ...» (٢).

«... فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» (٣).

تكررت العبارة في هذه الآيات ونحوها مثل سورة الأعراف، آية ٣٧؛ سورة يونس، آية ١٧؛ سورة الكهف، آية ١٥؛ سورة العنكبوت، آية ٦٨؛ سورة الزمر، آية ٣٢؛ سورة الصف، آية ٧ وهذا لأن للظلم في كل آية من هذه الآيات وغيرها معنى قد يختلف عما في الآيات الأخرى، ويعرف ذلك بملاحظة السياق، لأن كل آية نزلت تفريعاً على ما قبلها.

«وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» (٤).

«وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ» (٥).

نزلت الآية الأولى في نفر من مشركي مكة منهم «النضر بن الحارث» و«أبوسفیان بن حرب» و«الوليد بن مغيرة» و«عتبة بن ربيعة» واخوه «شيبة» وغيرهم، فهم استمعوا الى رسول الله ﷺ وهو يقرأ القرآن، فقالوا للنضر: ما يقول؟ فقال: اساطير الأولين مثل ما

١- سورة الأنعام، آية ٢١.

٢- سورة الأنعام، آية ٩٣.

٣- سورة الأنعام، آية ١٤٤.

٤- سورة الأنعام، آية ٢٥.

٥- سورة يونس، آية ٤٢.

أحدثكم عن القرون الماضية فانزل الآية، ونزلت الثانية في جمع الكفار بلاسبب خاص على كلامه ومن هذا جاءت بلفظ الجمع «يستعمون»

﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (١).

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (٢).

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ * إِن هِيَ إِلَّا مَوْتَتْنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ (٣).

في الآية الأولى احتمالان وهما:

١- انما الكفار والمشركين طلبوا ارجاعهم الى الدنيا لإصلاح امورهم وترك ذنوبهم «فقالوا يا ليتنا نردّ ولا نكذب بايات ربّنا» (٤)، ولكن القرآن يعتقد بأنهم اذا رجعوا الى الدنيا، يعادوا ما كانوا عليه وقالوا: انّ هي الا حياتنا الدنيا....

٢- انّ الآية تبحث عن بعض المشركين الذين ينكرون المعاد من رأس خلافاً لبعضهم المعتقدون بنوع منه.

والآية الثانية من جملة محاجة وقعت بين من هو في الجنة وقرينه في جهنم، فهو يراه في سواء الجحيم، ثم يقول له: ألم تكن انت قائل لى في الدنيا باننا لا نموت ولا نحى، وتقول: افما أنت بميتين؟

والآية الثالثة حكاية قول المشركين في انكار المعاد.

﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (٥).

١- سورة الأنعام، آية ٢٩.

٢- سورة الصافات، آيتى ٥٨ و ٥٩.

٣- سورة الدخان، آيتى ٣٤ و ٣٥.

٤- سورة الأنعام، آية ٢٧.

٥- سورة الأنعام، آية ٢٩.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (١).
 ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٢).

أخبرت هذه الآيات عن اعتقاد المنكرين والدهريين في إنكار البعث والمعاد، وقد تكررت لتكرار عقيدتهم الفاسدة وذكر البراهين الساطعة والمختلفة على ردها.
 ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٣).

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٤).

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلَكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ (٥).

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَبًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ (٦).

١- سورة المؤمنون، آية ٣٧.

٢- سورة الجاثية، آية ٢٤.

٣- سورة الأنعام، آية ٣٢.

٤- سورة العنكبوت، آية ٦٤.

٥- سورة محمد ﷺ، آية ٣٦.

٦- سورة الحديد، آية ٢٠.

تقدم اللعب في غير العنكبوت لأنه هو مقتضى طبيعة الإنسان فإنه يلعب قبل ان يلهو بسنين، وما في العنكبوت، فان السائل يسألهم عند بلوغهم ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ نَّزَّلَ مِنْ أَلْسَمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١) ويلزم في هذا السن ان يقدم الله لأنه قد تجاوز عن زمن اللعب.

وأما علة التكرار في هذه الآيات فهي لاختلاف مقتضاها ولبيان اشياء آخر لم تذكر في آية واحدة.

﴿... وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

﴿... وَالِدَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٣).

﴿... وَلِدَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٤).

فقد تكرر ثلاث مرات، فالدار في الآية الأولى جاءت باللام الموطئة للقسم وفي الآيتين الأولى كانت الآخرة وصفاتها، رعاية لنظم الكلام وحتى ان تتطابق مع ما تقدم عليهما، فحينما تقدم على آية الأنعام «حياتنا الدنيا» وفي الأعراف «هذه الأدنى» فقول كليهما بأن الدار الآخرة خير، وهذا بخلاف الثالثة فجاءت مضافة الى الآخرة، والسر في تكرارها قد مر بيانه.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥).

١- سورة العنكبوت، آية ٦٣.

٢- سورة الأنعام، آية ٣٢.

٣- سورة الأعراف، آية ١٦٩.

٤- سورة يوسف، آية ١٠٩.

٥- سورة الأنعام، آية ٣٧.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْأَيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (١).

تشير الآية الاولى الى اعتذار المشركين فهم عند عجزهم عن تحدى القرآن واثبات سورة مثله على الأقل، قالوا: لا يفيدنا هذا فاين اعجازك ان كنت من الصادقين؟! فات بمعجزات مثل ما اتى به موسى وصالح وغيرهما من الأنبياء. ويمكن ان نقول في الآية الثانية ان هذه الاقتراحات كانت من قبل أهل الكتاب وذلك بشهادة السياق مع أنه يمكن ان نقول بتعدد هذه الاقتراحات الباطلة.

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنِ اتَّسَكُمُ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢).

﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنِ اتَّسَكُمُ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾ (٣).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ اتَّسَكُمُ عَذَابُهُ يَبْسُتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَغْفِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٤).

هذا من أحسن وجوه البيان الذي مرّ بحثه سابقاً وهو بيان سؤال واحدة بألفاظٍ مختلفة، فيها ذكر الدليل بلطافة خاصة مع مالها من الأهمية.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ (٥).

١- سورة العنكبوت، آية ٥٠.

٢- سورة الأنعام، آية ٤٠.

٣- سورة الأنعام، آية ٤٧.

٤- سورة يونس، آية ٥٠.

٥- سورة الأنعام، آية ٤٢.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ
يَضُرَّعُونَ﴾ (١).

تشير الآية الأولى الى احوال الامم الماضية ووجود عوامل التربية والوعى لهم، بينما
تقدّم على الآية الثانية قصة بعض الأنبياء من آدم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب،
فالآية تنظر الى هلاك أقوام هؤلاء الأنبياء.

﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكُ إِن
تَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢).

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبُ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكُ وَلَا أَقُولُ
لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ
الظَّالِمِينَ﴾ (٣).

الآية الأولى خطاب رسول الله ﷺ في قبال اقتراحات المشركين الباطلة بمشاهدة
معجزات عينية، والثانية خطاب لنوح عليه السلام ردًا لادعائات كاذبة في حقّه بأنّ له خزائن الله
وله علم الغيب وأنه ملك.

﴿... قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (٤).

﴿وَيَنْقُومِ لَأَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَإِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا
إِنَّهُمْ مُلْكُؤُا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرِئُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ (٥).

١- سورة الأعراف، آية ٩٤.

٢- سورة الأنعام، آية ٥٠.

٣- سورة هود، آية ٣١.

٤- سورة الأنعام، آية ٩٠.

٥- سورة هود، آية ٢٩.

﴿يَقُولُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١)

وكذا آية ١٠٤ في سورة يوسف، و ٥٧ في سورة الفرقان، و ١٠٩ و ١٢٧ و ١٤٥ و ١٦٤ و ١٨٠ في سورة الشعراء، و ٨٦ في سورة ص. و ٢٣ في سورة الشورى، فالآية الأولى من هود في حق نوح والثانية منها في حق هود، وآيات الشعراء في حق نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وآية الأنعام ويوسف والفرقان و ص والشورى، في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولكن قد عرفت ما فيها من الاختلاف في الألفاظ لبيان مفاهيم جديدة مضافا الى سياقها المختلف.

﴿... وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٢).

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٣).

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ (٤).

اداء الفريضة والمحافظة عليها وصف مهم للمؤمن وبها يعرف المؤمن من الكافر وقد تكرر اقامة هذه الفريضة في ضمن أوصاف أخرى للمؤمن في كل سورة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٥).

﴿... إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى﴾ (٦).

١- سورة هود، آية ٥١.

٢- سورة الأنعام، آية ٩٢.

٣- سورة المؤمنون، آية ٩.

٤- سورة المعارج، آية ٣٤.

٥- سورة الأنعام، آية ١١٧.

٦- سورة النجم، آية ٣٠.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (١).

يعرف مصداق الهداية والضلالة من الآيات السابقة على كل واحدة من هذه الآيات، فالمصداق في الآية الأولى التابعين للعلم أو الظن، وفي الآية الثانية الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر والذين يسمون الملائكة اناثاً، وفي الثالثة الذين لا يؤمنون بالنبي الخاتم ﷺ والذين يقولون أنه المفتون، على أنه ورد في تفسير الآية الثالثة لعبدالله الحسكاني رواية هكذا نصها:

«أخبرنا السيد أبوالحمد مهدي بن نزار الحسيني القائني رحمه الله، قال: حدثنا الحاكم أبوالقاسم عبيدالله بن عبدالله الحسكاني، قال: حدثنا أبوعبدالله الشيرازي، قال حدثنا أبو بكر الجرجاني، قال: حدثنا أبو أحمد البصري، قال: حدثني عمرو بن محمد بن تركي، قال: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن شعيب، عن عمرو بن شمر، عن دلهم بن صالح، عن الضحاك بن مزاحم، قال: لما رأت قريش تقديم النبي ﷺ علياً عليه السلام واعظامه له، نالوا من علي، وقالوا: قد افتنن به محمد، فانزل الله تعالى «ن والقلم وما يسطرون» قسم أقسم الله به «ما انت» يا محمد «بنعمة ربك بمجنون، وأنت لعلي خلق عظيم» يعني القرآن الى قوله «بمن ضله عن سبيله» وهم النفر الذين قالوا ما قالوا، «وهو اعلم بالمهتدين» علي بن ابيطالب عليه السلام (٢).

﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقَرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفِلُونَ﴾ (٣).

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقَرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (٤).

١- سورة القلم، آية ٧.

٢- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٨٧.

٣- سورة الأنعام، آية ١٣١.

٤- سورة هود، آية ١١٧.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (١).

ان هذه الآيات تشير الى سنة الله الجارية في كل زمن وهو عقاب المنكرين والمكذبين بعد ارسال الرسول ومع هذا كل آية يحتوى على لطائف ففي الاولى ان العقوبة على الغافلين يعتبر ظلماً والثانية تشير الى ان المجتمع ان كان ظالماً ولكنه فيه من يقوم باصلاحه فهلاك هذا المجتمع يعتبر ظلماً بخلاف المجتمع الذي لا يكون فيه المصلح، وهذا يعرف بملاحظة التفاوت بين كلمتي «مصلحون» و «الصالحون» وعلى هذا فلا يوجد تكرار.

﴿قُلْ يَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٢).

﴿وَيَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِيبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ (٣).

﴿قُلْ يَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٤).

الآية الأولى والثالثة وعيد للكفار والمشركين فأمر الله تعالى رسوله ان يهدد الذين لم يستسلموا لمنطق العقل ولم يستجيبوا لنداء الوجدان مع ان الآية الاولى نزلت بعد وعيد آخر قبلها والآية الثانية تهديد من شعيب عليه السلام، قال صاحب الميزان:

«وهذا تهديد من شعيب أشد التهديد، فإنه يشعر بأنه على وثوق مما يقول لا يأخذه

١- سورة القصص، آية ٥٩.

٢- سورة الأنعام، آية ١٣٥.

٣- سورة هود، آية ٩٣.

٤- سورة الزمر، آية ٣٩.

قلق واضطراب من كفرهم به وتمردهم عن دعوته، فليعلموا على مالهم من القوة والتمكين، فلهم عملهم وله عمله»^(١).

﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ
كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بِأَسْنَانَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ
إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ (٢).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آِبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٣)

أشارتا هاتان الآيتان الى استدلال المشركين لعقيدتهم الفاسدة بأنّ كلّ ما عملوه وكلّ ما اعتقدوه فهو موافق لرضى الله تعالى، لأنّ سكوته دليل على رضاه ولولم يكن راضياً بها لوجب منعهم عنها.

وفي الأولى أضاف الله تعالى انّ منشاء هذه العقيدة الفاسدة هو اوهام خيالية وانّ الله لم يسكت بل له الحجة بالغة بحيث لا يبقى مجال للشك والترديد لأحد.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنُلِ مَحَرَّمَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٤)

١- تفسير الميزان، ج ١٠، ص ٣٦٤.

٢- سورة الأنعام، آية ١٤٨.

٣- سورة النحل، آية ٣٥.

٤- سورة الأنعام، آية ١٥١.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَكُمْ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (١).

ففي الآية الأولى، كان الاملاق سببا للقتل وختم الآية بـ «نحن نرزقكم وايهاهم» فتقديم الرزق لهم ثم لأولادهم كانت لدفع هذا التوهم، واما الآية الثانية قد نهت عن القتل لخشية الفقر والخوف منه فالخشية كانت علة للقتل لانفس الاملاق فقدم الله تعالى رزق الاولاد حتى تذهب هذه الخشية المذمومة من نفوسهم.

قال صاحب الميزان رحمة الله عليه في تفسير الآية الثانية:

«وقد تكرر في كلامه تعالى النهي عن قتل الاولاد خوفاً من الفقر وخشية من الاملاق وهو مع كونه من قتل النفس المحترمة التي يبالغ كلامه تعالى في النهي عنه، أما افرد بالذكر واختص بنهي خاص لكونه من اقبح الشقوه وأشد القسوة ولأنهم (كما قيل) كانوا يعيشون في اراضي يكثر فيها السنة ويسرع اليها الجذب، فكانوا اذا لاحت لوائح الفاقة والاعسار بجذب وغيره بادروا الى قتل الاولاد خوفاً من ذهاب الكرامة والعزة» (٢).

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (٣).

﴿قَالَ يٰإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ (٤).

﴿قَالَ يٰإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ اسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنْ

١- سورة الأسراء، آية ٣١.

٢- تفسير الميزان، ج ١٣، ص ٨٣.

٣- سورة الأعراف، آية ١٢.

٤- سورة الحجر، آية ٣٢.

قدمت وجه التكرار في القصص القرآنية وكان من أهمها تكرار القصة لبيان جهات مختلفة منها لم تذكر من قبل مع ان «المنع» في الآية الاولى متضمن معنى حمل اى ما حملك.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٢).
﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٣).

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ ذَاتَةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٤).

الآيات كلها، تشير الى قانون كلى لكل البشرية فكلهم ينتظرون حتى يأتى أجلهم فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

نعم الآيتان الاوليتان تشيران الى فناء الأمم، فإن للامم بقاء وفناء كما ان الناس يحيون ويموتون، والآية الثالثة كانت جواباً لهذا السؤال وهو: لماذا لا يعذب الله المذنبين بذنوبهم العظيمة؟ ولماذا تأخر أجلهم حتى ان تأخيره صار سبباً للافساد والفساد؟

﴿... أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَفِرُونَ﴾ (٥).

١- سورة ص، آية ٧٥.

٢- سورة الأعراف، آية ٣٤.

٣- سورة يونس، آية ٤٩.

٤- سورة النحل، آية ٦١.

٥- سورة الأعراف، آيتى ٤٤ و ٤٥.

﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (١).

هاتان الآيتان قد فسرنا الظالمين و اشارتا الى علّة ظلمهم ولكن الأولى منهما قول مؤذن بين أهل الجنة والنار عند اعترافهم بوصول ما وعد الله لهم، والثانية قول الاشهاد في المحشر عند ما يعرض الكاذبون على ربهم.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا نِّقَالًا سَفَّثَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٢).

﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلَدَةً مَّيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسٍ كَثِيرًا﴾ (٣).

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (٤).

الرياح هي السبب لنزول الرحمة الالهية من غيث السماء والبشارة بها، وتكرارها لأهميتها وليان جزء آخر من جوانب الرحمة الالهية فلا بأس به.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٥).

١- سورة هود، آيتي ١٨ و ١٩.

٢- سورة الأعراف، آية ٥٧.

٣- سورة الفرقان، آيتي ٤٨ و ٤٩.

٤- سورة الروم، آية ٤٨.

٥- سورة الأعراف، آية ٦٢.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (١).

﴿فَقَتَلُوا عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُومِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَأَنْجِبُونَ
الْثَّاصِحِينَ﴾ (٢).

﴿فَقَتَلُوا عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُومِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَى
عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (٣).

الآية الأولى في قصة نوح والثانية في قصة هود والثالثة في قصة صالح والرابعة في
قصة شعيب، وبما أن الإبلاغ في قصة نوح وهود وقع في ابتداء الرسالة جاءت الآية بلفظ
مستقبل «أبلغكم» وان الإبلاغ في قصة صالح وشعيب وقع في آخر الرسالة «وقريباً من
العذاب فجاء بلفظ الماضي «بلفتكم».

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا
قَوْمًا عَمِينَ﴾ (٤).

﴿فَكَذَّبُوهُ فَتَبَيَّنْهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْفَةً وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (٥).

قد تكررت الآيات في خلال قصة نوح عليه السلام وقد مرّ وجهها.
﴿... هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوْهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ

١- سورة الأعراف، آية ٦٨.

٢- سورة الأعراف، آية ٧٩.

٣- سورة الأعراف، آية ٩٣.

٤- سورة الأعراف، آية ٦٤.

٥- سورة يونس، آية ٧٣.

فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾

﴿وَيَنْقُومِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ

فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٢﴾

﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ * وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ

عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣﴾

تكررت الآيات في ضمن قصة قوم ثمود وما وقع بينهم وبين نبيهم في قضية الناقة،

وقد جئت لبيان مواضع أخر من القصة.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِينٍ ﴿٤﴾

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِينٍ ﴿٥﴾

قد تكررت الآيتان في ضمن قصة قوم ثمود ومرّ البحث عنهما.

﴿وَلَوْ طَآءَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِي أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ *

إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُشْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ

قَوْمِي إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا

أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُجْرِمِينَ ﴿٦﴾

١- سورة الأعراف، آية ٧٣.

٢- سورة هود، آية ٦٤.

٣- سورة الشعراء، آيتي ١٥٥ و ١٥٦.

٤- سورة الأعراف، آية ٧٨.

٥- سورة هود، آية ٦٧.

٦- سورة الأعراف، آيات ٨٠ الى ٨٤.

﴿وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (١).

﴿وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ * أَيَسْتَكْمَلُنَا لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٢).

ان التكرار في هذه الآيات كان في خلال قصة قوم لوط وقد مرّ البحث عن سرّ هذا النوع من التكرار ولكن يمكن ان نقول: أن اختلاف الألفاظ في هذه الآيات يدل على معاني جديدة بالنسبة إليها، فمثلاً الاستفهام في آية الأعراف كانت لبيان شدة التوبيخ و.... ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٣).

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ (٤).

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْأَخِيرَ وَلَا تَغْتَوُوا

١- سورة النمل، آيات ٥٤ الى ٥٨ .

٢- سورة العنكبوت، آيات ٢٨ الى ٣٠ .

٣- سورة الأعراف، آية ٨٥ .

٤- سورة هود، آية ٨٤ .

فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ» (١).

قد تكررت الآية في خلال قصة شعيب وقومه.

﴿تِلْكَ الْأَقْرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ (٢).

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٣).

نزلت الآية الأولى بعد قصة شعيب والثانية بعد قصة نوح عليه السلام.

﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِشَايَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ * فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ...﴾ (٤).

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ﴾ (٥).

قد تكررتا في خلال قصة موسى وترى فيهما شيئا لم يذكر إلا مرة واحدة.

﴿قَالُوا يَسْمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ غَحْنُ الْمَلَكِينَ﴾ (٦).

﴿قَالُوا يَسْمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ (٧).

١- سورة العنكبوت، آية ٣٦.

٢- سورة الأعراف، آية ١٠١.

٣- سورة يونس، آية ٧٤.

٤- سورة الأعراف، آيات ١٠٦ إلى...

٥- سورة الشعراء، آيات ٣٠ إلى ٣٣.

٦- سورة الأعراف، آية ١١٥.

٧- سورة طه، آية ٦٥.

يمكن ان نقول؛ ان الاختلاف في العبارتين مع أنَّهما حكاية لقول السحرة لانفس قولهم لرعاية الفاصلة أو لعل التكرار جاء من قبل السحرة فهم يقولون هذا الكلام في موضعين أو موضع واحد ولكن تكرر كلامهم، أو بعضهم يقولون بهذا وبعضهم بهذا، أو يقولون بلفظ واحد وقد تغير في اللغة العربية.

﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ * قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (١).

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (٢).

﴿قَالَ قِيَ السَّحَرَةُ سَجْدِينَ * قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (٣).

قد تكررت الآيات في خلال تكرار القصة وذلك لبيان زوايا مختلفة من القصة والاختلاف الذي كان في ترتيب كلماتها انما هو لوجوه منها لرعاية الفاصلة.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَآشَاءَ اللَّهِ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٤).

١- سورة الأعراف، آيات ١٢٠ الى ١٢٢.

٢- سورة طه، آية ٦٩.

٣- سورة الشعراء، آيات ٤٦ الى ٤٨.

٤- سورة الأعراف، آيتي ١٨٧ و ١٨٨.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ * قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ... (١).

قد جاء في سبب نزول آية الأعراف، أنّ قريشاً أرسلت عدة الى نجران ليسألوا اليهود مسائل ثمّ يلقوها على النبيّ لكشف عجزه عن اجابتهن ومن جملتها عن الساعة أيّان مرسيها؟ فقال اليهود لقريش ان اجاب النبيّ عن هذا السؤال فهو كاذب لأنّ علمه عندالله تعالى.

وأما ما جاء في سورة يونس فهو كلام مشركي عصر النبي ﷺ فهم يريدون بهذا التسائل القاء الشك في قلوب الناس، وأما تقدّم النفع على الضرر كما في سورة الأعراف أو عكسها في سورة يونس فقال الكرمانى فيها:

«أكثر ما جاء في القرآن من لفظي الضر والنفع معاً جاء بتقديم لفظ الضرّ على النفع، لأنّ العابد يعبد معبوده خوفاً من عقابه أولاً ثمّ طمعاً في ثوابه ثانياً، يقويه قوله «يدعون ربهم خوفاً وطمعاً» (٢) وحيث تقدم النفع على الضر تقدّم لسابقة لفظ تضمن نفعاً وذلك في ثمانية مواضع (من القرآن)» (٣).

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤).

﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٥).

النزغ بمعنى الدخول في عمل لافساده وله معنى عام يطلق على جميع الوسوس

١- سورة يونس، آيتي ٤٨ و ٤٩.

٢- سورة السجدة، آية ١٦.

٣- البرهان في توجيه متشابه القرآن، رقم ١٦٠.

٤- سورة الأعراف، آية ٢٠٠.

٥- سورة فصلت، آية ٣٦.

الشیطانية بجميع أنواعها.

قال الاسكافي في تنكير لفظين «السميع والعليم» في سورة الأعراف بخلاف ما جاء في سورة فصلت:

«انَّ الأوَّل وقع في فاصلة ما قبلها من الفواصل افعال جماعة أو اسماء مأخوذة من الأفعال من نحو قوله: فتعالى الله عما يشركون، وبعده يخلقون وينصرون ويبصرون، والجاهلين فأخرجت هذه الفاصلة بأقرب ألفاظ الاسماء المودية معنى الفعل اعنى النكرة وكان المعنى استعذ بالله أنه يسمع استعاذتك ويعلم استخارتك.

والتي في سورة حم سجده قبلها فواصل يسلك بها طريق الاسماء وهي ما في قوله تعالى «ادفع بالتي هي أحس...» فقلوه «ولى حميم» ليس من الأسماء التي يراد بها الأفعال... فأخرج «سميع عليم» بعد فواصل التي هي على سنن الاسماء على لفظ يبعد عن اللفظ يؤدي معنى الفعل فكأنه قال: أنه هو الذي لا يخفى عليه مسموع ولا معلوم فليس القصد الأخبار عن الفعل كما كان في الأولى...»^(١).

وقال صاحب ملاك التأويل:

«انَّ سورة الأعراف تقدم فيها قبل الآية وصف آلهم المنحوتة من الحجارة والخشب... فورد الوصفان بقوله «سميع عليم» مورداً لم يتقدمه ما يوهم صلاحية شئ من ذلك لغيره تعالى ممّا عبدوه من دونه مما قصدنا ولا ذكر دعوى شئ من ذلك من مدع فيستدعى ذلك التوهم مفهوماً ينفيه فجاء على ما يجب.

وأما آية فصلت فتقدم قبلها قوله تعالى «ولكن ظننتم...» وقوله تعالى «وقضينا لهم...» وقوله تعالى: «ارنا الذين اضلانا من الجن والانس» فحصل من هذا ان مضليهم أنما كانوا

من عالم الانس والجن، وكلا الصنفين موصوف بالسمع والبصر... فلما تقدّم في سورة السجدة من يظن منه الغني ويمكن منه ان يسمع ويبصر ويعلم، ناسبه التعريف في الصفة ليعطي بالمفهوم نفي ذلك عن غير الموصوف بهما تعالى» (١).

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (٢).
﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (٣).

الآية الأولى نزلت في ارادة الله تعالى لانتصار المسلمين في وقعة بدر، انتصاراً عسكرياً في أول غزوة وكان مهماً جداً، والآية الثانية تشير الى معنى كلّى وعلى هذا ليس بتكرار.

قال الرازي في نفي تكرار الآيتين:

«ليس ههنا تكرير، لأنّ المراد بالأوّل سبب ما وعد به في هذه الواقعة من النصر والظفر بالأعداء، والمراد بالثاني تقوية القرآن والدين ونصرة هذه الشريعة، لأنّ الذي وقع من المؤمنين يوم بدر بالكافرين كان سبباً لعزة الدين وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله (ويبطل الباطل) الذي هو الشرك وذلك في مقابلة (الحقّ) الذي هو الدين والايمان» (٤).
﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ...﴾ (٥).

١- ملاك التأويل، ص ٥٧٩.

٢- سورة الأنفال، آية ٧.

٣- سورة الأنفال، آية ٨.

٤- تفسير الكبير، ج ١٥، ص ١٣٢.

٥- سورة التوبة، آية ٧.

﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً...﴾ (١).

قد تكرر لفظ «كيف» لرفع الابهام في البيان الذي حصل لطول المطلب ومجئ الاستثناء قال الرازي في علة هذا التكرار:

«أعلم ان قوله: «كيف» تكرر لاستبعاد المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوماً أي كيف يكون عهدهم وحالهم أنهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا الى حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم» (٢).

﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٣).

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْتَدُونَ﴾ (٤).

الآية الاولى في المشركين الذين نقضوا العهد، فأنهم من قريش كما ان النبي ﷺ منها ولكن لا يرقبوا ولا يرحموا النبي ومن معه من المسلمين.

والآية الثانية تدل على أنهم لا يرقبوا كل مؤمن فهم في الحقيقة اعداء الايمان كله. قال الطبرسي في علة تكرار الآيتين:

«الفائدة في الاعادة، ان الأول في صفة الناقضين للعهد والثاني في صفة الذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، وقيل انما كرر تأكيداً» (٥).

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ

١- سورة التوبة، آية ٨.

٢- تفسير الكبير، ج ١٥، ص ٢٣٨.

٣- سورة التوبة، آية ٨.

٤- سورة التوبة، آية ١٠.

٥- تفسير مجمع البيان، ج ٥، ص ٢١.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٢).

المрад من النور هو دين الاسلام وتعاليمه، جاء في سورة التوبة «ان يطفئوا» وجاء في سورة الصف «ليطفئوا» فقال الراغب في مفرداته ذيل مادة «طفئ»:

«الفرق بين الموضعين، ان في قوله «يريدون ان يطفئوا» يقصدون اطفاء نورالله، وفي قوله «ليطفئوا» يقصدون امراً يتوصلون به أي اطفاء نورالله».

الاباء في الآية الأولى يفيد النهي الشديد والامتناع القوي على عدم الارادة من الله تعالى؛ هذا، والآية الاولى انما جاءت بعد بيان انحراف اليهودية والمسيحية عن التوحيد والثانية جاءت بعد تكذيبهم رسول الله رغم ما بشرابه.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٣).

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٤).

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (٥).

نزلت الاولى بعد بيان شرك اليهود والنصارى وعقيدتهم الباطلة بأن عزيز ابن الله

١- سورة التوبة، آية ٣٢.

٢- سورة الصف، آية ٨.

٣- سورة التوبة، آية ٣٣.

٤- سورة الفتح، آية ٢٨.

٥- سورة الصف، آية ٩.

والمسيح ابن الله، ونزلت الثانية بعد ما جاء في الحديبية وتصديق رؤيا النبي ﷺ، ونزلت الثالثة بعد ما قال أهل الكتاب في تكذيب الرسول ﷺ.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (١).

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٢).

قد قيل من سبب تكرارها، إن الآية الاولى تتضمن معنى الشرط والفاء للجواب بخلاف الثانية، أو الاولى في قوم والثانية في آخرين، أو الاولى في اليهود والثانية في المنافقين.

قال صاحب مجمع البيان نقلاً عن الجبائي:

«وإنما كرر للتذكير في موطنين، مع بعد أحدهما عن الآخر، ويجوز أن يكون الآيتان في فريقين من المنافقين، فيكون كما يقول القائل لا تعجبك حال زيد ولا تعجبك حال عمرو» (٣).

نعم قال فخر الرازي في تفسيره في بيان حكمة التكرير:

«إن أشد الأشياء جذباً للقلوب وجلباً للخواطر، إلى الاشتغال بالدنيا، هو الاشتغال بالأموال والأولاد وما كان كذلك يجب التحذير عنه مرة بعد أخرى، ألا أنه لما كان أشد الأشياء في المطلوبة والمرغوبة للرجل المؤمن هو المغفرة الله تعالى، لا جرم أعاد الله قوله «إن الله لا يفران يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» في سورة النساء مرتين، وبالجمله

١- سورة التوبة، آية ٥٥.

٢- سورة التوبة، آية ٨٥.

٣- تفسير مجمع البيان، ج ٥، ص ١٠٠.

فالتكرير يكون لأجل التأكيد فهنا للمبالغة في التحذير وفي آية المغفرة للمبالغة في التفريح» (١).

ما نقله الطبرسي جيد، فقد نزلت الآية الأولى في قوم من المنافقين لهم أموال وأولاد وأراد بالأخرى قوم آخرين والكلام الواحد اذا ذكر في أقوام مختلفة ولأسباب متعددة لم يعد تكراراً، كما انّ المفسرين غالباً ذكروا شأن نزول الآية الثانية وملخصه: انّ النبي لما مات «عبدالله بن أبي» صلى عليه ووقف على قبره ودعاه، اولفه بقيصه كفناً له فنزلت الآية «لا تصل على أحد منهم مات أبداً...» ونهاه عن تكرار هذا العمل بيد ان العلامة الطباطبائي في تفسيره ضعفه لاشتماله على التناقض والتعارض فراجع.

﴿يَعْتَذِرُونَ إِيَّكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُزَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢).

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣).

نزلت الآية الأولى في جماعة من المنافقين الذين أمر النبي ﷺ المؤمنين حين رجوعه من تبوك بأن لا يجالسوهم ولا يكلموهم، والثانية في المؤمنين والقاتهم بأن الله ورسوله والمؤمنين وهم الانمة عليهم السلام يعلمون ما عملوا ويرون ما فعلوا.

فشاهدنا في الآية الأولى مجئ الله «ورسوله» وفي الثانية هو «الله ورسوله والمؤمنون»، وذلك لأنّ بعض اعمال المنافقين بما فيها من خفاء النية وان النية لا يعلم بها الا الله أو

١- تفسير الكبير، ج ١٦، ص ١٥٨.

٢- سورة التوبة، آية ٩٤.

٣- سورة التوبة، آية ١٠٥.

من يأذنه تعالى ﷻ ، فاعمالهم قد تخفى عن المؤمنين.

قال العلامة الطباطبائي في تفسير الآيتين ووجه الفرق بينهما:

«فهذا هو الفرق بين الآيتين مع اتحادهما في ظاهر السياق حيث ذكر في الآية التي نحن فيها: الله ورسوله والمؤمنون، وفي الآية السابقة: الله ورسوله، واقتصر على ذلك. فهذا ما يعطيه التدبر في معنى الآية ومن لم يقنع بذلك ولم يرض دون أن يصور للآية معنى ظاهرياً فليقل إن ذكره تعالى «الله ورسوله» في خطاب المنافقين إنما هو لأجل أنهم إنما يريدون أن يكيدوا الله ورسوله ولا هم لهم في المؤمنين، وأما ذكره تعالى: «الله ورسوله والمؤمنين» في الخطاب العام فإنما الغرض فيه تحريضهم على العمل الصالح في مشهد من الملأ الصالح ولم يعبأ بحال غيرهم من الكفار والمنافقين. فتدبر» (١).

﴿... إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ (٢).

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ (٣).

قد وصف إبراهيم عليه السلام في الآية الأولى بعد استغفاره لأزربه «أَوَّاه حَلِيم» وفي الآية الثانية، بعد مجادلته في قوم لوط شفاعته لهم بـ«اواه منيب» فهو يطلب من الله تعالى تأخير العذاب والعقاب عن قوم لوط لأنه لم يتضح له قطعية أمر العذاب عليهم.

﴿... تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (٤).

﴿... تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (٥).

١- تفسير الميزان، ج ٩، ص ٣٩٤.

٢- سورة التوبة، آية ١١٤.

٣- سورة هود، آية ٧٥.

٤- سورة يونس، آية ١.

٥- سورة لقمان، آية ٢.

اختلف المشار اليه في هاتين الآيتين فكل تشير الى الآيات التي جاءت بعدها وتكرار الإشارة مع اختلاف المشار إليه لا يعد تكراراً.

﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١).

﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ (٢).

نزلت الأولى في بيان علة عدم اتباع المشركين للحق فالله تعالى علم بأنهم لا يؤمنون فحققت عليهم كلمة العذاب.

والثانية تختص بالكفار من أمة رسول الله ﷺ أي كما حق العذاب على الأمم السالفة فحق على الذين كفروا من هذه الأمة.

﴿... وَمَا يَغْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٣).

﴿... لَا يَغْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٤).

إن الله تبارك وتعالى في الآية الأولى أراد بيان علم الله تعالى لكل شيء فما كان شيء في الأرض ولا في السماء حتى لو كان بقدر ذرة، ألا وهو سبحانه وتعالى يعلم به.

ونزلت الثانية في بيان أن الله تعالى يبعث من في القبور فهو يعلم بكل شيء، ويقدر على كل شيء، فاختلاط جسم الإنسان بسائر الموجودات وحلولها في أبدان آخرين أو تفتتها في التراب لا يمنع من حياتها مرة أخرى.

١- سورة يونس، آية ٣٣.

٢- سورة غافر، آية ٦.

٣- سورة يونس، آية ٦١.

٤- سورة سباء، آية ٣.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (١).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ * وَءَاتَيْنَاهُمْ يَتِينَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٢).

مع ما فيها من الاختلاف في الألفاظ والعبارات، فكل آية نزلت في ضمن قصة بني اسرائيل لبيان زوايا مختلفة من هذه القصة.

﴿قُلْ يَتَّابِعُوا النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَسِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٣).

﴿وَأَن أَتْلُوا الْقُرْءَانَ فِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (٤).

ويمكن معرفة الاختلاف في الآيتين فان في الآية الأولى، «ومن ضلَّ فأنما يضلَّ عليها» وفي الثانية «ومن ضلَّ فقل أنما انا من المنذرين» وهذا من طرائف القرآن، فالآية الثانية تقول انَّ النبي ﷺ ينذر دائماً ولا يترك المعاندين على حالهم بخلاف الاولى فأنها تقول من ضلَّ فضرره عليه.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾ (٥).

١- سورة يونس، آية ٩٣.

٢- سورة الجاثية، آيتي ١٦ و ١٧.

٣- سورة يونس، آية ١٠٨.

٤- سورة النمل، آية ٩٢.

٥- سورة هود، آية ٢٢.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَسِرُونَ﴾^(١).

اختلاف الصيغه في «الاخسرون والخاسرون» لرعاية الفاصلة، فالآية الأولى نزلت في المنكرين الذين يفترون على الله كذباً، والثانية نزلت لمن كفر بالله بعد ايمانه.

﴿قَالَ يَتَقَوْمِ آرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَيْنِي رَحْمَةً مِّن عِنْدِهِ، فَعَمِيتَ عَلَيْكُمْ أَنْزِلْهُمْ كُفُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾^(٢).

﴿قَالَ يَتَقَوْمِ آرَءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَيْنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾^(٣).

نزلت الآية الأولى في نوح وقومه، والثانية في صالح وقومه وتقديم المجرور في قصة صالح للتأكيد على أن الرحمة من عند الله تعالى وهذا بعد مجادلة شديدة قد وقعت بين صالح وقومه، واسألتهم لنبيهم بهذا «قد كنت فينا مرجواً» هذا ولكن المحاجة بين نوح وقومه ليست بهذه الشدة والشناعة.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٤).

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾^(٥).

١- سورة النحل، آية ١٠٩.

٢- سورة هود، آية ٢٨.

٣- سورة هود، آية ٦٣.

٤- سورة هود، آية ٤٠.

٥- سورة المؤمنون، آية ٢٧.

نزلنا في ضمن تكرار قصة نوح عليه السلام لبيان زوايا مختلفة من القصة.

﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ (١).

﴿وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَنْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ (٢).

فالآية الأولى نزلت في قصة هود، والثانية في قصة موسى.

﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَنِينٌ﴾ (٣).

﴿... وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيرِهِمْ جَنِينٌ﴾ (٤).

الآية الأولى نزلت في عذاب قوم صالح، والثانية نزلت في قوم شعيب والتأنيث في

الثانية «أخذت» لكثرة استعمال التأنيث قبلها.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (٥).

﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَآهْلَكَ إِلَّا أَمْزَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ (٦).

نزلنا لبيان ورود الملائكة على لوط ليلاً لعقاب قومه وكل آية تكشف عن وجه من

وجوه القصة.

﴿قَالُوا يَسْلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ

١- سورة هود، آية ٦٠.

٢- سورة هود، آية ٩٩.

٣- سورة هود، آية ٦٧.

٤- سورة هود، آية ٩٤.

٥- سورة هود، آية ٧٧.

٦- سورة العنكبوت، آية ٣٣.

مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَاتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿١﴾
﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ (٢).

نزلنا في ضمن قصة لوط وقومه وتكررت لذكر مالم يذكر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ (٣).
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (٤).

نزلنا في ضمن قصة موسى.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ (٥).
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾ (٦).
﴿... وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا

١- سورة هود، آية ٨١.

٢- سورة الحجر، آية ٦٥.

٣- سورة هود، آيتي ٩٦ و ٩٧.

٤- سورة المؤمن، آيتي ٢٣ و ٢٤.

٥- سورة هود، آية ١١٠.

٦- سورة فصلت، آية ٤٥.

الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنِ شَكَ مِنْهُ مُرِيبٌ ﴿١﴾

نزلت هذه الآيات تسليية لقلب النبي ﷺ مرّة بعد مرّة وذلك لتكرار الانكار والتكذيب والافتراء عليه، والتسليية بعد كل انكار ليست بتكرار، مع أنّه قيل إنّ آيتي هود وفصلت نزلت في قوم اليهود، يعني أنّهم في كتابهم مرييون بعد، وأما الآية الثالثة نزلت في أمم الأنبياء من اولوالعزم، كما صرّحت بهم الآية السابقة عليها.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٢).

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (٣).

قد تكررت نحو هذين الآيتين في عشر مواضع من القرآن لإسباب مختلفة، ويمكن ان يقال إنّ المشار اليه في كلّ آية مختلف فالآية في سورة يوسف اشارت الى هذه السورة و... كما أنّه روى أنّ علماء اليهود قالوا للمشرّكين لم ينتقل آل يعقوب من الشام الى مصر؟ فأنزل الله تعالى سورة يوسف وعبر عن القصة بالفاظ عربية حتّى يفهمها ويمكن لهم انّ يعقلوها ويهتدوا بها.

﴿... قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (٤).

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٥).

١- سورة الشورى، آية ١٤.

٢- سورة يوسف، آية ٢.

٣- سورة الزخرف، آية ٣.

٤- سورة يوسف، آية ١٨.

٥- سورة يوسف، آية ٨٣.

ان اخوة يوسف لما قالوا لأبيهم ان يوسف قد أكله الذئب واحتجوا على صدقهم بالقميص الملوخ بالدم، قال يعقوب رداً لقولهم «بل سولت لكم» اي زينت لكم انفسكم امراً غير ما تقولون».

وثانياً أنهم لما قالوا لأبيهم بأن اخوهم بنيامين قد سرق، قال يعقوب نفس ما قال في يوسف.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١).

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

ان الآية الأولى نزلت في قصة يوسف والثانية نزلت في قصة موسى عليه السلام.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ، إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (٣).

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنَاصِبُ﴾ (٤).

ففي الآية الأولى بعد نقل هذه الفكرة الباطلة، اكدت ان الوظيفة المهمة والاساسية للأنبياء هي الارشاد فيجب عليهم عدم الالتفات لهذه الاقتراحات غير الصحيحة بعد نزول المعجزات القوية، والآية الثانية، تتحدث عن علة لجأهم وهي ضلالهم.

﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٥).

١- سورة يوسف، آية ٢٢.

٢- سورة القصص، آية ١٤.

٣- سورة الرعد، آية ٧.

٤- سورة الرعد، آية ٢٧.

٥- سورة الحجر، آية ١٢.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١).

استعمل لفظ المستقبل في الآية الاولى لما تقدمها من الأخبار عن كفار قريش لبقاء كفرهم ولفظ المستقبل يدل على الاستمرار والثبوت، وجاءت الثانية بلفظ الماضي لما تقدمها من الأخبار عن الأنبياء وانقطاع زمانهم وهلاك اقوامهم من قبل. مع انّ اختلاف المشار إليه في الآيتين يكفي في عدم تكرارها.

﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (٢).

﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ (٣).

﴿... وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (٤).

نزل هذه الآيات في خلال قصة ابراهيم عليه السلام.

﴿... وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥).

﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٦).

يمكن ان نلتزم بنوع من الاختصاص في الآية الثانية بملاحظة ما قبلها ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا مِّنْ حَبْلٍ لَّيْسَ مِنْهَا

١- سورة الشعراء، آية ٢٠٠.

٢- سورة الحجر، آية ٥٣.

٣- سورة الصافات، آية ١٠١.

٤- سورة الذاريات، آية ٢٨.

٥- سورة الحجر، آية ٨٨.

٦- سورة الشعراء، آية ٢١٥.

وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٢).

الآيتان تشيران الى آية من الآيات الآفاقية من البحار وما كان فيها ولا يعد من التكرار بعد ما جاء فيهما من اختلاف في التعبير.

﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٣).

﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٤).

﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٥).

نزلت الآية الأولى في المقتسمين وهم ستة عشر رجلاً الذين خرجوا الى عقاب مكة ايام الحج على طريق الناس على كل عقبة اربعة منهم ليصدوا الناس عن النبي فاذا سألهم الناس عن رسول الله ﷺ وما اتى به، قالوا: ليس ما جاء به رسول الله بجديد، ان هو الا اساطير الأولين.

ونزلت الثانية في بيان طائفة من الناس وهم الذين كفروا يساقون الى جهنم زمرا وطائفة أخرى هم الذين اتقوا ربهم ويساقون الى الجنة زمرا، ونزلت الثالثة في الذين يجادلون في آيات الله.

١- سورة النحل، آية ١٤.

٢- سورة الفاطر، آية ١٢.

٣- سورة النحل، آية ٢٩.

٤- سورة الزمر، آية ٧٢.

٥- سورة غافر، آية ٧٦.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (١).

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٢).

تتحدث الآية الأولى عن عاقبة أمر المشركين الذين ينتظرون ان تأتيهم الملائكة، والثانية تتحدث عن جزاء الكافرين المنكرين ليوم البعث الذين اذا قيل لهم ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها، قالوا: ما ندرى ما الساعة.

﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْجَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣).

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٤).

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَدَّاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةٌ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٥).

هذه الآيات نزلت تهديداً للمشركين ولجميع الناس الذين يلتجئون الى الله تعالى عند الاضطرار وفي كل بلاء وهم نزل عليهم.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ

١- سورة النحل، آيات ٣٤.

٢- سورة الجاثية، آية ٣٣.

٣- سورة النحل، آيات ٥٣ الى ٥٥.

٤- سورة العنكبوت، آيتي ٦٥ و ٦٦.

٥- سورة الروم، آيتي ٣٣ و ٣٤.

مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعْدُونَ» (١).

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ (٢).

كم من فرق بين العبارتين «بظلمهم» و«بما كسبوا» مع أنّ ملاحظة السياق والآيات السابقة عليهما تتضح بعض مصاديق الظلم وما كسبوا.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّيْكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْأَعْمُرِ لِكَيَّ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (٣).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَتُقَرُّوا فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْأَعْمُرِ لِكَيَّلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا...﴾ (٤).

الآية الثانية كانت تفسير لما «خلقكم» في الآية الأولى، فالفرق بين الآيتين هو الاجمال والتفصيل.

﴿... وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٥).

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٦).

١- سورة النحل، آية ٦١.

٢- سورة الفاطر، آية ٤٥.

٣- سورة النحل، آية ٧٠.

٤- سورة الحج، آية ٥.

٥- سورة النحل، آية ٧٨.

٦- سورة المؤمنون، آية ٧٨.

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (١).

فهذه الآيات بالاضافة الى اختلاف الفاظها، مختلفة السياق ايضاً.

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٢).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ (٣).

هذا لا يعد من التكرار بعد اختلاف الالفاظ الذي موجود فيهما.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤).

﴿... وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٥).

﴿... وَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٦).

نزلت الآية الأولى لبيان ثواب الصابرين، والثانية نزلت لبيان ثواب من عمل عملاً صالحاً من ذكر أو أنثى، والثالثة نزلت جزاء للمحسنين والمتقين.

﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (٧).

١- سورة الملك، آية ٢٣.

٢- سورة النحل، آية ٧٩.

٣- سورة الملك، آية ١٩.

٤- سورة النحل، آية ٩٦.

٥- سورة النحل، آية ٩٧.

٦- سورة الزمر، آية ٣٥.

٧- سورة النحل، آية ١٢٧.

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (١).

نزلت الآية في ضمن عشر اصول من برنامج الاسلام لمواجهة المخالفين وتبيين فيها الدعوة الى الحق وسبيلها وكيفية العقاب والعفو وأسلوب الصمود امام مؤامراتهم وغير ذلك، ونزلت الآية الثانية بعد الحديث عن انكار المعاندين والذين يكذبون ويستهزئون بيوم الدين تسلية لقلب النبي ﷺ.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ (٢).

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٣).

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (٤).

ليست بتكرار بعد ما نرى من اختلاف الناس في قبولهم للقرآن والأخذ به.

﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَّتًا آءِنَّا لَمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٥).

﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِشَايَتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَّتًا آءِنَّا لَمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٦).

الآيتان تبحثان عن المعاد وبيان تسائل المنكرين وهل يمكن ان تجتمع هذه العظام البالية؟ ففي الآية الأولى تبين جهلهم وضلالتهم، والثانية نزلت لبيان عقابهم.

١- سورة النمل، آية ٧٠.

٢- سورة الاسراء، آية ٤١.

٣- سورة الاسراء، آية ٨٩.

٤- سورة الكهف، آية ٥٤.

٥- سورة الاسراء، آية ٤٩.

٦- سورة الاسراء، آية ٩٨.

﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ (١).

﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (٢).

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٣).

﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٤).

قيل في سبب نزول الآية الأولى، أنها نزلت في أهل مكة بعد أن قرروا اخراج النبي ﷺ ثم بدلوا رأيهم وارادوا قتله في الليلة المشهورة بـ«ليلة المبيت» ولكن الله أخبره وامره بالهجرة، ونزلت الثانية في زواج النبي ﷺ بزينب بنت جحش التي كانت زوجة زيد بن حارثة، ونزلت الثالثة في جماعة من المنافقين كانوا في المدينة فاذا خرج النبي في بعض غزواته اخذوا يطلقون الشائعات ويقولون قتل النبي او اسر فيقتل المسلمون لذلك ويشكون في رسول الله، والآية الرابعة نزلت بعد آيات تتحدث عن الحديدية، فقال الله تعالى ﴿وَلَوْ فَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٥) ثم قال هذا من «سنة الله التي خلت من قبل و...».

﴿وَإِذَا آتَيْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَّ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ (٦).

﴿وَإِذَا آتَيْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَّ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ

١- سورة الأسراء، آية ٧٧.

٢- سورة الأحزاب، آية ٣٨.

٣- سورة الأحزاب، آية ٦٢.

٤- سورة الفتح، آية ٢٣.

٥- سورة الفتح، آية ٢٢.

٦- سورة الاسراء، آية ٨٣.

عَرِيضٍ ﴿١﴾.

هذه الآيات تشير الى مرض نفسي في الانسان فهو اذا اغدق عليه بنعمه اعرض ونأى بجانبه واذا أبتلي ببلاءٍ يئس من رحمة الله كما في الآية الأولى أو يظهر عجزه كما في الآية الثانية.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ (٢).

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ (٣).

الآية الأولى تشير الى تذرع المشركين وأعراضهم عن قبول دعوة الحق بأنه بشر مثلهم، وفي الآية الثانية قد بين ان انكارهم يبقى الى ان يصيبهم العذاب كما نزل على الامم السابقة.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُّوا﴾ (٤).

﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٥).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْنَىٰ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ

١- سورة فصلت، آية ٥١.

٢- سورة الاسراء، آية ٩٤.

٣- سورة الكهف، آية ٥٥.

٤- سورة الاسراء، آية ٩٩.

٥- سورة يس، آية ٨١.

يُحْيِي، الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (١).

الآية الأولى نزلت بعد استبعاد المعاندين من تحقق المعاد الجسماني بأنه أمر غير ممكن، فاستدل القرآن ببرهان واضح على امكانه ووقوعه.

والآية الثانية نزلت في ضمن البراهين التي اقيمت على المعاد من كيفية خلق آدم، والآية الثالثة وهي من آخر آيات سورة الأحقاف تبحث عن المعاد لأنه قد جاء في الآيات التي كانت قبلها الحديث من المعاد على قول مبلغ من الاجنة، أو لأنه قد جاءت هذه السورة لبيان التوحيد وتختتم بالمعاد وهو ختام حسن مع ما فيهما من الاختلاف في التعبير.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ، فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ (٢).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ، ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ (٣).

نزلت الآية الاولى في مجموعة من الكفار المتعصبين الذين يجادلون بالباطل ويدحضون الحق ويتخذون آيات الله هزوا، وجاءت في الثانية ان الله تعالى بعد ان يستخدم كل وسائل التوعيد لنجاة المجرمين الذين يكذبون بيوم الدين من ارسال الأنبياء وانزال الكتب و... ينتقم منهم والله عزيز ذوانتقام.

١- سورة الأحقاف، آية ٣٣.

٢- سورة الكهف، آية ٥٧.

٣- سورة السجدة، آية ٢٢.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (١).

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٢).

قال صاحب مجمع البيان في سبب تكرار الآيتين:

«اعادة هذا القول لتأكيد الأمر عليه والتحقيق لما قاله أولاً مع النهي عن العود بمثل

سؤاله» (٣).

ولكن أقول، ليس هذا بتكرار قط لأنَّ كلَّ كلام كان في جواب شئٍ وعند حدوث واقعة.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنبِيَآ إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (٤).

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ (٥).

ان المدار الاساسي في آية الكهف هو نفس الغلو والمبالغة التي يصورها المشركون للأنبياء ﷺ، ثم اهدى طريقاً لمن كان يرجوا لقاء ربّه، وأما المحور الأساسي في آية فصلت هو نفى الشرك وذلك بملاحظة كلمات الآيات وسياقها.

﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (٦).

١- سورة الكهف، آية ٧٢.

٢- سورة الكهف، آية ٧٥.

٣- تفسير مجمع البيان، ج ٦، ص ٣٧٠.

٤- سورة الكهف، آيتي ١٠٩ و ١١٠.

٥- سورة فصلت، آية ٦.

٦- سورة مريم، آية ١٥.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (١).

الآية الأولى في يحيى والثانية في عيسى عليه السلام في الآية الأولى من الله تعالى
وأما في الثانية عيسى عليه السلام يسلم على نفسه.

فقد جاء في تفسير الميزان:

«نعم بين التسليمتين فرق، فالسلام في قضية يحيى نكرة يدل على النوع، وفي هذه
القصة (عيسى بن مريم عليه السلام) محلى بلام الجنس يفيد بإطلاق الاستغراق» (٢).

﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَاخْتَلَفَ الْأَخْرَابُ مِنْ
بَيْنِهِمْ قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَاخْتَلَفَ الْأَخْرَابُ مِنْ
بَيْنِهِمْ قَوْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ (٤).

نزلت هذه الآيات في خلال قصة عيسى عليه السلام وهو أما نقل كلامه على لسانه أو بيان
وحكاية عن قوله، ثم بين في كلا السورتين اختلاف النصارى بعد نبئهم.

﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ
عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ (٥).

﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَاءَتِيبُكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِسِهَابٍ

١- سورة مريم، آية ٣٣.

٢- تفسير الميزان، ج ١٤، ص ٤٧.

٣- سورة مريم، آيتي ٣٦ و ٣٧.

٤- سورة الزخرف، آيتي ٦٤ و ٦٥.

٥- سورة طه، آية ١٠.

قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَضْطَلُونَ ﴿١١﴾.

فَالْآيَاتَانِ وَإِنْ كَانَتَا فِي صَدَدٍ بَيَانٍ شَيْءٍ وَاحِدٍ مِنْ قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لَكِنَّمَا جَاءَتَا فِي ضَمَنِ قِصَّتِهِ وَقَدْ كَشَفْنَا عَنْ زَوَايَا أُخْرَى مِنْهَا.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ (٢).

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (٣).

قد تكررت الآية لمناسبتها بالسياق مع الآيات وإن الآية الأولى اعم بالنسبة الى الثانية.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ (٤).

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِمْ مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ (٥).

قد تكررت الآية الثانية في خلال عدِّ بعض الآيات الالهية مع ان كليهما جاءتا بعد نزول آيات في إعراض بعض الناس عن آيات الله تعالى.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ

١- سورة النمل، آية ٧.

٢- سورة طه، آية ٥٣.

٣- سورة الزخرف، آية ١٠.

٤- سورة طه، آية ١٢٨.

٥- سورة السجدة، آية ٢٦.

ءَانَايِ الْبَلِّ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١﴾

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ *
وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾ (٢).

امر الله الرسول ﷺ بالصبر على ما يقوله المعاندون وما يفترون عليه افتراءات مختلفة في مدة نيف وعشرين سنة. هذا، مع ان فيهما من العبارات المختلفة التي تعطي معاني جديدة.

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٣).

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُّحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُّغْرِبِينَ﴾ (٤).

ان الآيه الأولى وصف لعامة الناس، والثانية وصف للذين كذبوا، مضافا الى الفرق بين اللعب والاعراض.

﴿وَإِذَا رَأَوْاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ ءَاهْتَكُمُ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (٥).

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِنَّ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ (٦).

السبب الأساسي للاستهزاء بالنبي ﷺ في الآية الأولى ذكر آلهة المشركين بخلاف الآية الثانية.

١- سورة طه، آية ١٣٠.

٢- سورة ق، آيتي ٣٩ و ٤٠.

٣- سورة الأنبياء، آية ٢.

٤- سورة الشعراء، آية ٥.

٥- سورة الأنبياء، آية ٣٦.

٦- سورة الفرقان، آية ٤١.

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (١).

﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٢).

ان الآيتين نزلتا في خلال قصة إبراهيم مع ان الفرق بين الأخسر الذي يستعمل كثيراً ما في المقتضيات الخارجية كالمال والجاه، والأسفل وهو ضد الأعلى أو أسفل طبقة من النار، يكفينا بان نقول كل آية تتكلم عن شئ لم يذكر في الاخرى.

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلُّ

إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ (٣).

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ * فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ (٤).

تتكلم كل آية عن اتحاد منهج الأنبياء واختلاف امهم وفي الثانية اشارت الى سبب من أسباب الاختلاف وهو فرح كل حزب بما لديهم.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَقَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُّرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (٥).

١- سورة الأنبياء، آية ٧٠.

٢- سورة الصافات، آية ٩٨.

٣- سورة الأنبياء، آيتي ٩٢ و ٩٣.

٤- سورة المؤمنون، آيتي ٥٢ و ٥٣.

٥- سورة الحج، آية ٥.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١).

الحديث في الآيتين عن المراحل المختلفة لخلق الانسان وما في سورة الحج كان اعم بالنسبة الى ما في سورة المؤمن مع ان الآية الأولى نزلت بياناً لإثبات المعاد، حيث بين الله تعالى حياة الأرض بعد موتها ثم قال: «ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شئ قدير».

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (٢).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ (٣).

الآية الثانية اعم بالنسبة الى الأولى ونزلت في واقعة بدر عندما نزل الى ساحة الحرب «على النبي» و«حمزة» و«عبدة بن الحارث» فقتلوا «الوليد بن عتبة» و«عتبة بن ربيعة» و«شيبة بن ربيعة».

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٤).
﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَأُوتُوا النَّارَ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (٥).

نزلت الآية الأولى في الوليد بن عتبة وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ونزلت الثانية في

١- سورة المؤمنون، آية ٨٠.

٢- سورة الحج، آية ١٤.

٣- سورة الحج، آية ٢٣.

٤- سورة الحج، آية ٢٢.

٥- سورة السجدة، آية ٢٠.

«الوليد بن عقبة» وذلك لأنه قال لعلي عليه السلام «انا أبسط منك لسانا واحداً منك سنانا» فقال علي عليه السلام: ليس كما تقول يا فاسق (١).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٢).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٣).

روى أن المشركين بعضهم واجهوا المسلمين قبل انتهاء شهر المحرم، فقال بعضهم إن المسلمين لا يحاربون في هذا الشهر، فبدأوا بمحاجة المسلمين وعندما لم يفد ردعهم عن القتال، قتلوهم بنصرة من الله تعالى فنزلت «ذلك ومن عاقب بمثل...» وعلمه «ذلك بأن الله هو الحق...»، وأما الآية الثانية، فهي نتيجة لعدة من الآيات الإلهية من خلقه السموات والأرض وملكه وسعة كلماته و....

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٤).

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٥).

في الآية الثانية أكد سبحانه وتعالى ما أجاب الكافرون عند ما سئلوا من خلق السموات والأرض؟ «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله...» (٦).

١- ارجع الى تفسير مجمع البيان، ج ٨، ص ١٠٩.

٢- سورة الحج، آية ٦٢.

٣- سورة لقمان، آية ٣٠.

٤- سورة الحج، آية ٦٤.

٥- سورة لقمان، آية ٢٦.

٦- سورة لقمان، آية ٢٥.

فأكد قولهم بأن له جميع ما في السموات والأرض فضلاً عن خلقه، فيتصرف فيه كما يريد، فلا يضره اعتراض المعترضين ولا ينفعه حمد الحامدين لأنه هو الغني الحميد.

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَسَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١).

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُسْلِمِينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّتَ الَّذِينَ * وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَسَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ (٢).

قد وصف المؤمنون في سورة المؤمنون ووصف المصلون في سورة المعارج مع ما فيهما من الاختلاف في بعض الأوصاف.

﴿... لَكُمْ فِيهَا فَوَاحِشٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٣).

١- سورة المؤمنون، آيات ١ إلى ١١.

٢- سورة المعارج، آيات ١٩ إلى ٣٥.

٣- سورة المؤمنون، آية ١٩.

﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (١).

نزلت الآية الأولى في جنّات الدنيا فانشأها الله تعالى بسبب نزول الماء من السماء بقدر، والثانية في الجنة.

﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ، مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ (٢).

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ الْأَخْزَةِ وَآثَرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ (٣).

نزلت الأولى في محاجة قوم نوح مع نبيهم ﷺ والثانية في جماعة آخرين من بعد نوح وقيل هم قوم هود وقيل هم قوم ثمود.

﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ * قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٤).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٥).

قد تكرّر في القرآن ذكر استبعاد الكفار من حياتهم الثانوية وبما ان استبعادهم هذا من الحيل التي لا يلتزمون بها عقلاً ولا تخرجهم من عذاب وجدانهم قطعاً، فالله تعالى، جاء بها في مواضع مختلفة في القرآن وقد حكى اقرارهم بالمبدأ «ولئن سألتهم... ليقولن الله»

١- سورة الزخرف، آية ٧٣.

٢- سورة المؤمنون، آية ٢٤.

٣- سورة المؤمنون، آية ٣٣.

٤- سورة المؤمنون، آيات ٨١ الى ٨٣.

٥- سورة النمل، آيتي ٦٧ و ٦٨.

حتى جعلهم فيما يفرون منه.

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (١).

﴿وإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ (٢).

الآية الأولى هي جواب السحرة في عهد موسى عليه السلام، الذين غمر قلوبهم الايمان بالله تعالى فهم لم يهابوا من تهديد فرعون وقالوا «لاضير لنا انا...» والآية الثانية تدل على مطلق الرجوع الى الله تعالى.

﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٣).

﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٤).

نزلت الأولى في قصة صالح والثانية في شعيب.

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٥).

﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (٦).

نزلت الأولى وصفا للمؤمنين والثانية صفة للمحسنين.

﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا وَلَمْ يُعِقِّبْ يَمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي

لَا يَخَافُ لَدَىٰ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٧).

١- سورة الشعراء، آية ٥٠.

٢- سورة الزخرف، آية ١٤.

٣- سورة الشعراء، آية ١٥٤.

٤- سورة الشعراء، آية ١٨٦.

٥- سورة النمل، آية ٣.

٦- سورة لقمان آية ٤.

٧- سورة النمل، آية ١٠.

﴿وَأَنْ أَلْتِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ (١).

قد تكررت في قصة موسى لبيان زوايا مختلفة من هذه القصة مع ما فيها من الاختلاف في المضمون.

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوُهُ دَاخِرِينَ﴾ (٢).

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (٣).

ذكرت الآية الثانية نفختين، نفخة الامامة ونفخة الأحياء بخلاف الآية الأولى فهي تتكلم عن النفخة الثانية فقط.

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمْوَسَىٰ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتُمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (٤).

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَنْقُومِ الْمُتَّبِعُونَ الْمُزْسِلِينَ﴾ (٥).

نزلت الأولى في مؤمن آل فرعون وهو «حزقيل» والثانية في مؤمن انطاكية وهو «حبيب النجار».

﴿وَمَا أَوْتِيتُمْ مِّن شَيْءٍ فَتَنِعُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا

١- سورة القصص، آية ٣١.

٢- سورة النمل، آية ٨٧.

٣- سورة الزمر، آية ٦٨.

٤- سورة القصص، آية ٢٠.

٥- سورة يس، آية ٢٠.

تَقُولُونَ» (١).

﴿فَمَا أَوْتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَتَنَعُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢).

الآية الأولى هي جواب ثالث عن المشركين في مكّة الذين قالوا: ان نؤمن بالله واليوم الآخر يهجم العرب علينا هجوماً ويهلكونا هلاكاً ويخطفوننا من ارضنا فتركنا الدين لنلا نفوتنا الدنيا، فبين ان ما عندالله خير وابقى، والآية الثانية، في بيان تصغير الدنيا ليقبل الناس ادلة التوحيد التي نزلت قبلها.

﴿... اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ...﴾ (٣).

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ (٤).

نزلت الآية الاولى حكاية عن ندامة المشاهدين لقارون «فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم» فلما نزل البلاء عليه وخسف الله به وبداره الأرض، يقولون هؤلاء الذين تمنوا ان يكونوا مكان قارون: «ويكأن».

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٥).

١- سورة القصص، آية ٦٠.

٢- سورة الشورى، آية ٣٦.

٣- سورة القصص، آية ٨٢.

٤- سورة العنكبوت، آية ٦٢.

٥- سورة العنكبوت، آية ٢٢.

﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (١).

نزلت الأولى في بيان عجز الناس من دفع العذاب يوم القيامة، ونزلت الآية الثانية في بيان عجز الناس من دفع البلاء الدنيوي مع أنّ ذكر «السماء» في الأولى دون الثانية وما فيها من اللطائف، يكفي في أنّ نقول: لا يوجد هنا تكرار قط.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٢).

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ (٤).

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لِيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (٥).

ما نقوله ذيل آيات ٨١ الى ٨٣ من سورة المؤمنون يفيدنا هنا، مع أنّ الاختلاف في الجواب إنّ لم يكن على وجه الحكاية، دليل تام على تعدد هذه الاسئلة من الكفار والمشرّكين.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

١- سورة الشورى، آية ٣١.

٢- سورة العنكبوت، آية ٦١.

٣- سورة لقمان، آية ٢٥.

٤- سورة الزمر، آية ٣٨.

٥- سورة الزخرف، آية ٩.

يُؤْمِنُونَ» (١).

«أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» (٢).

نزلت الآية الأولى بعد الحديث عن الفرح والياس العارض على الانسان عند نزول نعمة أو حدوث بلاء، فقال الله تعالى ان النعمة كلها بيده تعالى وهو يبسطها ويقدرها وليس هذا ببعيد عن الانسان بل هو يراه بعينه.

ونزلت الثانية بعد التكلم عن دعاء الانسان واستغاثته عند زوال النعمة واعراضه عنه عند نزولها، فقال الله تعالى إنه يعلم ويعتقد بان الله هو يقدر ويبسط الرزق. مضافاً الى الاختلاف في السياق بين الآيتين الذي منه يعرف عند الدقة فى لفظى «يروا» و «يعلموا» الفرق بينهما.

«وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (٣).

«اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (٤).

اشارت الآية الأولى الى السبب المادى لحركة الفلك بخلاف الآية الثانية.

«وَإِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ

١- سورة الروم، آية ٣٧.

٢- سورة الزمر، آية ٥٢.

٣- سورة الروم، آية ٤٦.

٤- سورة الجاثية، آية ١٢.

يُعَذِّبُ أَلِيمٌ ﴿١﴾

﴿يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ

أَلِيمٍ﴾ (٢)

نزلت الآية الاولى في «النضر بن حارث» الذي كان تاجراً يسافر الى فارس فاشترى كتاب «كليلة و دمنه» وتعلم قصة رستم واسفنديار والا كاسرة فيأتي بها الى قريش ويقول انّ محمّد ﷺ يحدث بحديث عاد وثمود وانا احديثكم بحديث «رستم واسفنديار» أو نزلت في رجل اشترى جارية مغنية وكانت هي تغنيه ليله ونهاره فتشغله عن ذكر الله.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلُہُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾ (٣)

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٤)

ان الآية الثانية كانت مفسرة للآية الاولى مع ما فيها من المعارف الجديدة.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥)

١- سورة لقمان، آية ٧.

٢- سورة الجاثية، آية ٨.

٣- سورة لقمان، آية ١٤.

٤- سورة الاحقاف، آية ١٥.

٥- سورة سباء، آية ٣٦.

﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (١).

الآية الأولى نزلت في الكفار ولم تذكر فيها لفظة «عباده»، والثانية نزلت في المؤمنين وذكر الله تعالى فيها «من عباده» وقال: «لمن يشاء من عباده».

قال الطبرسي في تفسيره:

«أما كرهه سبحانه لاختلاف الفائدة، فالأول توبيخ للكافرين وهم المخاطبون به والثاني وعظ للمؤمنين فكأنه قال: ليس اغناء الكفار واعطائهم بدلالة على كرامتهم وسعادتهم بل يزيدهم ذلك عقوبة، واغناء المؤمنين يجوز ان يكون زيادة في سعادتهم بان ينفقوها في سبيل الله ويدل عليه قوله «ما انفقتم من شئ فهو يخلفه» أي: وما أخرجتم من أموالكم في وجوه البر، فإنه سبحانه يعطيكم خلفه وعوضه، أما في الدنيا بزيادة النعمة وأما في الآخرة بثواب الجنة» (٢).

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَنِيدُونَ﴾ (٣).

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ (٤).

نزلت الآية الأولى في بيان لنفخة الأولى التي بها يموت الخلق كلهم وقيل عندما قتلوا الكفار «حبيب النجار» غضب الله عليهم فصاح جبرائيل بهم صحيحة فماتوا عن آخرهم فلا يسمع لهم حس كالنار اذا طفئت.

ونزلت الثانية في النفخة الثانية في يوم القيامة التي يحيى الله تعالى الخلق من الجن

١- سورة سباء، آية ٣٩.

٢- تفسير مجمع البيان، ج ٨، ص ٢٢٢.

٣- سورة يس، آية ٢٩.

٤- سورة يس، آية ٥٣.

﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنْتَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (١).

﴿يَقُولُ أَأَنْتَ لِمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَأَنْتَا لَمَدِينُونَ﴾ (٢).

نزلت الآية الأولى حكاية عن قول المنكرين المكذبين بيوم الدين، ففي هذه الآية حكى الله تعالى تسائلهم، ونزلت الثانية في محادثة أهل الجنة حكى فيها عما وقع بين مؤمن وقرين له في الكفار في الجنة.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٣).

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (٤).

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ﴾ (٥).

قال صاحب الميزان في تفسير آلاية الأولى:

«تخاصم واقع بين الاتباع يوم القيمة.... فالبعض الأول هم المعترضون والبعض الثاني المعترض عليهم (٦).

وقال الرازي في تفسيره:

«قيل هم الكفار والشياطين، وقيل الرؤساء والاتباع، أي يسأل بعضهم بعضاً وهذا

التسائل عبارة عن التخاصم وهو سؤال التبكيت، يقولون: غررتمونا، ويقول اولئك لم

١- سورة الصافات، آية ١٦.

٢- سورة الصافات، آيتي ٥٢ و ٥٣.

٣- سورة الصافات، آية ٢٧.

٤- سورة الصافات، آية ٥٠.

٥- سورة القلم، آية ٣٠.

٦- تفسير الميزان، ج ١٧، ص ١٣٤.

قبلتم منا، وبالجمله فليس ذلك التسائل المستفهمين، بل هو تساؤل التوبيخ واللوم والله أعلم» (١).

وقال صاحب الميزان في تفسير الآية الثانية:

«حكاية محادثة تقع بين أهل الجنة، فيسأل بعضهم عن أحوال بعض ويحدث بعضهم بما جرى عليه في الدنيا وتنتهي المحادثة الى تكليمهم بعض أهل النار وهو في سواء الجحيم... فضمير الجمع لأهل الجنة من عباد الله المخلصين وتساؤلهم سواء بعضهم عن بعض ممّا جرى عليه» (٢).

وقال الرازي:

«ولما تم الله صفات أهل الجنة قال «فاقبل...»... والمعنى: فقبل بعضهم على بعض (من أهل الجنة) يتسائلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا» (٣).

وأما الآية الثالثة فهي نزلت في أصحاب الجنة لما رأوا ما قد حلّ بهم، أقبل بعضهم على بعض يلومون أنفسهم فيما عزموا عليه.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ (٤).

﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ (٥).

نزلت الأولى في عذاب المجرمين فهم معذبون مثل الذين قالوا: «ما كان عليكم من سلطان»، ونزلت الثانية في هلاك المجرمين في الدنيا كالأمم السابقة مثل قتلهم يوم بدر

١- تفسير الكبير، ج ٢٥، ص ١٣٤.

٢- تفسير الميزان، ج ١٧، ص ١٣٩.

٣- تفسير الكبير، ج ٢٦، ص ١٣٩.

٤- سورة الصافات، آية ٣٤.

٥- سورة المرسلات، آية ١٨.

﴿إِنَّا كَذَّالِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١).

﴿كَذَّالِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

﴿إِنَّا كَذَّالِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣).

﴿إِنَّا كَذَّالِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٤).

نزلت الأولى في جزاء نوح، والثانية في جزاء إبراهيم، والثالثة في موسى وهارون، والرابعة في الياسين عليه السلام.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (٥).

﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ (٦).

نزلت الأولى في الدنيا أي ابصر أحوالهم في الدنيا، والثانية في الآخرة.
قال الطبرسي في تفسيره:

«أما كرر ماسبق للتأكيد، وقيل لأنَّ المراد باحداهما عذاب الدنيا، وبآخر عذاب

الآخرة أي فكن على بصيرة من أمرك فسوف يكونون على بصيرة من أمرهم حين لا
ينفعهم» (٧).

١- سورة الصافات، آية ٨٠.

٢- سورة الصافات، آية ١١٠.

٣- سورة الصافات، آية ١٢١.

٤- سورة الصافات، آية ١٣١.

٥- سورة الصافات، آية ١٧٥.

٦- سورة الصافات، آية ١٧٩.

٧- تفسير مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٣٩.

وقال الطباطبائي في تفسير الآية الثانية:

«تأكيد بما مرّ بتكرار الآيتين على ما قيل، واحتمل بعضهم ان يكون المراد بما تقدّم التهديد بعذاب الدنيا، وبهذا التهديد بعذاب الآخرة، ولا يخلو من وجه، فان الواقع في الآية «وابصر» من غير مفعول كما في الآية السابقة من قوله «وأبصرهم» والحذف يشعر بالعموم وان المراد أبصار ما عليه عامة الناس من الكفر والفسوق ويناسبه التهديد بعذاب يوم القيمة» (١).

﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ﴾ (٢).

﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (٣).

نزلت الآية الاولى في اشراف قريش وهم خمسة وعشرون رجلاً جاؤا لأبي طالب وقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا وآتيناك لتقضى بيننا وبين ابن اخيك، أنه قد سفه احلامنا وسب آلَتنا وافسد شبابنا وفرق جماعتنا.

فدعا أبو طالب ابن أخيه ﷺ وقال: يا بن أخيه هؤلاء قومك يسألونك، قال ﷺ: ماذا يسألونني؟ قال: دعنا وآلهتنا ندعك والهك، فقال ﷺ: اتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب والعجم، فقال أبو جهل: لله أبوك نعطيك ذلك عشر أمثالها، فقال ﷺ: قولوا لا اله الا الله تفلحوا، فقاموا وقالوا: انجعل الآلهة الهاً واحداً.

وروى ان رسول الله ﷺ قال: والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركته، ولكن يعطوني كلمة يملكون بها العرب ويدين لهم بها العجم ويكونون ملوكاً

١- تفسير الميزان، ج ١٧، ص ١٧٩.

٢- سورة ص، آية ٤.

٣- سورة ق، آية ٢.

ونزلت الثانية في بيان القرآن جانباً من اشكالات الكفار والمشركين.

﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُوقُوا عَذَابِي﴾ (٢).
﴿أَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرُّ﴾ (٣).

نزلت الآية الأولى في الكفار الذين ينكرون ويكذبون النبوة، ونزلت الثانية في قوم ثمود، فقد قال المكذبين من كفار مكة نفس ما قاله الكفار من الأمم السالفة.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَخْرَابُ﴾ (٤).

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِي﴾ (٥).

قد جاء في سورة «ق» قومان لم يذكر في سورة «ص» وهي قوم «تبع» و «الأيكة».

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَرَّتْهُ مَصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَبًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (٦).

١- ارجع الى تفسير الميزان، ج ١٧، ص ١٨٧.

٢- سورة ص، آية ٨.

٣- سورة قمر، آية ٢٥.

٤- سورة ص، آيتي ١٢ و ١٣.

٥- سورة ق، آيات ١٢ الى ١٤.

٦- سورة الزمر، آية ٢١.

﴿كَمْثَلٍ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَبًا...﴾ (١).

نزلت الآية الأولى دليلاً للمعاد وتتميماً للأبحاث التي مضت في الآيات السابقة عليها، وفي الآية الثانية ذكرت ان الانسان يمرّ بمراحل خمس في الدنيا كالزراع.

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٢).

﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٣).

نزلت الأولى في ضمن حكم ثالث من أحكام ثلاثة يحكم الله تعالى بها يوم القيمة على المشركين الظالمين من تحقق العذاب عليهم ولو يفتدى بما في الأرض لو كان لهم، ومن ظهور ظنونهم الباطلة وفي هذه الآية نزلت تجسّد أعمالهم السيئة، ونزلت الثانية في بيان عذاب الكافرين المستكبرين على آيات الله ودعوة الأنبياء، فجزاء هؤلاء تجسيد ذنوبهم امام اعينهم.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٤).

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْفَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (٥).

بعد ماترى من اختلاف المشار إليه في الآيتين وما جاء في العذاب لا يمكن القول بال تكرار في القسمين المتماثلين من الآيتين.

١- سورة الحديد، آية ٢٠.

٢- سورة الزمر، آية ٤٨.

٣- سورة الجاثية، آية ٣٣.

٤- سورة غافر، آية ٢٢.

٥- سورة التغابن، آية ٦.

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ (١).
 ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا
 عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ (٢).

تبين الآية الأولى عقيدة العرب في العصر الجاهلي فهم يشركون بالله ويظنون أن
 الملائكة بنات لله تعالى ويستندون في عقيدتهم الخرافية الى عقيدة آبائهم.
 ونزلت الآية الثانية تسلية لقلب النبي بأن هذا الظن الخرافي ليس بشئ جديد بل هو
 استدلال كل المشركين في الأمم الماضية.

﴿... وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٣).

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٤).

قال صاحب مجمع البيان في وجه تكرارها:

«أما كرر لأنَّ الأوَّل متصل بذكر المؤمنين أي فله الجنود التي يقدر ان يعينكم بها،
 والثاني متصل بذكر الكافرين أي فله الجنود التي يقدر على الانتقام منهم بها» (٥)
 قال فخر الرازي بهذا الصدد:

«ما الفائدة في الأعادة؟ نقول لله جنود الرحمة وجنود العذاب أو جنود الله انزالهم قد
 يكون للرحمة وقد يكون للعذاب، فذكرهم الأولى لبيان الرحمة بالمؤمنين، قال تعالى

١- سورة الزخرف، آية ٢٢.

٢- سورة الزخرف، آية ٢٣.

٣- سورة الفتح، آية ٤.

٤- سورة الفتح، آية ٧.

٥- تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ١٨٨.

«وكان بالمؤمنين رحيماً» وثانياً لبيان انزال العذاب على الكافرين» (١).

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٢).

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ (٣).

نزلت الأولى وصفاً للمتقين والثانية وصفاً للمصلين.

﴿قَوْلِيلُ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٤).

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (٥).

كل آية من هذه الآيات نزلت عقيب آية وبعد كل نعمة فلا يعد تكراراً.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ (٦).

﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ (٧).

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ (٨).

كل آية مع ما فيها من تعابير مختلفة، تعطى معاني جديدة، نزلت في خلال آيات أوصاف الجنة المختلفة.

١- تفسير الكبير، ج ٢٨، ص ٨٥.

٢- سورة الذاريات، آية ١٩.

٣- سورة المعارج، آيتي ٢٤ و ٢٥.

٤- سورة الطور، آية ١١.

٥- سورة المرسلات، آيات ١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩؛ سورة

المطففين، آية ١٠.

٦- سورة الطور، آية ٢٤.

٧- سورة الواقعة، آية ١٧.

٨- سورة الانسان، آية ١٩.

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ (١).

﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ (٢).

نزلت الآيتين في خلال سلسلة من الاستدلالات المتفاوتة المتتابعة على وجه الاستفهام الإنكاري ردّاً للمشركين والمكذّبين بيوم الدين، ونزلت الأولى جواباً عما قال رجل من «بنی عبدالدار» في دار الندوة، لما اجتمعت قريش للمشاورة في مواجهتهم لدعوة النبي ﷺ قال هذا الرجل: لا بدّ أن ننتظر حتّى يموت لأنّه شاعر ويموت كسائر شعراء العرب، فنزل الآيات ردّاً عليه وعليهم.

﴿... إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ...﴾ (٣).

﴿... إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ (٤).

المقصود من الآية الأولى، أنّ تسمية الأصنام بأنّها آلهة أو أنّها بنات الله، لا معنى لها فإنّها تسميات أطلقت على جمادات، والمراد من الثانية أنّ تسمية الملائكة إناثا وبنات الله أسماء بلا مسميات ولا واقع لها.

﴿كَذَّبْتَ عَادُ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (٥).

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ (٦).

انّ عذاب قوم عاد كان أشدّ بالقياس الى عذاب أقوام آخرين فلتعظيم ذلك العذاب

١- سورة الطور، آية ٤١.

٢- سورة القلم، آية ٤٧.

٣- سورة النجم، آية ٢٣.

٤- سورة النجم، آية ٢٨.

٥- سورة القمر، آية ١٨.

٦- سورة القمر، آية ٢١.

ولتخويف المشافهين من الكفار جاء به عندما تكلم عن قوم عاد أولاً وعند الختام ثانياً.
﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ
بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾^(١).

قد صرح بكلمة «الميزان» في هذه الآيات ولم يضر لأن المراد منها ليس معنى واحد.
فالمقصود من الأولي هو آلة الوزن المعروفة، والمقصود من الثاني بمعنى المصدر هو
الوزن أو العدل أي يعطي كل مستحق حقه ولا تطفوا في الميزان، والمقصود من الثالث هو
المفعول منه وهو الموزون أي لا تنقصوا الموزون.

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾.

قد تكرر في سورة الرحمن ٣١ مرة وما يمكن أن نقول في وجه ذلك ملحضاً هو أن كل
آية وقعت بعد نعمة.

قال الطبرسي في تفسيره:

«فأما الوجه لتكرار هذه الآية في هذه السورة، فإنما هو التقرير بالنعمة المعدودة
والتأكيد في التذكير بها، فكلما ذكر سبحانه نعمة أنعم بها قرر عليها وبخ على التكذيب بها
كما يقول الرجل لغيره، أما أحسنت إليك حين اطلقت لك مالا؟ أما أحسنت إليك حين
ملكك عقاراً، أما أحسنت إليك حين بنيت لك داراً؟ فيحسن فيه التكرار لاختلاف ما
يقرره به ومثله كثير من كلام العرب واشعارهم»^(٢).

وقال الرازي كلاماً مفصلاً نقلنا بطوله:

«ما لحكمة في تكرير هذه الآية وكونه إحدى وثلاثين مرة؟ نقول الجواب عنه من

١- سورة الرحمن، آيات ٧ إلى ٩.

٢- تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ٣٣٢.

وجوه (الأول) إن فائدة التكرير التقرير وأما هذا العدد الخاص فالأعداد توقيفية لا تطلع على تقدير المقدرات أذهان الناس والأولى أن لا يبالغ الإنسان في استخراج الأمور البعيدة في كلام الله تعالى تمسكا بقول عمر رضي الله تعالى عنه حيث قال مع نفسه عند قراءة سورة عبس كل هذا قد عرفناه فما الأب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمركم التكليف وما عليك يا عمر أن لا تدري ما الأب ثم قال اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه وسيأتي فائدة كلامه تعالى في تفسير السورة إن شاء الله تعالى (الجواب الثاني) ما قلناه إنه تعالى ذكر في السورة المتقدمة «فكيف كان عذابي ونذر» أربع مرأت لبيان ما في ذلك من المعني وثلاث مرات للتقرير والتكرير وللثلاث والسبع من بين الأعداد فوائد ذكرناها في قوله تعالى «والبحر يمدد من بعده سبعة أبحر» فلما ذكر العذاب ثلاث مرات ذكر الآلاء إحدى وثلاثين مرة لبيان ما فيه من المعني وثلاثين مرة للتقرير والآلاء مذكورة عشر مرأت أضعاف مرأت ذكر العذاب إشارة إلى معنى قوله تعالى «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثله»، (الثالث) إن الثلاثين مرة تكرير بعد البيان في المرة الأولى لأن الخطاب مع الجن والإنس، والنعم منحصرة في دفع المكروه وتحصيل المقصود، لكن أعظم المكروهات عذاب جهنم «ولها سبعة أبواب» وأتم المقاصد نعيم الجنة ولها ثمانية أبواب فإغلاق الأبواب السبعة وفتح الأبواب الثمانية جميعه نعمة وإكرام، فاذا اعتبرت تلك النعم بالنسبة إلى جنسي، الجن والإنس تبلغ ثلاثين مرة وهي مرأت التكرير للتقرير، والمرة الأولى لبيان فائدة الكلام، وهذا منقول وهو ضعيف. لأن الله تعالى ذكر نعم الدنيا والآخرة، وما ذكره اقتصار على بيان نعم الآخرة (الرابع) هو أن أبواب النار سبعة والله تعالى ذكر سبع آيات تتعلق بالتخويف من النار، من قوله تعالى «سنفرغ لكم أيها الثقلان» إلى قوله تعالى «يطوفون بينها وبين حميم آن» ثم إنه تعالى ذكر بعد ذلك جنتين حيث قال «ولمن خاف مقام ربه جنتان» ولكل جنة ثمانية

أبواب تفتح كلها للمتقين، وذكر من أول السورة إلى ما ذكرنا من آيات التخويف ثماني مرأت «بأي آلاء ربكما تكذبان» سبع مرأت للتقرير بالتكرير استيفاء للعدد الكثير الذي هو سبعة، وقد بينا سبب اختصاصه في قوله تعالى «سبعة أبحر» وسنعيد منه طرفاً إن شاء الله تعالى، فصار المجموع ثلاثين مرة المرة الواحدة التي هي عقيب النعم الكثيرة لبيان المعنى وهو الأصل والتكثير تكرر فصار إحدى وثلاثين مرة» (١).

﴿فَأَصْحَبُ الْمُيْمَنَةِ مَا أَصْحَبُ الْمُيْمَنَةِ﴾ (٢).

جاءت جملة أصحاب الميمنة وكذا اصحاب اليمين في آية ٢٨، وهم الذين يعطون كتابهم بإيمانهم فهم أصحاب اليمن والبركة، لبيان توضيح وتفسير وبيان ثوابهم ثم تكرر ها تفخيماً للشأنهم أي أي شئ هم؟ فهي كما قال الطبرسي في تفسيره مجمع البيان مثل أن تقول: هم ما هم؟

﴿وَأَصْحَبُ الْمُشْئِمَةِ مَا أَصْحَبُ الْمُشْئِمَةِ﴾ (٣).

أيضاً تكرر أصحاب المشئمة وكذا اصحاب الشمال في آية ٤٢، وهم الذين يعطون كتبهم بشمالهم، لتفخيم شأنهم في العذاب.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ (٤).

يكون معنى هذه الآية: أن السابقون الى اتباع الأنبياء فهم السابقون الى جزيل الثواب أوهم السابقون الى طاعة الله تعالى أوهم السابقون الى رحمته.

فيكون الثاني خبراً عن الأول أو تأكيداً له.

١- تفسير الكبير، ج ٢٩، ص ٩٧.

٢- سورة الواقعة، آية ٨.

٣- سورة الواقعة، آية ٩.

٤- سورة الواقعة، آية ١٠.

قال صاحب الميزان في تفسيره:

«فالمراد بالسابقين (الأول) في الآية، السابقون بالخيرات من الأعمال وإذا سبقوا
بالخيرات، سبقوا إلى المغفرة والرحمة التي بازائها، كما قال تعالى «سبقوا إلى مغفرة من
ربكم وجنة»^(١)، فإل السابقون بالخيرات هم السابقون بالرحمة وهو قوله (السابقون
السابقون)^(٢).

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣).

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٤).

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٥).

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٦).

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ﴾^(٧).

﴿سَبِّحْ أَنْتُمْ رَبَّكَ الْأَعْلَى﴾^(٨).

هذه الآيات بملاحظة سياقها جاءت في ضمن أوصاف الله تبارك وتعالى فلم يعد

١- سورة الحديد، آية ٢١.

٢- تفسير الميزان، ج ١٩، ص ١٢١.

٣- سورة الحديد، آية ١.

٤- سورة الحشر، آية ١.

٥- سورة الصف، آية ١.

٦- سورة الجمعة، آية ١.

٧- سورة التغابن، آية ١.

٨- سورة الاعلى، آية ١.

تكراراً وقد فسر كثير من المفسرين هذه الآيات بملاحظة سياقها.

قال الطبرسي في تفسيره لآية سورة الصف:

«أما أعيد ههنا، لأنّه استفتاح السورة بتعظيم الله من جهة ما سيّح له بالآية التي فيه كما يستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم، وإذا دخل المعنى في تعظيم الله، حسن الاستفتاح به» (١).

وقال في تفسير سورة الجمعة:

«أما قال مرة سبّح ومرة يسبح إشارة الى دوام تنزيهه في الماضي والمستقبل» (٢).

وقال صاحب الميزان في سورة الحشر:

«أما افتتح بالتنزيه لما وقع في السورة من الإشارة الى خيانة اليهود ونقضهم العهد ثم وعد المنافقين لهم بالنصر غدراً» (٣).

وقال في تفسيره لآية الصف:

«افتتاح الكلام بالتسبيح لما فيها من توبيخ المؤمنين بقولهم «مالا تفعلون» وإنذارهم بمقت الله وإزاغته قلوب الفاسقين» (٤).

وقال في تفسيره لآية التغابن:

«وإذا كانت الآيات مسوقة لإثبات المعاد، كانت الآية كالمقدمة الأولى لإثباته، وتفيد أنّ الله منزّه عن كلّ نقص وشين في ذاته وصفاته وأفعاله يملك الحكم على كلّ شئ

١- تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ٤٦٠.

٢- المصدر، ج ١٠، ص ٦.

٣- تفسير الميزان، ج ١٩، ص ٢٠٩.

٤- المصدر، ج ١٩، ص ٢٥٨.

والتصرف فيه كيفما شاء وأراد...» (١).

وقال تاج القراء في كتابه البرهان في توجيه متشابه القرآن:

«التسبيح كلمة استأثر الله بها فبدء بالمصدر في بني اسرائيل، لأنّه الأصل، ثمّ بالماضي في الحديد والحشر، لأنّه اسبق الزمانين، ثمّ بالمضارع في الجمعة والتغابن، ثمّ بالأمر في الأعلى استيعاباً بهذه الكلمة في جميع جهاتها» (٢).

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ...﴾ (٣).

﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى...﴾ (٤).

نزلت الآية الأولى في بيان الفئ وحكمه والثانية نزلت في بيان مصرفه ولذلك لم يدخل على الثانية «واو» لأنها بيان للجملة الأولى، فهي غير اجنبية عنها ولا يحتاج الى العطف وقيل ان الآية الاولى في بيان أموال بني النضير خاصة وذلك بشهادة «منهم» والثانية في بيان كل مال أصيب بغير قتال.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ...﴾ (٥).

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٦).

نزلت الآية الأولى في ابراهيم عليه السلام والثانية في رسول الله ﷺ أو ان الآيتين نزلتا في

١-المصدر، ج ١٩، ص ٣٠٨.

٢-رقم، ٥٠٢.

٣-سورة الحشر، آية ٦.

٤-سورة الحشر، آية ٧.

٥-سورة الممتحنة، آية ٤.

٦-سورة الممتحنة، آية ٦.

ابراهيم عليه السلام وفي الأولى أنه اسوة من جهة وفي الآية الثانية أنه اسوة من جهة أخرى.

قال صاحب مجمع البيان:

«أنما أعاد ذكر الاسوة، لأنّ الثاني منعقد بغير ما انعقد به الأوّل، فان الثاني فيه بيان أنّ الاسوة فيهم كان لرجاء ثواب الله وحسن المنقلب اليه، والأوّل فيه بيان أنّ الاسوة في معادات الكفار» (١).

وقال صاحب الميزان:

«تكرار حديث الاسوة لتأكيد الإيجاب وليبيان أنّ هذه الاسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وأيضاً أنهم كما يتأسى بهم في تبرئهم من الكفار، كذلك يتأسى بهم في دعائهم وابتهاالهم» (٢).

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ (٣).

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (٤).

الآيتان نزلتا في الأمر برجوع البصر كرة بعد كرة يعني مرّتين أو ثلاث مرات أو مرّة وهذا لا يعد تكراراً.

﴿... فَأَقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ... فَأَقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ...﴾ (٥).

مع أنّ كثير من المفسرين مثل العلامة الطباطبائي والفخر الرازي وغيرهم حملوا

١- تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ٤٤٩.

٢- تفسير الميزان، ج ١٩، ص ٢٤٢.

٣- سورة الملك، آية ٣.

٤- سورة الملك، آية ٤.

٥- سورة المزمل، آية ٢٠.

العبارة على التكرار تأكيداً ولكن الذي نقوله أنّ الأولى نزلت تخفيفاً لحكم سابق وهو وجوب قيام الليل نصفه أو أكثر أو أقل منه، فجعل الله التلاوة بدل عسرهم من القيام في الليل.

والثانية وإن كانت تفريعاً على ما سبق عليها ولكن وجوب قيام الليل أمر في جنب سائر الأمور من وجوب الصلوة واعطاء الزكاة والقرض الحسن.

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (١).

تكرر «قدر» ثلاث مرّة، وذلك أنّ الوليد الذي هو سب نزول هذه الآيات، فكر في محمّد ﷺ وقرآنه وقدر ما يمكنه أن يقول فيهما، فقتل كيف قدر في رسول الله ﷺ ثم قتل كيف قدر في القرآن.

قال صاحب مجمع البيان في تفسير «ثم قتل كيف قدر»:

«هذا تكرير للتأكيد، وقيل معناه: كيف قدر في آياتنا ما قدر مع وضوح الحجة، ثم لعن وعوقب بعقاب آخر، كيف قدر في ابطال الحقّ تقديراً آخر، وقيل معناه: عوقب في الآخرة مرّة بعد مرّة» (٢).

وقال الطباطبائي: «فقتل كيف قدر تكرار للدعاء تأكيداً» (٣).

وقال الرازي في تفسيره:

«المقصود من كلمه «ثم» ههنا الدلالة على أنّ الدعا عليه في الكرة الثانية ابلغ من الأولى» (٤).

١- سورة المدثر، آيات ١٨ الى ٢٠.

٢- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ١٨٠.

٣- تفسير الميزان، ج ٢٠، ص ٩٤.

٤- تفسير الكبير، ج ٣٠، ص ٢٠١.

ما قاله الطبرسي والطباطبائي التزام بالتكرار وما قال الرازي هو ما يستفاد من سياق الدعاء ههنا وهو ما اختاره الكرمانى في كتابه «البرهان» وهو وجه وجيه.

﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ (١).

﴿كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ (٢).

الضمير في «أنه» في الآية الأولى يرجع الى القرآن فالقرآن هو تذكرة، والضمير المؤنث «أنها» في آية عبس يرجع الى آياته أي آيات القرآن أو يرجع الى السورة.

﴿أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ﴾ (٣).

﴿ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأَوَّلَىٰ﴾ (٤).

قد هدد رسول الله ﷺ أبي جهل وقال «أولى لك فأولى، ثم أولى لك فأولى» واعترضه أبو جهل ثم نزلنا الآيتان مثل ما قال رسول الله ﷺ. وأما التكرار في التهديد فهو تهديد ثانى ولا يعد من التكرار بل معناه وعيد على وعيد وعذاب على عذاب، قال قتادة في تفسير هذا التهديد: ومعناه: وليك الشرفى الدنيا وليك، ثم وليك الشرفى الآخرة وليك، وقيل معناه: بعداً لك من خيرات الدنيا وبعداً لك من خيرات الآخرة، وقيل انّ الأولى ما وقع على أبي جهل وهو سبب نزول الآيتين، في يوم بدر والثانية ما وقع عليه في القبر، وقيل ان الأولى بمعنى الموت والثانية بمعنى عذاب القبر.

﴿كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ﴾ (٥).

١- سورة المدثر، آيتي ٥٤ و ٥٥.

٢- سورة عبس، آيتي ١١ و ١٢.

٣- سورة القيمة، آية ٣٤.

٤- سورة القيمة، آية ٣٥.

٥- سورة النبأ، آية ٤.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ (١).

قال تاج القراء في كتابه:

«قيل: التكرار للتأكيد، وقيل الأول عند النزع، والثاني في القيمة، وقيل: الأول: ردع عن الاختلاف، والثاني: ردع عن الكفر» (٢).

قال الطبرسي في تفسيره مجمع البيان:

«هذا وعيد على اثر وعيد. وقيل: كَلَّا اى حَقًّا سيعلمون أي: سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم عن الضحاك، وقيل كلا سيعلمون ما ينالهم يوم القيامة، ثم كلا سيعلمون ما ينالهم في جهنم من العذاب فعلى هذا لا يكون تكراراً» (٣).

فالتأكيد هو أحد الوجهين في الآية، مع أنّ التكرار في الوعيد لا يسمى تكراراً بل هو وعيد على وعيد.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (٤).

﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ (٥).

تكررت الآية تأكيداً لتعظيم وتفخيم شأن القيمة وقد قيل إنّ أحدهما نزلت في المؤمنين وأهل الجنة منهم وأراد بها التعم الباقية في الجنة لهم، ونزلت الثانية في الكفار وأهل النار منهم وأراد بها العذاب والنار الخالدة لهم.

١- سورة النبأ، آية ٥.

٢- البرهان في توجيه متشابه القرآن، رقم ٥٤٦.

٣- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٣٩.

٤- سورة الانفطار، آية ١٧.

٥- سورة انفطار، آية ١٨.

قال الطبرسي في تفسيره:

«ثمَّ عظم سبحانه يوم القيمة فقال: «وما أدراك ما يوم الدين» تعظيماً له لشدته وتنبيهاً على عظم حاله وكثرة أهواله، «ثمَّ ما أدريك ما يوم الدين» كرهه تأكيداً لذلك، وقيل: أراد ما أدراك ما في يوم الدين من النعيم لأهل الجنة وما أدريك ما في يوم الدين من العذاب لأهل النار» (١).

﴿وَأَذِّنْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾ (٢).

﴿وَأَذِّنْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾ (٣).

نزلت الآية الأولى وصفاً للسماء وهي متصلة بـ«إذا السماء انشقت» ونزلت الآية الثانية وصفاً للأرض وكانت متصلة بـ«واذ الأرض مدت والقت مافيها وتخلت».

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ﴾ (٤).

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ (٥).

نزلت الآية الأولى في بيان تكذيب الكفار بعد ان ذكر الدلائل الواضحة الموجبة للإيمان وتكذيبهم هذا تقليداً منهم لآبائهم أو خبثهم الباطني ونزلت الثانية في بيان حال قوم ثمود وهي من الأقوام القديمة وقصتهم عند العرب مشهورة، وحال قوم فرعون وهي من الأقوام المتأخرة، كأصحاب الاخدود، فهؤلاء آذوا المؤمنين بكل أنواع الأذية وهذا أي اذاء الكفار للمؤمنين مستمر في جميع الأزمنة في الأولين والآخرين الى ان تظهر

١- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٢٨٨.

٢- سورة الانشقاق، آية ٢.

٣- سورة الانشقاق، آية ٥.

٤- سورة الانشقاق، آية ٢٢.

٥- سورة البروج، آية ١٩.

شمس الهداية بظهور الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه.

﴿كَأَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ (١).

أي دكاً بعد دك فكرر الدك على الأرض حتى صارت هباءً منثوراً ومعناه كسر كل شيء على وجه الأرض من الجبال والأشجار وغيرها.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٢).

أي تنزل الملائكة في كل سماء وأهل السماء كلهم في صف على حدة فيصطفون صفاً بعد صف.

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (٣).

تكرار «البلد» في الآية الثانية عوضاً عن الضمير، لبيان عظمة شأن البلد الحرام والاعتناء به.

قال الطبرسي في تفسيره:

«اجمع المفسرون على أنّ هذا قسمٌ بالبلد الحرام وهو مكة... «وانت حلّ بهذا البلد...» تنبيه على شرف البلد، بشرف من حلّ به من الرسول الداعي الى توحيده واخلاص عبادته وبيان ان تعظيمه له وقسمه به لأجله ﷺ ولكونه حالاً فيه كما سميت المدينة طيبة لأنها طابت به حياً وميتاً» (٤).

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (٥).

١- سورة الفجر، آية ٢١.

٢- سورة الفجر، آية ٢٢.

٣- سورة البلد، آيتي ١ و ٢.

٤- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٦١.

٥- سورة الانشراح، آية ٥.

﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (١).

نزلت الآية الأولى في تعبير المشركين حيث كانوا يعيرون رسول الله ﷺ بالفقر والضيقة فذكره ما أنعم به عليه من النعم ثم قال تقريباً على هذا «فإن مع العسر يسراً».

والآية الثانية هي كلام كلّي، وكلام مستأنف.

قال الطبرسي في تفسير هاتين الآيتين كلاماً مفصلاً لا يخلو ذكره من لطف.

«روى عطاء عن ابن عباس قال: يقول الله تعالى: «خلقت عسراً واحداً، وخلقت يسرين، فلن يغلب عسر يسرين». وعن الحسن قال: خرج النبي ﷺ يوماً مسروراً فرحاً، وهو يضحك، ويقول: «لن يغلب عسر يسرين»: «فإن مع العسر يسراً».

قال الفراء: إن العرب تقول: إذا ذكرت نكرة، ثم أعدتها نكرة مثلها، صارتا اثنتين، كقولك إذا كسبت درهماً فأنفق درهماً، فالثاني غير الأول، فإذا أعدتها معرفة فهي هي كقولك إذا كسبت الدرهم فأنفق الدرهم، فالثاني هو الأول، ونحو هذا ما قال الزجاج: إنه ذكر العسر مع الألف واللام، ثم ثنى ذكره، فصار المعنى إن مع العسر يسرين.

وقال صاحب كتاب النظم في تفسير هذه الآية إن الله بعث نبيّه، وهو مقل مخف، وكانت قريش تعيره بذلك حتّى قالوا له: إن كان بك من هذا القول الذي تدعيه طلب الغنى، جمعنا لك ما لا حتى تكون كأيسر أهل مكة. فكره النبي ﷺ ذلك، وظن أن قومه إنما يكذبوه لفقره، فوعده الله سبحانه الغني ليسليه بذلك، عما خامره من الهم، فقال: «فإن مع العسر يسراً» وتأويله: لا يحزنك ما يقولون، وما أنت فيه من الإقلال، فإن مع العسر يسراً في الدنيا عاجلاً. ثم أنجز ما وعده فلم يمت حتّى فتح عليه الحجاز. وما والاها من القرى العربية، وعامة بلاد اليمين. فكان يعطي المائتين من الإبل، ويهب الهبات السنية، ويعد

لأهله قوت سنته. ثم ابتدأ فصلاً آخر فقال: «إن مع العسر يسراً» والدليل على ابتدائه تعريه من فاء وواو، وهو وعد لجميع المؤمنين، لأنّه يعني بذلك أن مع العسر في الدنيا للمؤمن يسراً في الآخرة، وربما اجتمع له اليسران: يسر الدنيا، وهو ما ذكر في الآية الأولى، ويسر الآخرة، وهو ما ذكر في الآية الثانية. فقوله ﷺ: لن يغلب عسر يسرين أي: يسر الدنيا والآخرة. فالعسر بين يسرين إما فرج الدنيا، وإما ثواب الآخرة. وهذا الذي ذكره الجرجاني، يؤيد ما ذهب إليه المرتضى، قدس الله روحه، من أن القائل إذا قال شيئاً، ثم كرّره، فإن الظاهر من تغاير الكلامين، تغاير مقتضاهما، حتّى يكون كلّ واحد منهما، مفيداً لما لا يفيدّه الآخر، فيجب مع الإطلاق حمل الثاني على غير مقتضى الأوّل، إلّا إذا كان بين المتخاطبين عهد أو دلالة يعلم المخاطب بذلك، أن المخاطب أراد بكلامه الثاني الأوّل، فيحمله على ذلك» (١).

وذكر الرازي في تفسيره كلاماً لا يخلو من الاضطراب، فهو حقّق المسئلة في وجهين وقال الوجه الثاني منها أنّه تكرير لكي يتمكن المعنى في النفوس ثم تمسك بمعنيين مختلفين لليسر، واليك نص كلامه:

«المسألة الثانية: قال ابن عباس: يقول الله تعالى: خلقت عسراً واحداً بين يسرين، فلن يغلب عسر يسرين، وروى مقاتل عن النبي عليه الصلاة والسلام أنّه قال: «لن يغلب عسر يسرين» وقرأ هذه الآية، وفي تقرير هذا المعنى وجهان الأوّل: قال الفراء والزجاج: العسر مذكور بالألف واللام، وليس هناك معهود سابق فينصرف إلى الحقيقة، فيكون المراد بالعسر في اللفظين شيئاً واحداً. وأما اليسر فإنّه مذكور على سبيل التنكير، فكان أحدهما غير الآخر، وزيف الجرجاني هذا وقال: إذا قال الرجل: إنّ مع الفارس سيفاً، إنّ مع الفارس

١- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٩٠.

سيفاً، يلزم أن يكون هناك فارس واحد ومعه سيفان، ومعلوم أن ذلك غير لازم من وضع العربية، الوجه الثاني: أن تكون الجملة الثانية تكريراً للأولى، كما كرر قوله: «ويل يومئذ للمكذبين»^(١). ويكون الغرض تقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب، كما يكرر المفرد في قولك: جاءني زيد زيد، والمراد من اليسرين: يسر الدنيا وهو ما تيسر من استفتاح البلاد، ويسر الآخرة وهو ثواب الجنة، لقوله تعالى: «هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين»^(٢) وهما حسن الظفر وحسن الثواب، فالمراد من قوله: «لن يغلب عسر يسرين» هذا، وذلك لأن عسر الدنيا بالنسبة إلى يسر الدنيا ويسر الآخرة كالمغمور القليل»^(٣).

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٤).

﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾^(٥).

الآية الأولى بمعنى: اقرأ مفتتحاً باسم ربك فقل مثلاً بسم الله الرحمن الرحيم وأقرأ القرآن أو أقرأ وأجعل فعلك وهو القراءة لله تعالى وافعله له لا لغيره.

والآية الثانية بمعنى أقرأ له والله تعالى أكرم من أن لا يعطيك ما يخطر ببالك، وقال الطبرسي نقلاً عن الجبائي:

«وقيل: امره في الأوّل بالقراءة لنفسه وفي الثاني بالقراءة للتبليغ وليس بتكرار»^(٦).

١- سورة المطففين، آية ١٠.

٢- سورة التوبة، آية ٥٢.

٣- تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ٧.

٤- سورة العلق، آية ١.

٥- سورة العلق، آية ٣.

٦- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٩٩.

وقال الرازي قولان آخران وهو:

«... أقرأ... أولاً للتعلم من جبرئيل والثاني للتعليم، أو أقرأ في صلاتك والثاني خارج عن صلاتك» (١).

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣).

نزلت الآيتان للوعيد بعد وعيد فلا يعد تكراراً وقيل نزلت الأولى في القبر ونزلت الثانية في القيمة، أو نزلت الأولى للكفار والثانية للمؤمنين فالأولى كانت وعيداً والثانية كانت وعداً للمؤمنين.

قال الخطيب الاسكافي:

«ان أحدهما توعّد غير ما توعّد به الآخر، فالأول توعّد بما ينالهم في الدنيا والثاني توعّد بما أعد لهم في الأخرى، وقيل الاول ما يلقونه عند الفراق اذا بشروا بالمصير الى النار، والثاني ما يرونه من عذاب القبر، فكلاهما عذاب في الدنيا، ألا ان أحدهما غير الآخر وهو مثله في الشدة، فلذلك اعيد بتلك اللفظة، وإذا حمل عذاب الدنيا وعذاب الآخرة لم يكن تكراراً» (٤).

وقال الطبرسي في تفسيره:

«ثم أكد ذلك (الوعد) وكرّره فقال: «ثمّ كلا سوف تعلمون» قال الحسن ومقاتل هو وعيد بعد وعيد، والمعنى سوف تعلمون عاقبة تباهيكم وتكاثركم، إذا نزل بكم الموت،

١- تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ١٧.

٢- سورة التكاثر، آية ٣.

٣- سورة التكاثر، آية ٤.

٤- درة التنزيل، ص ٥٣٥.

وقيل: معناه سوف تعلمون في القبر، ثم سوف تعلمون في الحشر رواه زرّ بن حبیش عن علي عليه السلام ^(١).

وفي تكرار «كلا» نقول أنه عقبه في كلّ موضع بغير ماعقب به في الموضع الآخر وهذا ليس بتكرير.

﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ^(٢).

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ ^(٣).

نزلت الآية الأولى للروية من مكان بعيد، والثانية من مكان قريب اذا صاروا الى شفيع جحيم، أو نزلت الاولى عندالورود في الجحيم، والثانية عندالدخول فيها، أو نزلت الأولى بيانا للوعد، ونزلت الثانية عند مشاهدة الجحيم أو نزلت لرؤيتها مرّة بعد أخرى، أو نزلت الأولى في رؤيتها قبل يوم القيمة، ونزلت الثانية في رؤيتها يوم القيمة وهو وجه جيد. قال الطبرسي في تفسيره وجه آخر وهو أجود.

«ثم استأنف سبحانه وعيداً آخر فقال «لترون الجحيم» على نية القسم عن مقاتل، يعني حين تبرز الجحيم في القيمة قبل دخولهم اليها، «ثم لترونها» يعني بعد الدخول اليها «عين اليقين» كما يقال حقّ اليقين ومحض اليقين ومعناه: ثم لترونها بالمشاهدة إذا دخلتموها وعذبتم بها» ^(٤).

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ

١- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٣٢.

٢- سورة التكاثر، آية ٦.

٣- سورة التكاثر، آية ٧.

٤- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٣٢.

قد مرّ البحث عن سبب التكرار في مواضع مختلفة من هذه السورة فلاحاجة لاعادتها هنا ولكن ننقل ما قاله الطبرسي في تفسيره عن سبب التكرار.

«ولا أنتم عابدون ما أعبد» فيما بعد اليوم من الأوقات المستقبلية، عن ابن عباس ومقاتل. قال الزجاج: نفي رسول الله ﷺ بهذه السورة عبادة آلهتهم عن نفسه في الحال، وفيما يستقبل. ونفي عنهم عبادة الله في الحال، وفيما يستقبل. وهذا في قوم أعلمهم الله سبحانه أنهم لا يؤمنون، كقوله سبحانه في قصة نوح عليه السلام «إِنَّهُ لَن يَؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ». وقيل أيضاً في وجه التكرار: إنَّ القرآن نزل بلغة العرب، ومن عادتهم تكرير الكلام للتأكيد والإفهام، فيقول المجيب: بلى، بلى. ويقول الممتنع: لا، لا، عن الفراء، قال: ومثله قوله تعالى: «كلا سوف تعلمون» ثم كلا سوف تعلمون».

وقال: وهذا أولى المواضع بالتأكيد، لأنَّ الكافرين أبدوا في ذلك، وأعادوا. فكرر سبحانه ليؤكد إياسهم وحسم أطماعهم بالتكرير. وقيل أيضاً في ذلك: إن المعنى لا أعبد الأصنام التي تعبدونها، ولا أنتم عابدون الله الذي أنا عبده، إذا أشركتم به، واتخذتم الأصنام وغيرها تعبدونها من دونه. وإنما يعبد الله من أخلص العبادة له، ولا أنا عابد ما عبدتم أي: لا أعبد عبادتكم فيكون ما مصدرية. ولا أنتم عابدون ما أعبد أي: وما تعبدون عبادتي على نحو ما ذكرناه. فأراد في الأول المعبود، وفي الثاني العبادة. فإن قيل: أما اختلاف المعبودين فمعلوم، فما معنى اختلاف العبادة؟ قلنا: إنَّه يعبد الله على وجه الإخلاص، وهم يشركون به في عبادته، فاختلفت العبادتان. ولأنَّه كان يتقرب بعبادته إلى معبوده بالأفعال المشروعة الواقعة على وجه العبادة، وهم لا يفعلون ذلك، وإنما

يتقربون إليه بأفعال يعتقدونها قربة جهلاً من غير شرع» (١).

وقال الرازي:

المسألة الأولى: في هذه الآية قولان: أحدهما: أنه لا تكرار فيها والثاني: أن فيها تكراراً، أمّا الأول: فتقريبه من وجوه أحدها: أن الأول للمستقبل، والثاني للحال والدليل على أن الأول للمستقبل أن لا تدخل إلا على مضارع في معنى الاستقبال، أن ترى أن لن تأكيد فيما ينفيه لا، وقال الخليل في لن أصله لا أن، إذا ثبت هذا فقوله: «لا أعبد ما تعبدون» أي لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلبه منكم من عبادة إلهي، ثم قال: «ولا أنا عابد ما عبدتم» أي ولست في الحال بعابد معبودكم ولا أنتم في الحال بعابدين لمعبودي، الوجه الثاني: أن تقلب الأمر فتجعل الأول للحال والثاني للاستقبال والدليل على أن قول: «ولا أنا عابد ما عبدتم» للاستقبال أنه رفع لمفهوم قولنا: أنا عابد ما عبدتم ولا شك أن هذا للاستقبال بدليل أنه لو قال: أنا قاتل زيداً فهم منه الاستقبال، الوجه الثالث: قال بعضهم: كل واحد منهما يصلح للحال وللستقبال، ولكننا نخص إحداها بالحال، والثاني بالاستقبال دفعاً للتكرار، فإن قلنا: إنه أخبر عن الحال، ثم عن الاستقبال، فهو الترتيب، وإن قلنا: أخبر أولاً عن الاستقبال، فلأنه هو الذي دعوه إليه، فهو الأهم فبدأ به، فإن قيل: ما فائدة الإخبار عن الحال وكان معلوماً أنه ما كان يعبد الصنم، وأمّا الكفار فكانوا يعبدون الله في بعض الأحوال؟ قلنا: أمّا الحكاية عن نفسه فلئلا يتوهم الجاهل أنه يعبدها سرّاً خوفاً منها أو طمعاً إليها وأمّا نفيه عبادتهم فلأن فعل الكافر ليس بعبادة أصلاً، الوجه الرابع وهو اختيار أبي مسلم أن المقصود من الأولين المعبود وما بمعنى الذي، فكأنه قال: لا أعبد الأصنام

١- تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٦٤.

ولا تعبدون الله، وأما في الأخيرين فما مع الفعل في تأويل المصدر اي لا أعبد عبادتكم المبنية على الشرك وترك النظر، ولا أنتم تعبدون عبادتي المبنية على اليقين، فإن زعتم أنكم تعبدون إلهي، كان ذلك باطلاً لأنَّ العبادة فعل مأمور به وما تفعلونه أنتم فهو منهي عنه وغير مأمور به، الوجه الخامس: أن تحمل الأولى على نفي الاعتبار الذي ذكروه، والثانية على النفي العام المتناول لجميع الجهات فكأنَّه أولاً قال لا أعبد ما تعبدون رجاء أن تعبدوا الله، ولا أنتم تعبدون الله رجاء أن أعيد أصنامكم، ثم قال: ولا أنا عابد صنمكم لغرض من الأغراض، ومقصود من المقاصد ألبتة بوجه من الوجوه ولا أنتم عابدون وما أعبد بوجه من الوجوه، واعتبار من الاعتبارات، ومثاله من يدعو غيره إلى الظلم لغرض التسعيم، فيقول: لا أظلم لغرض التنعم، بل لا أظلم أصلاً لا لهذا الغرض ولا لسائر الأغراض. القولى الثاني: وهو أن نسلم حصول التكرار، وعلى هذا القول العذر عنه من ثلاثة أوجه، الأول: أن التكرير يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة إلى التأكيد أشد كان التكرير أحسن، ولا موضع أحوج إلى التأكيد من هذا الموضع، لأنَّ أولئك الكفار رجعوا إلى رسول الله ﷺ في هذا المعنى مراراً، وسكت رسول الله عن الجواب، فوقع في قلوبهم أَنَّهُ ﷺ قد مال إلى دينهم بعض الميل، فلا جرم دعت الحاجة إلى التأكيد والتكرير في هذا النفي والإبطال، الوجه الثاني: أَنَّهُ كان القرآن ينزل شيئاً بعد شيء، وآية بعد آية جواباً عما يسألون فالمشركون قالوا: استلم بعد آلهتنا حتَّى نؤمن بإلهك فأنزل الله «ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد» ثم قالوا بعد مدّة تعبد آلهتنا شهراً ونعبد إلهك شهراً فأنزل الله «ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد» ولما كان هذا الذي ذكرناه محتملاً لم يكن التكرار على هذا الوجه مضراً ألبتة، الوجه الثالث: أن الكفار ذكروا تلك الكلمة مرّتين تعبد آلهتنا شهراً ونعبد إلهك شهراً وتعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فأتى الجواب على التكرير على وفق قولهم وهو ضرب من التهكم فإن من كرر الكلمة الواحدة لغرض فاسد يجازى بدفع

تلك الكلمة على سبيل التكرار استخفافاً به واستحقاراً لقوله» (١).

وأنت ترى أنّ الوجهين الأخيرين من الوجوه الثلاثة للقول الثاني وهو الالتزام بالتكرار في السورة يدلان على عدم التكرار في الآية، فإنّ نزول آيتين متماثلتين عقيب واقعتين وبيان كلام على نهج ما تكلم به السائل والمخاطب ليس بتكرار.

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (٢).

الكلمة الأولى «تبت» كانت دعاءً والثانية «تب» كانت جزاءً وهذا القول مثل قول الرجل: أهلك الله وقد هلك، وقيل إنّ الأولى أيضاً خبر فأراد الله تعالى بالاولى هلاك عمله وبالثانية هلاك نفسه، وقيل إنّ الأولى وردت لهلاك ماله، والثانية لهلاك نفسه، أو الأولى في هلاك نفسه، والثانية في هلاك ولده.

قال الرازي في تبين هذا الوجه الأخير:

«... روى ان عتبة بن أبي لهب خرج الى الشام مع أناس من قريش فلما هموا ان يرجعوا قال لهم عتبة: بلغوا محمداً عنى، اني قد كفرت بالنجم اذا هوى، وروى أنّه قال ذلك في وجه رسول الله وتفل في وجهه، وكان مبالغاً في عداوته، فقال: اللهم سلط عليه كلباً من كلابك، فوقع الرعب في قلب عتبة وكان يحترز وهو مرعوب واناخ الإبل حوله كالسرادق، فسلط الله عليه الأسد والقي السكينة على الإبل فجعل الأسد يتخلل حتّى افترسه ومزقه».

وقال الرازي:

«فإن قيل نزول هذه السورة كان قبل هذه الواقعة وقوله «وتب» أخبار عن الماضي،

١- تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ١٤٦.

٢- سورة المسد، آية ١.

فكيف يحمل عليه؟ قلنا لأنه كان في علمه تعالى أن ذلك سوف يحصل» (١).

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٢).

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (٣).

تكرار اسم الجلاله بدلا عن الضمير لاستقلال كل جملة منهما حتى تكون كل جملة وحدها كافية في تعريفه تعالى.

قال الرازي في علة تكرير لفظه «الله» في قوله «الله الصمد»:

«لو لم تكرر هذه اللفظة، لوجب في لفظ «أحد» و «صمد» أن يردا أما نكرتين أو معرفتين، وقد بينا أن ذلك غير جاز، فلا جرم كثرت هذه اللفظة حتى يذكر لفظ «أحد» منكراً ولفظ «الصمد» معرفاً» (٤).

وقال في وجه استحاله اتيان «أحد» و «الصمد» نكرتين أو معرفتين:

«الغالب على أكثر أوهام الخلق أن كل موجود محسوس، وثبت أن كل محسوس فهو منقسم، فاذا مالا يكون منقسماً لا يكون خاطراً بيان أكثر الخلق، أما الصمد فهو الذي يكون مصموداً إليه في الحوائج وهذا كان معلوماً للعرب بل لأكثر الخلق على ما قال: «وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ» (٥).

وإذا كانت الاحدية مجهولة مستنكرة عند أكثر الخلق وكانت الصمدية معلومة الثبوت عند جمهور الخلق، لا جرم جاء لفظ «أحد» على سبيل التنكير ولفظ «الصمد» على سبيل

١- تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ١٦٨.

٢- سورة الاخلاص، آية ١.

٣- سورة الاخلاص، آية ٢.

٤- تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ١٨٣.

٥- سورة الزخرف، آية ٨٧.

التعريف» (١).

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ».

قد تكرر لفظة «الناس» خمس مرات في هذه السورة وبعد الاختلاف في مضافها لا يعد من التكرار مع أنه يمكن ان نقول المقصود من الأول الاجنة فالله يرييهم، والمقصود من الثاني الأطفال فالله تعالى يملكهم، والمراد بالثالث المكلفون من الناس والله تعالى معبودهم والمراد بالرابع العلماء والشیطان يوسوسهم.

وقيل المراد بالأول الأطفال والله هو مربى الأطفال، والمراد بالثاني الشبان ويدل عليه لفظ «ملك» المنبئ عن السياسة، والمراد بالثالث الشيوخ ويدل عليه لفظه اله المنبئ عن العبارة، والمراد بالرابع الصالحون فالشیطان مجدّ في اغوائهم، والمراد بالخامس الأشرار لمعطفه على المعوذ منهم (٢).

وليست هذه الاقوال الا احتمالات ظنيّة لا تدل الا على الاستحسنات.

قال الرازى في تفسيره:

«السبب في تكرير لفظ «الناس» أنه انما تكررت هذه الصفات لأن عطف البيان يحتاج الى مزيد الاظهار، ولأن هذا التكرير يقتضى مزيد شرف الناس، لأنه سبحانه كأنه عرف ذاته بكونه رباً للناس، ملكاً للناس، إلهاً للناس ولولا انّ الناس اشرّ مخلوقاته لما ختم كتابه بتعريف ذاته بكونه رباً وملكاً وإلهاً لهم» (٣).

١- تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ١٨٢.

٢- ارجع تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٩٧ وكتاب البرهان، رقم ٥٨٨.

٣- تفسير الكبير، ج ٣٢، ص ١٩٨.

الخاتمة فى ثمرة البحث

اتضح لنا من خلال البحث ان القرآن غير مشتمل على التكرار المعنوى، بيد انه يشتمل على التكرار فى الحروف والكلمات التى لا محيص عنها كما يشتمل على التكرار فى المفاهيم الكلية و ذلك كالتكلم عن المبدأ والمعاد والاصول والفروع والقصص القرآنية. فالقرآن مشتمل على معان سامية لاتستوعبها الكلمات العربية المحدودة فاقتضى التكرار فى الفاظه.

فكل آية بملاحظة سياقها الخاص والروح العامة التى تسرى فى آياتها و تسيطر على مبادئها الى خواتيمها و الدقة فى سنة نزولها و سبب نزولها... لها معنى خاص . و حينئذ عندما نلاحظ الآيات التكرارية نرى فيها وجوهاً من الاختلاف نحو: الاختلاف فى الموضوع والحكم فى آيتى ١٦ و ١٧ من سورة الملك. و الاختلاف فى المشار اليه فى آيات ٢٥٢ من سورة البقرة و ١٠٨ من سورة آل عمران و ٦٠ من سورة الجاثية.

فمثلا تكرار قوله تعالى «فاولئك حبطت اعمالهم» اربع مرّات لاختلاف المشار اليه، فالآية الاولى تشير الى من يرتد عن دينه و الثانية تشير الى الكفار والذين يقتلون الانبياء بغير حق و الثالثة تشير الى المشركين و الرابعة تشير الى المنافقين. فالقرآن مثله مثل اصابع اليد لا يوجد فيه تكرار بل لكل آية من آياته هدف خاص و معنى غير ما فى الآخر فكل ما فيه ليس الا التنوع.

و اما الدواعى للتكرار اللفظى فى القرآن الكريم فهى للتاكيد على المعانى المختلفة و

لشيت المفاهيم المتعددة في قلوب الناس و لما جرت عادة العرب و دأبهم على التكرار و
ليان اعجاز القرآن و لغيرها من الاسباب التي مضى ذكرها.

الفهرس

المقدمة	٥
الفصل الأول	١٥
هل يوجد تكرار في القرآن ام لا؟	١٥
الاولى: التكرار في اللغة	١٨
الثانية: الاعجاز	١٩
من وجوه الاعجاز: التحدى	٢٢
من وجوه الاعجاز: عدم الاختلاف	٢٤
من وجوه الاعجاز: تنسيق الكلمات	٢٥
من وجوه الاعجاز: الاعجاز العددي	٣١
الثالث: ترتيب السور	٣٢
الرابع: ترتيب الآيات	٣٥
الخامس: الروح العامة للسور القرآنية	٤٠
السادس: تكرار النزول	٤٣
السابع: للقرآن نزولان	٤٧
الثامن: ضيق اللغة وسعة المعنى	٤٩
التاسع: حجية ظواهر الكتاب للعموم	٥٣

العاشر: القرآن هو تبيان كلّ شئ	٥٤
الحادى عشر: الاطناب والايجاز	٥٦
الثاني عشر: التعدد في اسباب النزول	٥٩
الثالث عشر: الاشتراك اللفظى	٦٠
الرابع عشر: الاضداد والترادفات	٦٢
الخامس عشر: الاختلاف في الموضوع أو الحكم	٦٤
السادس عشر: الاختلاف في المشار إليه	٦٦
السابع عشر: التنويع	٦٨
الثامن عشر: الدقة في نفس الآيات	٦٩
المقام الأول:	٧١
التكرار في الألفاظ	٧١
البحث الأول: التكرار في الحروف والكلمات	٧١
البحث الثاني: التكرار في العبارات	٧٢
١ - البسملة	٧٢
٢ - افتتاحية السور	٧٥
٣ - خواتيم الآيات	٧٦
٤ - اسماء الله الحسنى	٧٨
٥ - بعض الآيات الأخرى	٨١
المقام الثاني:	٨٥
التكرار في المفاهيم	٨٥
البحث الأول: التكرار في المبدأ	٨٦

٨٩	البحث الثاني: التكرار في المعاد
٩١	البحث الثالث: التكرار في الفروع
٩٧	البحث الرابع: التكرار في المفاهيم الاخلاقية
١٠٠	البحث الخامس: التكرار في القسم
١٠٢	البحث السادس: التكرار في القصص
١٠٢	الاولى، الروح العامة للقصص القرآنية
١٠٤	الثانية، الغرض الأساسي لذكر القصة في القرآن
١١٢	اقوال أخر لسبب تكرار القصص
١١٨	الى هنا:
١١٩	الفصل الثاني
١١٩	سر التكرار في الالفاظ
١٢٠	التكرار في كلام العرب
١٢١	واما التكرار في الفاظ القرآن
١٢١	الاول: للتأكيد
١٢٣	الثاني: للتقرير
١٢٥	الثالث: للموعظة
١٢٨	الرابع: لدأب العرب
١٣٠	الخامس: ميزة الخطابات القرآنية
١٣٣	السادس: أنه وجه من وجوه الاعجاز
١٣٤	السابع: كمال التحدى
١٣٥	الثامن: دليل لعدم التحريف

- التاسع: للدعوة للاسلام..... ١٣٦
- العاشر: لبيان اتحاد دعوة الأنبياء ١٣٦
- الحادي عشر: لأته غذاء الروح ١٣٧
- الثاني عشر: لرعاية الموسيقى ١٣٧
- الثالث عشر: للخوف من النسيان ١٣٨
- الرابع عشر: لاستعمال الألفاظ المختلفة ١٣٩
- الخامس عشر: لتعدد الوقائع..... ١٤٠
- السادس عشر: لظهار الشفقة ١٤٠
- السابع عشر: لحصول الرجاء..... ١٤١
- الثامن عشر: لإيجاد الرعب واليأس ١٤١
- التاسع عشر: للمبالغة في الذمّ ١٤٢
- العشرون: للتحسين..... ١٤٤
- الواحد والعشرون: حتى لا ينسى الشكر ١٤٤
- الثاني والعشرون: للتنبيه..... ١٤٥
- الثالث والعشرون: للتفسير والتوضيح..... ١٤٦
- الرابع والعشرون: لذكر ما لم يذكر ١٤٧
- الخامس والعشرون: لانتشاهم من الكفر والعصيان ١٤٨
- السادس والعشرون: للحث على المواظبة ١٤٩
- السابع والعشرون: لتجسيد المعاني ١٥٠
- الثامن والعشرون: لسهولة الحفظ ١٥٠
- التاسع والعشرون: للتفكير والتدبر..... ١٥١

١٥٢	الثلاثون: للوعد بعد الوعيد
١٥٥	الفصل الثالث
٣٣١	الخاتمة في ثمرة البحث
٣٣٣	الفهرس
٣٣٩	المنايع والمصادر

المنابع والمصادر

- ابن القيم وحسنه البلاغى، عبدالفتاح لاشين، دارالرائد، بيروت، ١٤٠٢هـ
البرهان في توجيه متشابه القرآن، تاج الدين محمد بن حمزة الكرمانى، دارالفضيلة، بيروت.
- الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين سيوطى، دارالكتب العلمية، بيروت، مج ٢
١٤٠٧هـ
- اسرار التقديم و التأخير في لغة القرآن، محمود سيد شيخون، مكتبة الكتب الازهرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ
- اسرار التكرار في اللغة القرآن، محمد السيد شيخون، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ
- اسماء الله وصفاته، عمر سليمان عبدالله الاشقر، دارالنقاش، الاردن، ١٤١٨هـ
- اشارات الاعجاز، بديع الزمان سعيد النورسى، دارالأبناء، بغداد، ١٤٠٤هـ
- الاشباه والنظائر، مقاتل بن سليمان، حققه محمود شحاته، هيئت المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٥هـ
- الاشباه والنظائر، عبدالملك بن محمد الثعالبي، حققه محمد المصرى، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٤هـ
- الاعجاز القرآن، محمد عبدالكريم الخطيب، دارالفكر، بيروت، ١٩٧٤هـ
- اعجاز القرآن فى وجوه و اسراره، عبدالغنى محمد سعد البركة، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٠٩هـ
- اعجازالقرآن الكريم، فضل حسن و سناء فضل عباس، مكتب الوطنية، عمان ١٩٩١م.
- اعجاز القرآن الكريم، محمد بن حسن بن عقيل موسى، دارالاندلس الخضراء، جدة،

اعجاز القرآن و بلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دارالكتب العربي، بيروت،

١٣٩٣هـ

الالهيات، جعفر السبحاني، المركز الاسلامي للدراسات الاسلاميه، قم مج ٢، ١٤١١هـ
اهداف كل سورة و مقاصدها، عبدالله محمود شحاته، الهيئة المصرية، مصر،

١٩٨٦م.

الاهداف الاعلامية في القصة القرآنية، محمد ناجي مشرح، دارالمجتمع، بيروت،

١٤١٢هـ

الايجاز في آيات الاعجاز، محمد ابن اليسر عابدين، دارالبشائر، دمشق، ١٤١٣هـ
الايجاز في كلام العرب، مختار عطيه، دارالمعرفة الجامعية.

براعة الاستهلال، محمد بدرى عبدالجليل، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ
البرهان في تناسب السور القرآن، احمد بن ابراهيم ثقفى، جامعة الزيتون، تونس،

١٤٠٨هـ

بلاغة القرآن في ادب الرافعي، فتحى عبدالقادر فريد، دارالمنار، القاهرة.
البيان في اعجاز القرآن، صلاح الدين عبدالفتاح خالدى، دارالعبار، عمان، الاردن،

١٤٠٩هـ

الترتيب سورالقرآن، جلال الدين السيوطى، حققه سيد جميل، مكتبة الهلال،
بيروت، ١٩٨٦م.

التصوير الفنى في القرآن، سيد قطب، دارالشروق، القاهرة.

تفسير الأضواء البيان، الجكنى الشنقيطى، عالم الكتب، بيروت، مج ١٠.

تفسير الامثل، مكارم شيرازى، مؤسسة البعثة، بيروت، مج ٢٠، ١٤١٣هـ

تفسير البرهان، سيد هاشم حسينى البحرانى، البعثة، قم، مج ٥، ١٤١٧هـ

تفسير جامع البيان، ابن جرير طبرى، دارالمعرفة و دارالفكر، بيروت، مج ١٥،

١٤١٥هـ

تفسير جامع لاحكام القرآن، شمس الدين ابو محمد القرطبي، دارالغدة العربي، القاهرة،

جز ٢٠، مج ١١، ١٤٠٨هـ

تفسير روح البيان، اسماعيل حق البروسوى، دارالفكر، بيروت، مج ١٠، ط ٧، ١٤٠٥ هـ
تفسير روض الجنان و روح الجنان، ابو الفتوح رازى، بنياد پژوهشهای اسلامى،
مشهد، مج ٢٠، ١٣٦٥ ش.

تفسير فى ظلال القرآن، سيد قطب، دارالشروق، القاهرة، جزء ٣٠، مج ٦، ط ٢٧،
١٤١٩ هـ تفسير القرآن العظيم، اسماعيل بن كثير، دارالفكر، بيروت، مج ٧، ١٤٠٣ هـ
تفسير الكبير و مفاتيح الغيب، الفخر الرازى، دارالفكر، بيروت، جز ٣٢، مج ١٦،
١٤١٥ هـ

تفسير الكشف، جار الله زمخشري، دارالكتب العلمية، بيروت، مج ٤، ١٤١٥ هـ
تفسير كنز الدقائق، محمد قى المشهدى، الطبع و النشر، طهران، مج ١١، ١٤١٣ هـ
تفسير محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمى، دارالفكر، بيروت، جز ١٠، مج ١٧،
١٣٩٨ هـ

تفسير المراغى، احمد مصطفى المراغى، دارالاحياء، بيروت، جز ٣٠، مج ١٠، ط ٢،
١٩٨٥ م.

تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دارالمعرفة، بيروت، مج ١٢، ط ٢، ١٣٩٣ هـ
تفسير الميزان، محمد حسين طباطبايى، مؤسسة الاعلمى للمطبوعات، بيروت،
مج ٢٠، ١٤١٧ هـ

تفسير مجمع البيان، امين الاسلام الطبرسى، مؤسسة الاعلمى، بيروت، مج ١٠،
١٤١٥ هـ

تفسير نور الثقلين، عبد على بن جمعه العروسى الحويزى، مطبعة اسماعيليان، قم، مج ٥،
ط ٤، ١٤١٥ هـ

التمهيد فى علوم القرآن، استاذ محمد هادى معرفت، النشر الاسلامى، قم.
تناسق الدرر فى مناسبات السور، جلال الدين ابوبكر سيوطى، حقه الدرويش،
دارالكتب العربى، سوريه، ١٤٠٤ هـ

دراسة فى اعجاز القرآن، عبدالقادر احمد عطا، دارالاعتصام، القاهرة.
دراسات القرآنية، محمد قطب، دارالشروق، القاهرة و بيروت، ١٤٠٠ هـ
درّة التنزيل، الخطيب الاسكافى، دارالافاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩ م.

- سيكولوجية القصة في القرآن، التهامي نقره، جامعية الجزائر، ١٩٧١م.
- شرح اسماء الحسنی، ابو حامد الغزالي، مكتبة الحديث، بغداد، ١٩٩٠م.
- ظواهر القرآنية، بدر اوى زهران، دارالمعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.
- عجائب القرآن، فخرالدين رازي، دارالكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ
- علوم القرآن، سيد محمد باقر حكيم، منشورات مجمع العلمى الاسلامى، طهران، ط ٣، ١٤٠٣هـ
- علوم القرآن، عدنان محمد زر زور، مكتب الاسلامى، بيروت، ١٤٠١هـ
- فتح البارى، ابن الحجر العسقلاني، دارالمعرفة، بيروت، مج ١٤، ١٣٩٠هـ
- فكرة اعجاز القرآن، نعيم الحمصى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ
- القرآن دعوة الحق، محمد العفيفي، مطبعة العصرية، الكويت، ١٣٩٦هـ
- القصص القرآنى في مفهومه و منظوقه، محمد عبدالكريم الخطيب، دارالمعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ
- قضايا القرآنية، فضل حسن عباس، دارالبشير، عمان، ١٤٠٨هـ
- قطوف من رياض القرآن، منصور محمد منصور، مطبعة الامانة، مصر، ١٤٠٥هـ
- كتاب التذكرة في القرائات، ابى الحسن طاهر بن عبدالمنعم، الزهراء، القاهرة، ١٤١٠هـ
- كنزالمتشابهات، حافظ محمد محبوب، شمس الاسلام، حيدرآباد، ١٣٤٢هـ
- مباحث في علوم القرآن، مناع خليل قطان، مؤسسه الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ
- المحذوفات، حاج محمد بن الحاج، مطابع سجل العرب، بغداد.
- مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، دارالحديث، القاهرة، مج ٣.
- المشترك اللفظى، عبدالعال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧هـ
- معالم التوحيد، جعفر سبحاني، جعفر الهادي، دارالكتب الاسلامية، طهران، ١٤٠٠هـ
- معترك الاقران في اعجاز القرآن، ابوبكر السيوطى، دارالعلمية، بيروت، مج ٣، ١٤٠٨هـ
- معجزات و عجائب من القرآن الكريم، محمد عبدالرحيم، دارالفكر، بيروت، ١٤١٥هـ
- المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر، مؤسسة فؤاد، بيروت، ١٤٠٩هـ

المغنى في أبواب التوحيد و العدل، قاضى أبى الحسن عبدالجبار، دارالعامه، الامارات
العربية المتحدة، ١٣٨٠هـ

ملاك التأويل، احمد بن ابراهيم زبير الثقفى، دارالغرب الاسلامى، بيروت، مج ٢
١٤٠٣هـ

مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبدالعظيم الزرقانى، مكتبة نهضة الشرق،
القاهرة، مج ٢، ١٤١٦هـ

من اعجاز البلاغى والعددى، ابو زهرا النجدى، الوكالة العالمية للتوزيع، دمشق،
١٤٠٧هـ

من بلاغة القرآن، احمد احمد بدوى، دارالنهضة الفجالة، القاهرة، ١٣٧٠هـ
نظم الدرر، برهان الدين ابن عمرالبقاعى، دارالكتاب الاسلامى، القاهرة، مج ٢٢،
ط ٢، ١٤١٣هـ

النبوة و الاعجاز، علاءالدين شمسالدين المدرس الكيلانى، دارالكتب العلمية،
بغداد، ١٩٨٧م.

الوجوه والنظائر، حسين بن محمدالدامغانى، جامعة تبريز، مج ٢، ١٤١٢ و ١٤١٦هـ
الوجوه و النظائر، سلوى محمد العوّار، دارالشروق، القاهرة، ١٤١٩هـ

منشوراتی که به فضل خداوند تاکنون از مؤلف چاپ شده است.

- بیان روان، میثم تمار، ۱۳۷۶، ۵۰۰۰ نسخه، پنجم، وزیری، ۳۲۸، ۷۵۰۰ ریال.
- حکومت اسلامی در نهج البلاغه (ویرایش اول)، طاووس بهشت، ۱۳۷۹، ۲۰۰۰، اول، وزیری، ۳۲۰، ۱۴۰۰۰ ریال.
- الاضواء الفقهیه رساله فی البلوغ، طاووس بهشت، ۱۳۸۰ ش، ۱۴۲۲ ق، ۳۰۰۰، اول، وزیری، ۱۶۰، ۸۵۰۰۰ ریال.
- ازدواج و آداب زناشویی در آئینه حدیث، لاهیجی، ۱۳۸۲، ۵۰۰۰، چهارم، وزیری، ۲۲۴، ۸۵۰۰ ریال.
- ره رستگاری ج ۱، لاهیجی، ۱۳۸۲، ۵۰۰۰، اول، وزیری، ۴۱۶، ۲۰۰۰۰ ریال.
- ره رستگاری ج ۲، لاهیجی، ۱۳۸۲، ۵۰۰۰، اول، وزیری، ۴۲۸، ۲۰۰۰۰ ریال.
- ره رستگاری ج ۳، لاهیجی، ۱۳۸۲، ۵۰۰۰، اول، وزیری، ۴۰۸، ۲۰۰۰۰ ریال.
- زفاف، نیلوفرانه، ۱۳۸۳، ۵۰۰۰، ششم، رقعی، ۲۰۸، ۱۲۰۰۰ ریال.
- شگفتی‌های عالم برزخ، نیلوفرانه، ۱۳۸۳، ۵۰۰۰، دوازدهم، رقعی، ۱۹۲، ۱۰۰۰۰ ریال.
- حکومت اسلامی در نهج البلاغه (ویرایش دوم)، نیلوفرانه، ۱۳۸۵، ۲۰۰۰، اول، وزیری، ۳۴۴، ۲۱۰۰۰ ریال.
- تجوید قرآن، نیلوفرانه، ۱۳۸۵، ۳۰۰۰، اول، رقعی، ۱۶۰، ۱۲۰۰۰۰ ریال.
- مستندات نهج الفصاحه، عصر غیبت، ۱۳۸۶، ۵۰۰۰، اول، وزیری، ۶۸۸، ۵۷۰۰۰ ریال.
- تفسیر النبی ﷺ، عصر غیبت، ۱۳۸۶، ۵۰۰۰، اول، وزیری، ۳۰۴، ۲۸۰۰۰ ریال.
- ما و ابلیس، نیلوفرانه، ۱۳۸۸، ۵۰۰۰، اول، وزیری، ۳۷۶، ۴۵۰۰۰ ریال.
- مبانی تشیع در منابع تسنن، اسوه، ۱۳۸۸، ۵۰۰۰، اول، وزیری، ۵۰۰۰۰ ریال.
- اخلاق در قرآن و سنت، جلد اول، دانشگاه علوم و معارف قرآن کریم، ۱۳۹۲، ۱۰۰۰، وزیری، ۲۵۰۰۰۰ ریال.
- اخلاق در قرآن و سنت، جلد دوم، دانشگاه علوم و معارف قرآن کریم، ۱۳۹۲، ۱۰۰۰، وزیری، ۲۵۰۰۰۰ ریال.